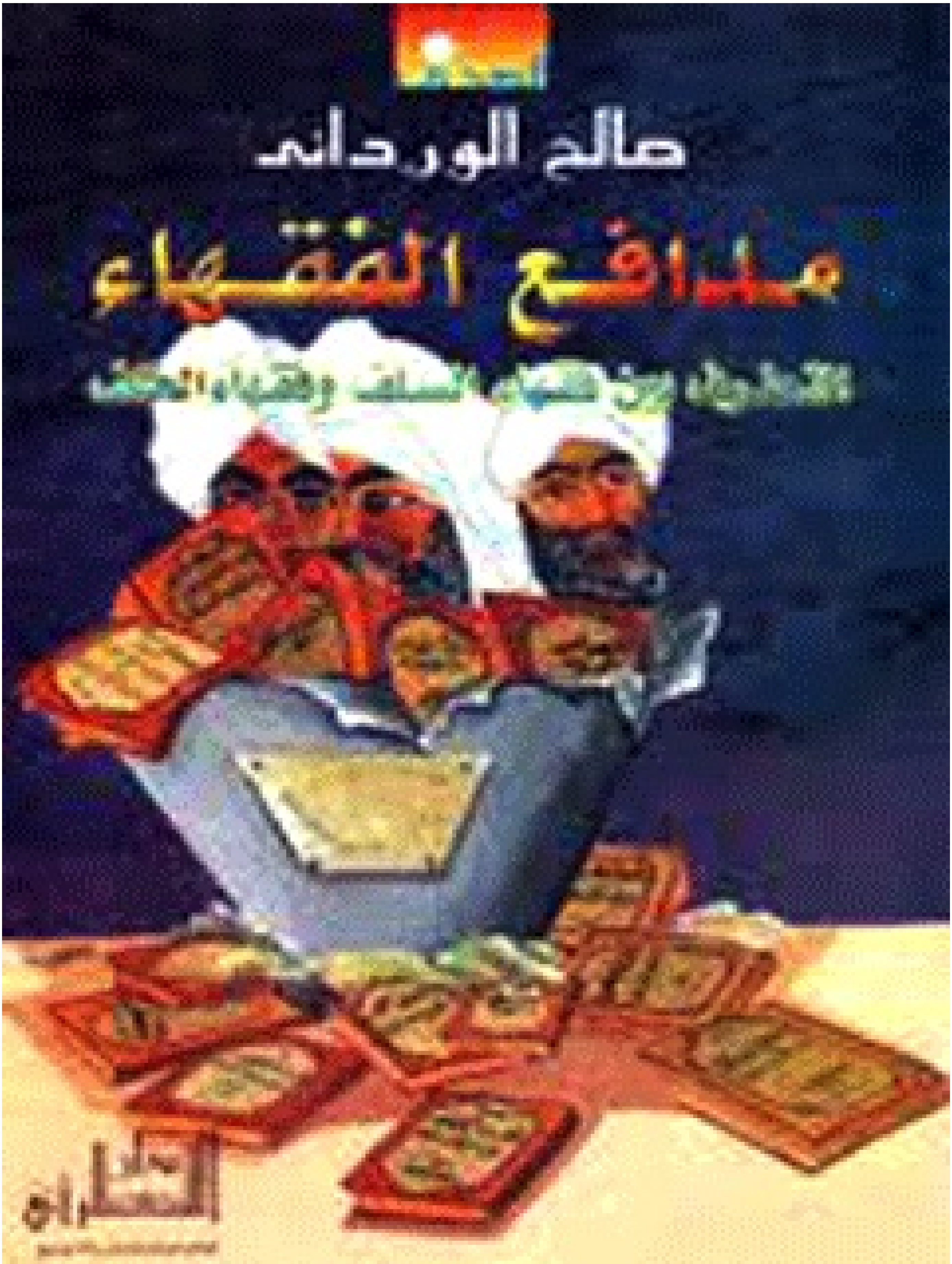


صالح الورداني
مدافع الفقهاء

بسم الله الرحمن الرحیم

# مدافع الفقهاء التطرف بين فقهاء السلف وفقهاء الخلف

كاتب:

صالح الوردانی

نشرت فی الطباعة:

موسسه تحقیقات و نشر معارف اهل البیت علیهم السلام

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

# الفهرس

## مدافع الفقهاء التطرف بين فقهاء السلف وفقهاء الخلف

### اشارة

نوع: كتاب
پدیدآور: وردانی، صالح ۱۹۵۲- م.,Wardani,Salih
عنوان و شرح مسئولیت: مدافع الفقهاء التطرف بين فقهاء السلف وفقهاء الخلف
صالح الوردانی
ناشر: موسسه تحقیقات و نشر معارف اهل البیت (ع)
موضوع: فقیهان

### تقديم

(و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بد نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) البقرة / ۱۷۰
هـذا النص القرآنى نقـدمه لفقهاء السـلف والخلف الـذين يريـدون تعبيـد الأمـة للروايات وأقول الرجال والـذين سـلطوا مدافعهم على المنادين بحرية الرأى واسـتخدام العقل والعودة إلى القرآن.. [ صـفحه ۷] عنـدما نتحدث عن مدافع الفقهاء فإننا نقصد أولئك الفقهاء الـذين توجهوا بمدافعهم نحو الجماهير لا نحو الحكام ومقاومة الظلم والفساد... نقصد أولئك الفقهاء الذين كانوا من صـنع الحكام أو هم برزوا ونموا وترعرعوا بـدعم منهم... هؤلاء الفقهاء هم الـذين حرفوا الإسـلام وجعلوه فى خدمة الحكام لا فى خدمة الجماهير وهم الذين أورثونا ذلك التراث المتناقض المشوه الذى يكتظ بفتاواهم ورواياتهم التى أصـبحت بدعم الحكام هى الإسـلام، وسـقط النص الشـرعى ضـحية هـذا التراث وأصـبح النقص هو مـا ينطق به هؤلاـء الفقهاء.. ومـدافع الفقهاء التى نعرض لها فى هـذا الكتاب لم تطول الجماهير فى زمانهم وتلحق بهم الخسائر الفادحـة فى عقائدهم ومواقفهم ودينهم وتحقق الأمن والسـلام ورغد العيش للحكام فحسـب وإنما امتدت لتصيب جماهير العصر الحاضر أيضا... امتدت لتحلق بهم إصابات خطيرة فى عقولهم ومواقفهم ودينهم بالكامل... وذلك كله كان ببركات الحكام وعلى رأسـهم آل سـعود وأدواتهم من التيارات والرموز والمؤسـسات الإسلامية التى أسهمت فى بعث مدافع الفقهاء ودفع الجماهير نحو العيش بعقل الماضـى... من هنا فإن القضـية المطروحة فى هذا الكتاب لا ترتبط بالماضـى وإنما هى ترتبط بالحاضـر كمـا ترتبـط بالمسـتقبل... وإن مـا نهـدف إليه فى دائرة هـذا البحث هـو التحرر من أغلاـل هؤلاـء الفقهـاء وكشف حقيقتهم ودورهم والتحرر من عقل الماضـى وتحقيق الاعتـدال فى الفكر والتصور والسـلوك. وهو ما نهـدف إليه فى جمع كتاباتنا... وما ندعوا إليه.. [ صفحه ۸] أن الفقيه لا يجب أن يكون ضـد الرعيـة وفى خدمـة الحكام... الفقيه يجب أن يكون فى خدمة النص... والنص إنما جاء لخدمة الجماهير... وهذه هى حقيقة الإسلام...
صالح الوردانى القاهرة ص ب: ۱۶۳ / ۱۱۷۹۴ رمسيس [ صفحه ۹]

### الفقهاء بين الدين والحكام

برزت طبقة الفقهاء على يد معاوية بن سـفيان حين تحالف معه عدد من الصحابة وساروا [ صفحه ۱۱] فى ركابه وعلى رأسهم المغيرة بن شـعبة وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وأبى هريرة ثم عائشة بنت أبى بكر... وهؤلاء جميعا أسـهموا فى تكوين طبقة من التابعين سايرت خط معاويـة وخط بنى أميـة من بعـده وحملت هـذه الطبقـة على كاهلها وضع حجر الأساس لصرح الفقه الإسـلامى الحكومى

الـذى تطور فيما بعد على يد فقهاء العصـر العباسـى وتمخض عما سـمى بعقيدهٔ أهل السـنهٔ والجماعهٔ. تلك العقيدهٔ التى برزت لحمايهٔ هـذا الفقه وإضـفاء المشـروعيهٔ عليه وردع المخـالفين له وتطويع الجماهير للحكام... ولقـد قام هـذا الفقه وتأسـست هـذه العقيـدهٔ على روايات وفتاوى أبى هريرهٔ وعائشـهٔ وابن عمر ومعاويهٔ وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم من الصـحابهٔ الذين تحالفوا مع بنى أميهٔ... وقـام الفقهـاء الـذين تربوا على هـذه الفتـاوى والروايـات بتوجيه مـدافعهم نحو خصومهم من التيارات الأخرى ونحو الجماهير لإرهابها وعزلها عن هـذه التيارات وحصـرها فى دائرهٔ الخط السائد خط الحكام الذين اعتبروا أئمهٔ طاعتهم واجبهٔ شـرعا وعصـيانهم حرام يؤدى إلى التهلكـهٔ حسب نصوص الفقهاء التى سوف نعرض لها فيما بعـد... – الفقهاء ويزيـد بن معاويهٔ: يروى البخارى أن معاويهٔ خطب فى الناس يطلب البيعـهٔ لولـده يزيد من بعده فبلغ الخبر ابن عمر فدخل على حفصهٔ أخته فقال لها: قد كان من الأمر ما ترين. فلم يجعل لى من الأـمر شـئ، فقـالت: الحق. فإنهم ينتظرونك. وأخشـى أن يكون فى احتباسك عنهم فرقـهٔ، فلم تـدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاويـهٔ فقال: من كان يريد أن يتكلم فى هذا الأمر فليطلع لنا قرنه. فلنحن أحق به منه ومن أبيه. قال حبيب بن مسـلمهٔ لابن عمر: فهلا أجبته؟ قال ابن عمر: فحللت حبوتى. وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسـلام. فخشـيت أن أقول كلمهٔ تفرق بين الجمع وتسفك الدم وتحمل عنى غير ذلك، فذكرت ما أعد الله فى الجنان. فقال له حبيب: حفظت وعصمت.. [۱] . [ صفحه ۱۲] وهـذه الروايـهٔ تكشف لنـا موقف ابن عمر فقيه الصـحابهٔ من معاويـهٔ وولـده يزيـد فهو رغم علمه بحقيقـهٔ معاويـهٔ ومكـانته المهزوزهٔ فى قلوب المسـلمين وهو ما يتضـح من قوله: أحق بهـذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسـلام، لم يتراجع عن بيعته ولا عن بيعـهٔ ولـده يزيـد... وحين ثار أهل المدينـهٔ على يزيـد وخلعوه وأطاحوا بواليه فيها جمع ابن عمر حشـمه وولـده وقال: إنى سـمعت رسول الله (ص) يقول: ينصب لكل غادر لواء يوم القيامـهٔ، وإنا قـد بايعنا هـذا الرجل – يزيد – على بيع الله ورسوله. وإنى لا أعلم غدرا أعظم من أن نبـايع رجلاـ على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتـال، وأنى لاـ أعلم أحـدا منكم خلعه ولاـ بـايع فى هـذا الأـمر إلاـ كنت الفيصـل بينى وبينه.. [۲] . ويروى أن ابن عمر جـاء إلى ابن مطيع داعيـهٔ ابن الزبير الخـارج على يزيـد فقال: أتيتك لأحـدثك سـمعت رسول الله (ص) يقول: من خلع يـدا من طاعـهٔ لقى الله يوم القيامـهٔ لا حجـهٔ له، ومن مات وليس فى عنقه بيعـهٔ مات ميتهٔ جاهليهٔ.. [۳] . وهاتين الروايتين يتبين منهما أن ابن عمر تجاوز حدود الموقف الشخصـى بمبايعته يزيد إلى الدعوهٔ لمناصرته ومعارضهٔ الثورهٔ عليه بل والعمـل على إطفاء نار هـذه الثورهٔ بروايات منسوبـهٔ للرسول (ص).. [۴] . وقـد اسـتمر ابن عمر موقفه الموالى للحكام هذا حتى عصـر الحجاج بن يوسف حيث بايع خليفته عبد الملك بن مروان ثم صـلى وراء الحجاج وشاركه فى الصلاهٔ أنس بن مالك خادم الرسول.. [۵] . ومن خلال مواقف ابن عمر هـذه والروايات المنسوبـهٔ للرسول الخاصـهٔ بالحكام. اسـتنبط الفقهاء عقائد ومفاهيم وفقه خاص يلزم المسـلمين بطاعـهٔ الحكـام ولو كـانوا فجـارا والجهـاد والحـج من ورائهم... وبرر الكثير من الفقهاء مواقف ابن عمر هـذه ومواقف يزيد ودافعوا عنه ونفوا جميع الشـبهات المثـارهٔ من حوله.. [ صـفحه ۱۳] فقـد روى ابن حنبل ليزيـد روايـهٔ تقول: إذا مرض أحدكم مرضـا فأشـفى ثم تماثل فلينظر إلى أفضل عمل عنـده فليلزمه، ولينظر إلى أسوا عمل عنـده فليدعه.. [۶] . وقـال أبو بكر بن العربى معلقا على هـذه الروايـهٔ: وهذا يدل على عظيم منزلته عنده – أى منزلهٔ يزيد عند ابن حنبل – حتى يدخله فى جملهٔ الزهاد ومن الصـحابهٔ والتابعين الذين يقتدى بقولهم ويرعون من وعظهم.. [۷] . ويقول ابن خلدون: والذى دعا معاويهٔ لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه إنما هو مراعاهٔ المصـلحهٔ فى اجتمـاع واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقـد عليه حينئـذ من بنى أميـهٔ. إذ بنى أميـهٔ يومئـذ لا يرضون سواهم، وهم عصابـهٔ من قريش وأهل الملـهٔ أجمع وأهل الغلب منهم. فآثره بـذلك ودون غيره فيظن أنه أولى بها. وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الـذى شأنه أهم عنـد الشارع، وإن كان لا يظن بمعاويـهٔ غير هذا لعدالته، وصـحبته مانعهٔ من سوى ذلـك وحضور أكـابر الصـحابهٔ لـذلك وسـكوتهم عنه دليـل على انتفاء الريب فيه، فليسوا مما يأخـذهم فى الحق هوادهٔ. وليس معاويهٔ ممن تأخذه العزهٔ فى قبول الحق. فإنهم كلمهم أجل من ذلك وعدالتهم مانعهٔ منه.. [۸] . وقال ابن تيميهٔ مهاجما الحسين لخروجه على يزيـد: إنه لم يكن فى الخروج مصـلحهٔ لاـ فى دين ولاـ فى دنيـا، وكـان خروجه وقتله من الفساد ما لم يحصل لو قعـد فى بلـده فإن ما

قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شئ بل زاد الشر بخروجه وقتله، ونقص الخير بذلك، وصار سببا لشر عظيم، وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن.. [۹] . ويقول عن يزيد: إن الناس اختلفوا فى أمره ثلاثة فرق: الأولى: أنه كان كافرا منافقا... والثانية: أنه كان ملكا رجلا صالحا وإمام عدل... والثالثة: أنه كان ملكا من ملوك المسلمين له حسنات وسيئات ولم يكن كافرا. ولكن جرى بسببه ما جرى. [ صفحه ۱۴] وهذا قول أهل العقل والعلم والسنة والجماعة ثم افترقوا ثلاث فرق: فرقة لعنته... فرقة أحبته.. وفرقه لاتسبه لاتحبه.. وهذا المنصوص عليه عن الامام أحمد بن حنبل وعليه المعتضد من أصحابه وغيرهم. وقد استدل القائلون بالمغفرة له بحديث مسلم عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له. وأول جيش غزاها كان أميره يزيد.. [۱۰] . وقال ابن تيمية: ان يزيد كان من شباب المسلمين ولا كان كافرا ولا زنديقا. وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضى من بعضهم وكان فيه شجاعة وكرم ولم يك مظهرا للفواحش كما يحكى عنه بعض خصومه وجرت فى جرت فى إمارته أمور عظيمة أحدها مقتل الحسين وهو لم يأمر بقتله ولا أظهر الفرح بقتله ولا نكت بالقضيب على ثناياه ولا حمل رأس الحسين إلى الشام، لكن أمر بمنع الحسين وامساكه وبدفعه عن الأمر ولو كان بقتاله.. [۱۱] . وقال الشيخ الخضرى: إن الحسين أخطأ خطأ عظيما فى خروجه هذا الذى جر على الأمة وبال الفرقة والإختلاف وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا.. وغاية الأمر أن الرجل طلب أمرا يتهيأ له، ولم يعد له عدته فحيل بينه وبين ما يشتهى وقتل دونه، والحسين قد خالف يزيد وقد بايعه الناس، ولم يظهر عنه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار الخلاف حتى يكون فى الخروج عليه مصلحة للأمة.. [۱۲] . – الفقهاء وعبد الملك بن مروان: عبد الملك هو ابن مروان بن الحكم الذى هيمن على الحكم فى عصر عثمان ابن عمه وكان السبب المباشر فى الثورة عليه وقتله، وهو الذى قتل طلحة بن عبيد الله بسهم فى ظهره فقتله وكان معه فى جيش عائشة يوم الجمل [۱۳] . [ صفحه ۱۵] وكان عبد الملك وأبيه ضمن من أخرج من المدينة يوم الحرة حين خرجت المدينة على يزيد بن معاوية وطردت منها بنو أمية، وخاف أن تكون الغلبة لأهل المدينة، وحين دخلها جيش يزيد واستباحها ثلاثة أيام خر عبد الملك ساجدا وعاد إلى المدينة.. [۱۴] . ويروى أن عبد الملك هو الذى دل جيش يزيد على عورات أهل المدينة وكيف يؤتون ومن أين يدخل عليهم وأين ينزل. [۱۵] . وتمكن عبد الملك من قتل مصعب بن الزبير ثم قتل عبد الله بن الزبير وتدمير الكعبة على يد الحجاج وبذلك دانت له العراق والحجاز. يروى: اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين، وكتب إليه ابن عمر بالبيعة وكتب إليه أبو سعيد الخدرى وسلمة بن الأكوع بالبيعة.. [۱۶] . وكتب ابن عمر إليه يقول: إنى أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت، وأن بنى قد أقروا بمثل ذلك.. [۱۷] . ويروى أن عبد الملك بن مروان قد حفظ عن عثمان وسمع عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله وغيرهم من أصحاب رسول الله (ص) وكان عابدا ناسكا قبل الخلافة.. [۱۸] . ويروى عن نافع قوله: لقد رأيت عبد الملك بن مروان وما بالمدينة أشد تشميرا ولا أطلب للعلم منه، أحسبه قال: ولا أشد اجتهادا.. [۱۹] . ويروى عن ابن جريح قال: سمعت ابن شهاب الزهرى يسأل عن ربط الأسنان بالذهب. قال: لا بأس به، ربط عبد الملك بن مروان أسنانه بالذهب.. [۲۰] . [ صفحه ۱۶] ويروى أن عبد الملك بن مروان كان يلقب بحمامة المسجد، وقد سئل ابن عمر: أرأيت إذا تفانى أصحاب رسول الله (ص) من نسأل؟ فأجابهم: سلوا هذا الفتى: وأشار إلى عبد الملك.. [۲۱] . ويروى عن أبى الزناد: فقهاء المدينة سعيد بن المسيب وعبد الملك بن مروان وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب.. [۲۲] . وقال الشعبى: ما جالست أحدا إلا وجدت عليه الفضل إلا عبد الملك بن مروان فإنى ما ذاكرته حديثا إلا وزادنى فيه. ولا شعر إلاـ وزادنى فيه.. [۲۳] . وكانت هناك علاقة صداقة بين ابن شهاب الزهرى الذى يعد عالم السنة فى عصره وحافظها وناقل رواياتها وبين عبد الملك بن مروان.. وكان عبد الملك هو الذى وجهه للقيام بهذا الدور ونشر الروايات المنسوبة للرسول (ص) بين الناس ثم ارتبط الزهرى بعد ذلك بالقصر الأموى حتى تولى تربية أولاد هشام بن عبد الملك. ثم تولى القضاء من بعد ليزيد الثانى.. [۲۴] . وكما أخذ ابن شهاب الزهرى فتوى ربط الأسنان بالذهب عن عبد الملك بن مروان أخذ مالك أيضا بقضاء عبد الملك فى امرأة مستكرهة بصداقها على من فعل ذلك بها وقد أكثر مالك فى الاستدلال بقضاء مروان بن الحكم وولده عبد الملك فى موطأة والعمل

بفتاواه.. [۲۵] . وقد روى البخارى عن عبد الملك بن مروان، كما روى عنه الزهرى وعروة بن الزبير وعدد من فقهاء التابعين وعبادهم مثل خالد بن معدان ورجاء بن حيوة.. [۲۶] . ومن هذه الروايات والشهادات التى عرضناها يتبين لنا أن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان كان فى منظور الصحابة عاصروه والفقهاء الذين برزوا فى عصره فقيها ومحدثا ثقة وعابدا ورعا.. [ صفحه ۱۷] ولقد تجاوز الفقهاء حدود هذا الحكم إلى تناول الدين منه والأخذ بفتاواه.. إلا أننا سوف نعرض هنا لعدد من الروايات التى تكشف الوجه الآخر لعبد الملك بن مروان وتكشف لنا من جانب أخر كيف سقط الفقهاء ضحية السياسة والحكام وأخضعوا الدين لهم، وأن لسان حالهم ينطق بلسان الحكام لا ـ بلسان الدين.. يروى السيوطى عن ابن أبى عائشة قال: أفضى الأمر – الحكم – إلى عبد الملك بن مروان والمصحف فى حجره فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك.. [۲۷] . ويروى أن عبد الملك أول من غدر فى الإسلام، وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء وأول من نهى عن الأمر بالمعروف.. وأول خليفة بخل فى الإسلام.. [۲۸] . ويروى أنه خطب عبد الملك بن مروان بالمدينة بعد قتل ابن الزبير عام حج سنة خمس وسبعين فقال: أما بعد. فلست بالخليفة المستضعف – يعنى عثمان – ولا الخليفة المداهن – يعنى معاوية – ولا ـ الخليفة المأفون – يعنى يزيد – ألا ـ وإن من كان قبلى من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال. ألا وإنى لا أداوى أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم. تكلفوننا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم فلن تزدادوا إلا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم.. ألا وإنا نحمل لكم كل شئ إلا وثوبا على أمير أو نصب راية والله لا يفعل أحد فعلة إلا جعلتها فى عنقه. والله لا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عنقه.. [۲۹] . ويروى أن عبد الملك كان إذا قعد للحكم خيم على رأسه بالسيوف.. [۳۰] . هذا الشاعر يقول فى بنى مروان: يا قوم لا تغلبوا عن رأيكم فلقد++ جربتم الغدر من أبناء مروانا أمسوا وقد قتلوا عمرا وما رشدوا++ يدعون غدرا بعهد الله كيانا ويقتلون الرجال البزل ضاحية++ لكى يولوا أمور الناس ولدانا تلاعبوا بكتاب الله فاتخذوا++ هواهم فى معاصى الله قربانا [۳۱] . [ صفحه ۱۸] وهذا الوجه الذى تبرزه هذه الروايات لعبد الملك بن مروان إنما يتناقض مع ذلك الوجه الذى يحاول إبرازه الفقهاء جعلوا أنفسهم سدنه له وسخروا الدين فى خدمة بنى أمية.. ومثل هذه المواقف التى تبناها الفقهاء من معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان هى التى تأسس عليها موقف الفقهاء من بنى العباسى فيما بعد وسلسلة الحكام من بعدهم حتى يومنا هذا.. – الفقهاء والمنصور العباسى: تولى أبو جعفر المنصور الخلافة سنة سبع وثلاثين ومائة بعد وفاة أخيه أبو العباس السفاح بمرض الجدرى وكان جبارا جماعا للمال تاركا للهو واللعب قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه فى غاية الحرص والبخل.. وفى عصره شرع الفقهاء فى تدوين الحديث والفقه والتفسير.. فصنف مالك الموطأ فى المدينة. والأوزاعى الفقه بالشام... وسفيان الثورى بالكوفة... وصنف أبو حنيفة الفقه والرأى... وصنف ابن إسحاق المغازى... ويروى أن أبا جعفر المنصور كان يرحل فى طلب العلم قبل الخلافة.. [۳۲] . وروى عن الإفريقى: كنت أطلب العلم مع أبى جعفر المنصور قبل الخلافة.. [۳۳] . وقال الصولى: كان المنصور أعلم الناس بالحديث والأنساب مشهورا بطلبه.. [۳۴] . وقد روى الفقهاء عن المنصور الكثير من الروايات المنسوبة للرسول نقل السيوطى عن ابن عساكر بعض منها: [ صفحه ۱۹] عن المنصور عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عباس أن النبى (ص) كان يتختم فى يمينه.. [۳۵] . وروى عن المنصور قال رسول الله (ص) مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تأخر عنها هلك.. [۳۶] . وروى عنه قال رسول الله (ص): إذا أمرنا أميرا وفرضنا له فرضا فما أصاب من شئ فهو غلول.. [۳۷] . وروى عنه عن الرسول (ص): كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى.. [۳۸] . وروى عنه (ص): وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجلة وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوما يقدر أن ينصره فلم يفعل.. [۳۹] . ويبدوا من خلال هذه الروايات أن الفقهاء قد وضعوا المنصور فى مصاف المحدثين من أهل العلم الذين يتحدثون بلسان الرسول (ص) كما وضعوا عبد الملك بن مروان من قبل إلا ـ أن حقيقة المنصور وتاريخه ومواقفه تؤكد لنا أنه غير هذه الصورة وأن ما يروى عنه مجرد اختلاق بهدف تلميعه والتغطية على مساوئه وانحرافاته.. يروى أن المنصور هو أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وهو أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب وكثر ذلك بعده حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها.. وهو أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد على وكان

قبل ذلك أمرهم واحد.. [۴۰] . ويروى أن عبد الصمد بن على قال للمنصور: لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو؟ قال: لأن بنى مروان لم تبل رممهم وآل أبى طالب لم تغمد سيوفهم. ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة واليوم خلفاء، فليس تتمهد هيبتنا فى صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة.. [۴۱] . [ صفحه ۲۰] ومثل هذه المساوئ والتجاوزات التى تبرزها هذه الروايات أنما تكشف الوجه الآخر للمنصور وهو وجه يتناقض كما هو واضح مع الصورة التى يحاول إبرازها الفقهاء من خلال وضع المنصور فى موضع المحدثين وأهل العلم... وكما ألبس الفقهاء هذا الثوب للمنصور ألبسوه أيضا لولده المهدى من بعده حيث وضعوه فى مصاف المحدثين ورووا عنه.. يقول السيوطى: المهدى أبو عبد الله محمد بن المنصور. كان جوادا ممدحا مليح الشكل محببا للرعية حسن الاعتقاد تتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقا كثيرا وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل فى الرد على الزنادقة والملحدين، روى الحديث عن أبيه.. [۴۲] . وقال الذهبى: ما علمت فيه - أى فى المهدى - جرحا ولا تعديلا.. [۴۳] . وروى الفقهاء فى المهدى رواية منسوبة للرسول تقول: المهدى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى.. وهى رواية خاصة بالمهدى المنتظر الذى بشر به الرسول فى آخر الزمان وقد طبقها الفقهاء على المهدى العباسى.. وكان المهدى يقتل على التهمة ومن أشهر قتلاه الشاعر صالح بن عبد القدوس.. [۴۴] . ويروى أن المهدى كان يحب الحمام فدخل عليه المحدث غياث بن إبراهيم فقال له رواية منسوبة إلى الرسول (ص) فى الحمام، فأمر له المهدى بعشرة آلاف درهم.. [۴۵] . وروى أن شريكا دخل على المهدى. فقال له المهدى: لا بد من ثلاث.. إما أن تلى القضاء أو تؤدب ولدى وتحدثهم أو تأكل عندى أكله. ففكر ساعة ثم قال: الأكلة أخف على، فأكل ألوان من الطعام ثم حدثهم بعد ذلك وعلمهم العلم وولى القضاء لهم.. [۴۶] . [ صفحه ۲۱] - الفقهاء وهارون الرشيد: يروى السيوطى وغيره أن هارون الرشيد كان يصلى فى خلافته فى كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعلة. وكان يحب أهل العلم ويعظم حرمات الإسلام، وكان يبكى على نفسه وعلى إسرافه وذنوبه سيما إذا وعظ.. [۴۷] . وقال الفضيل بن عياض عن هارون: الناس يكرهون هذا - أى هارون - وما فى الأرض أعز على منه لو مات لرأيت أمورا عظاما.. [۴۸] . ويروى أن الرشيد كان يقتفى آثار جده المنصور إلا فى الحرص فإنه لم ير خليفة قبله أعطى منه. أعطى مرة سفيان بن عيينة مائة ألف. وأجاز السحاق الموصلى مرة بمائتى ألف. وأجاز مروان بن أبى حفصة على قصيدة خمسة آلاف دينار.. [۴۹] . وقال الذهبى: أخبار الرشيد يطول شرحها ومحاسنه جمة وله أخبار فى اللهو واللذات المحظورة والغناء سامحه الله.. [۵۰] . وكان أبو يوسف صاحب أبى حنيفة قاضيا لهارون ونديما يفتى له فى كل نازلة ويسخر الدين لهواه وملذاته وقد كتب له كتاب الخراج وقال فى مقدمته: أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام له العز فى تمام من النعمة، ودوام من الكرامة، وجعل ما أنعم به عليه موصولا بنعيم الآخرة الذى لا ينفذ ولا يزول، ومرافقة النبى (ص).. وقد حشد أبو يوسف فى كتابه هذا عشرات الروايات التى تحض على طاعة الحكام ولزوم الجماعة والصبر على الظلم وعدم سب الأمراء وعصيانهم ووجوب الصلاة من خلفهم... [۵۱] . يروى أن هارون وقعت فى نفسه جارية من جوارى أبيه المهدى فراودها عن نفسه. فقالت لا أصلح لك إن أباك قد طاف بى، فشغف بها وأرسل إلى أبى يوسف فسأله أعندك فى هذا شئ؟ [ صفحه ۲۲] فقال: يا أمير المؤمنين أو كلما ادعت أمة شيئا ينبغى أن تصدق، لا تصدقها فإنها ليست بمأمونة.. [۵۲] . قال ابن المبارك: فلم أدر ممن أعجب من هذا الذى قد وضع يده فى دماء المسلمين وأموالهم يتحرج عن حرمة أبيه، أو من هذه الأمة التى رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين، أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها، قال: اهتك حرمة أبيك واقض شهوتك وصيره فى رقبتى [۵۳] . ويروى أن الرشيد اشترى جارية وأراد أن يطأها قبل الاستبراء، فقال لأبى يوسف: هل عندك حيلة؟ فقال: نعم. تهبها لبعض ولدك ثم تتزوجها. [۵۴] . ويروى أن الرشيد دعا أبو يوسف ليلا فأفتاه فأمر له بمائة ألف درهم. فقال أبو يوسف: إن رأى أمير المؤمنين أمر بتعجيلها قبل الصبح.. فقال: عجلوها.. فقال بعض من عنده: إن لخازن فى بيته والأبواب مغلقة.. فقال أبو يوسف: فقد كانت الأبواب مغلقة حين دعانى ففتحت.. [۵۵] . ويروى أن القاضى الفاضل قال: ما أعلم أن لملك رحلة قط فى طلب العلم إلا للرشيد فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك.. [۵۶] . ويروى أن الرشيد أول خليفة لعب بالشطرنج من بنى العباس، وقال الصولى: هو أول من جعل للمغنين مراتب وطبقات.. [۵۷] . ومن شعر الرشيد

يرثى جاريته هيلانه: قاسيت أوجاعا وأحزانا++ لما استخص الموت هيلانا فارقت عيش حين فارقتها++ فما أبالى كيف ما كانا كانت هى الدنيا فلما ثوت++ فى قبرها فارقت دنيانا [ صفحه ۲۳] قد كثر الناس ولكننى++ لست أرى بعدك إنسانا والله لاـ أنساك ما حركت++ ريح بأعلى نجد أغصانا ويروى: سمع الرشيد يخطب فقال فى خطبته: حدثنى مبارك ابن فضالة عن الحسن عن أنس قال. قال رسول الله (ص): اتقوا النار ولو بشق تمرة.. [۵۸] . ويروى عنه قول الرسول (ص): نظفوا أفواهكم فإنها طرق القرآن.. [۵۹] . - الفقهاء والمأمون: تنامت حركة نقل الروايات و تدوينها فى عصر المنصور والرشيد كما تنامت حركة تدوين الفقه ونقله فكثرت المدراس وكثر الفقهاء وتباينت الآراء... وحقق المعتزلة ولأول مرة فى تاريخهم قفزة سياسية كبيرة باستقطابهم الخليفة المأمون إلى صفهم وتبنيه لأفكارهم ومتعتقداتهم.. [۶۰] . وكان أن درات الدائرة على الفقهاء الذين نموا وترعرعوا فى ظل الروايات والفتاوى المأثورة عن الصحابة والتابعين و مباركة الحكام السابقين.. وانقسم الفقهاء فى مواجهة المأمون وخط المعتزلة المناهض لهم: فمنهم من وقف على الحياد.. ومنهم من أعلن عدائه لهذا الخط ورفض الانصياع له.. وقد تزعم الاتجاه الأخير أحمد بن حنبل بفرقته التى كانت فى طور التأسيس، ودخل فى صدام مع المأمون والمعتزلة.. إلا أن هذا الصدام لم يكن صداما سياسيا يقوم على أساس عدم الاعتراف بشرعية حكم المأمون وإنما كان صداما فقهيا ينحصر فى محيط قضية كلامية ليست من صلب العقيدة وهى قضية خلق القرآن.. [۶۱] . [ صفحه ۲۴] وكان معتزلة قد تبنوا فكرة خلق القرآن وكون كلام الله مخلوق.. بينما رفض ابن حنبل والحنابلة من بعده تبنى هذه الفكرة على أساس أنها منافية للموروثات الفقهية التى ورثها عن الصحابة والتابعين فضلا عن كونها منافية للروايات التى يتبناها ويقوم مذهبه على أساسها. من هنا قام المأمون بتصفية تيار الحنابلة أو من يطلقون على أنفسهم أهل الحديث واعتقل إما مهم ابن حنبل وأحكم الحصار الفكرى من حوله كى يتراجع عن فكرة كون القرآن غير مخلوق إلا أن ابن حنبل أصر على موقفه مما أوقعه فى دائرة التعذيب وظل فى حبسه حتى توفى المأمون وجاء من بعده المعتصم الذى تبنى فى مواجهته نفس الموقف، كذلك الخليفة الواثق من بعده، حتى جاء المتوكل فأعلن مناصرته للحنابلة الذين كانوا قد أطلقوا على أنفسهم أهل السنة والجماعة، وأطلق لهم العنان لنشر أفكارهم ورواياتهم تحت حمايته، فكان أن بطشوا بالمعتزلة والشيعة والمخالفين لهم وكثرت الفتن والصدامات الدموية.. [۶۲] . ولأجل هذا الموقف الذى تبناه المتوكل تغاضى الفقهاء عن مساوئه وجرائمه وانحرافاته التى تصطدم بجوهر الدين ونصوصه الصريحة، واعتبروا موقفه هذا كاف واحد؟؟؟ لجب هذه المساوئ والجرائم والتجاوزات وغفرانها... يروى عن ابن تيمية قوله: ما أظن الله يغفل عن المأمون.. ولا بد أن يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة.. [۶۳] . وأجمع الفقهاء على أن أهل الحديث أو أهل السنة هم الذين يمثلون نهج الرسول (ص) وهم الفرقة الناجية من النار والطائفة المنصورة لولا هم لأهلك الناس المعتزلة وأهل الرأى.. [۶۴] . وفى منظور الفقهاء المأمون أهان السنة وأهلها وأكرم أصحاب الاعتزال (المعتزلة) والزنادقة وأن عصره لم يكن عصرا ذهبيا بل عصر ضلال وبدع وفساد عقائدى.. [۶۵] . [ صفحه ۲۵] إن المأمون هو الحاكم الوحيد فى تاريخ المسلمين الذى حاز على غضب الفقهاء ونقمتهم ليس لأسباب دينية أو سياسية ولكن لأسباب مذهبية. حيث أنه خالف نهجهم ومال لأصحاب العقل والرأى مما هدد نفوذ الفقهاء وأفكارهم ومعتقداتهم التى فرضوها على الأمة بدعم من الحكام السابقين بالزوال.. يروى المؤرخون أنه لما جاء المتوكل أعلن سنة (۲۳۴ هـ) إبطال القول بخلق القرآن، وأظهر الميل للمحدثين ووقف بجانبهم واستقدمهم إلى سامراء وأجزل عطاياهم وأكرمهم وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات وأحاديث رؤية الله.. وجلس أبو بكر بن أبى شيبة فى جامع الرصافة فاجتمع إليه نحو من ثلاثين ألف نفس وجلس أخوه فى جامع المنصور فاجتمع إليه مثل هذا العدد، وكثر الدعاء للمتوكل وبالغ الفقهاء فى الثناء عليه والتعظيم له واغتفروا له سوء فعاله.. [۶۶] . ويبدو لنا من خلال هذا أن فقهاء أهل السنة قد أخذوا الدفعة الكبرى التى أتاحت لهم الشيوع والانتشار والسيادة على الآخرين بالإضافة إلى نشر رواياتهم من المتوكل العباسى. وأنه لولا هذه الدفعة لكان فقهاء أهل السنة ورواياتهم فى ذمة التاريخ.. يروى السيوطى عن أحمد بن حنبل قوله: سهرت ثم نمت فرأيت فى نومى كأن رجلا يعرج إلى السماء وقائلا يقول: ملك يقاد إلى مليك عادل++ متفضل فى العفو ليس بجائر ثم أصبحنا فجاء نعى المتوكل من سر من رأى (سامراء) إلى بغداد.. [۶۷] .

وروى أيضا عن عمرو بن شيبان قال: رأيت في الليلة التي قتل فيها المتوكل في المنام قائلا يقول: [ صفحه ۲۶] يا نائم العين في أوطار جسمان++ أفض دموعك يا عمرو بن شيبان أما ترى الفئة الأرجاس ما فعلوا++ بالهاشمي وبالفتح بن خاقان وافي إلى الله مظلوما تضج له++ أهل السماوات من مثنى ووحدان وسوف يأتيكموا أخرى مسمومة++ توقعوها لها شأن من الشأن فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم++ فقد بكاه جميع الإنس والجان ثم رأيت المتوكل في النوم بعد أشهر فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بقليل من السنة أحييتها.. [۶۸] . ويروى الفقهاء عن المتوكل عدة روايات منسوبة للرسول (ص) منها: يروى السيوطي: سمعت المتوكل يحدث عن يحي بن أكثم عن محمد بن عبد الوهاب عن سفيان الثوري عن الأعمش أن رسول الله قال: من حرم الرفق حرم الخير.. [۶۹] . وروى ابن عساكر عن علي بن الجهم قال: كنت عند المتوكل فتذاكروا عنده الجمال. فقال: إن حسن الشعر لمن الجمال: [۷۰] . ويروى عن المتوكل عن المعتصم عن المأمون عن الرشيد عن المهدى عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس قال: كانت لرسول الله (ص) جمة إلى شحمة أذنيه كأنها نظام اللؤلؤ.. [۷۱] . وقال علي بن الجهم: كان للمتوكل جمة إلى شحمة أذنيه.. [۷۲] . وبداية من عصر المتوكل حصل فقهاء الرواية من الحنابلة وغيرهم على الحرية والدعم من حكام بني العباس فانطلقوا يجمعون الروايات وينشرونها ويرهبون بها المخالفين.. [ صفحه ۲۷] فظهر إسحاق بن راهويه والدارقطني وعلى بن المديني ويحيى بن معين وغيرهم الذين تتلمذ عليهم جامعو الأحاديث وأخذوا عنهم ووثقوهم ونقلوا الروايات عن طريقهم وعلى رأس هؤلاء البخاري وأبو داود والنسائي والدرامي والترمذي وابن ماجه والبيهقي ومسلم وابن حبان والحاكم وغيرهم.. [۷۳] . وقدم كتاب البخاري على هذه الكتب جميعا واعتبر أصح الكتب بعد كتاب الله لخلوه من الروايات التي تدعم الاتجاهات الأخرى خاصة الشيعة المنافس الدائم للفقهاء والحكام على مر تاريخ المسلمين.. واعتبر كتاب مسلم في الدرجة الثانية بعد البخاري بينما اختلف في كتب الآخرين وفي رواياتهم التي دخلت في دائرة القبول والرفض.. [۷۴] . وكان الفضل في انتشار البخاري وتقديمه يعود إلى الحكام وفقهاء السلاطين كذلك الحال بالنسبة لمسلم.. [۷۵] . من جهة أخرى حصل فقهاء الأحكام والعقائد على دعم الحكام وحمايتهم فدونوا كتب الفقه وكتب العقائد وتصدوا للتيارات المخالفة والمناهضة للوضع القائم ورموها بالزندقة والضلال وبدا أثر السياسة واضحا على نتاجاتهم الفقهية والعقائدية... وأمسك الحكام بزمام الدين وأصبحوا يولون الفقهاء مناصب القضاء ويدعمون المذاهب الفقهية ويتغاضون عن اتجار الفقهاء بالدين مقابل سكوت الفقهاء عنهم ومباركتهم لمواقفهم و ممارساتهم.. وكان الفقهاء يسهمون بدور فاعل في اختيار الخلفاء وإضفاء المشروعية عليهم.. يروى السيوطي أنه لما ثار الترك على المستعين بالله وقبضوا عليه وضربوه وطالبوه بأن يخلع نفسه أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب والشهود من الفقهاء وخلعوه [۷۶] . [ صفحه ۲۸] ولما قرر المهتدى بالله خلع المعتز جيئ بالشهود من الفقهاء وغيرهم من الأعيان فشهدوا على المعتز أنه عاجز عن الخلافة فاعترف بذلك ومد يده فبايع المهتدى.. [۷۷] . ولما حجر على الخليفة المعتمد جمع الفقهاء والقضاة والأعيان وطلب منهم أن يخلعوه فخلعوه كذلك حين خلع القاهر أقر الفقهاء ثورة الجند عليه وولوا الراضي بالله وطلبوا من القاهر أن يخلع نفسه فأبى فقبض عليه الجند وقتلوه.. [۷۸] . ومن الطريف أن الفقهاء المساجد كانوا يراقبون هذه الصراعات ويبادرون على الفور برفع اسم الخليفة المخلوع أو المقتول من الخطبة ويضعون اسم الخليفة الجديد وهو في أحيان كثيرة يكون صبيا لم يبلغ الحلم.. [۷۹] . ويروى السيوطي لما خلع المقتدر بالله وتولى الخلافة عبد الله بن المعتز ولقب بالغالب بالله وباركه الفقهاء. جمع المقتدر خواصه ولبسوا السلاح فلما رآهم ابن المعتز من حوله فر منهزما ومعه وزيره وقاضيه بلا قتال، وقبض المقتدر على الفقهاء والأمراء الذين خلعوه وسلموا إلى يونس الخادم فقتلهم.. [۸۰] . وفي زمن المقتدر حوكم الحلاج من قبل الفقهاء وحكموا بقتله بعد أن اتهموه بادعاء الألوهية والدعوة إلى القرامطة.. [۸۱] . ويروى عن الخليفة القادر أنه كان من الديانة والسيادة وإدامة التهجد بالليل وكثرة البر والصدقات وحسن الطريقة على صفة اشتهرت عنه وعرف بها كل أحد مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد. تفقه على يد أبي بشر الهروي الشافعي، وقد صنف كتابا في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث

بجامع المهـدى ويحضـره الناس، وترجم له ابن الصـلاح فى طبقات الشافعية [۸۲] . [ صـفحه ۲۹] ولما هيمن السـلاجقة على بغداد فى عهـد الخليفة القائم وظهر الوزير الفقيه نظام الملك وزير ألب أرسـلان أبطل ما كان عليه الحال من قبل الوزير عميد الملك من سب الأشاعرة والتعصب للحنابلـة وانتصـر للشافعية وأعلى من قدر الأشاعرة وأكرم إمامهم الجوينى إمام الحرمين وأبا القاسم القشـيرى وبنى المدرسـة النظاميـة وهى أول مدرسة بنيت للفقهاء.. [۸۳] . وتولى الخلافـة بعد القائم بأمر الله المقتدى بأمر الله وكان عمره تسـعة عشـر عاما وأتم بيعته من الفقهاء أبى إسـحاق الشـيرازى وابن الصـباغ والدامغانى. وقام المقتدى بعزل فخر الدولة بن جهير من الوزارة لكونه شـذ عن الحنابلة.. [۸۴] . ويروى السـيوطى أن السـلطان السـلجوقى ملكـ شاه ضـيق الخناق على المقتدر فدعا عليه فاستجاب الله دعائه ومـات ملكـ شـاه فعـد الفقهاء ذلكـ من كرامات المقتـدر.. [۸۵] . ويروى عن الخليفـة المسترشـد بـالله أنه سـمع الحـديث عن فقهـاء الحـديث وذكره ابن الصـلاح فى طبقـات الشافعيـة. وهو الـذى صـنف له الفقيه أبو بكر الشاشـى كتـابه العمـدة فى الفقه وبلقبه اشـتهر الكتاب فإنه كان حنيئـذ يلقب عمدة الدنيا والدين وذكره ابن السـبكى فى طبقات الشافعية.. [۸۶] . وتولى بعد المسترشد ولده الراشـد فـأراد السـلطان مسعود السـلجوقى خلعه فجمع الفقهاء وكتب محضـرا فيه شـهادة طائفـة بما جرى من الراشـد من الظلم وأخـذ الأموال وسـفكـ الـدماء وشـرب الخمر، واسـتفتاهم فيمن فعـل ذلـكـ هل تصـح إمامته؟ فأفتى الفقهاء بجواز خلعه، وحكم بخلعه، وبايعوا عمه محمـد بن المسـتظهر ولقب المقتفى لأـمر الله، وقتل الراشـد بعـد ذلكـ كما قتل أبيه من قبل.. [۸۷] . ويروى الفقهـاء عن المقتفى قول الرسول (ص): لاـ يزداد الأـمراء إلاـ شـدة ولا الناس إلا شـحا ولا تقوم الساعـة إلا على شـرار الناس.. [۸۸] . [ صـفحه ۳۰] ويقول ابن الجوزى عن الخليفة المستضئ بأمر الله: وفى خلافته انقضت دولة بنى عبيد – الدولة الفاطمية – وخطب له بمصر وضربت السكة باسمه وجاء البشـير بذلكـ فغلقت الأسواق فى بغداد وعملت القباب، وصنفت كتابا سميته (النصر على مصر).. [۸۹] . وقال الذهبى: فى أيامه ضعف الرفض – التشيع – ببغـداد ووهى، وأمن النـاس، ورزق سـعادة عظيمـة فى خلاـفته، وخطب له باليمن وبرقـة ومصـر إلى أسوان ودانت الملوكـ بطاعته وذلكـ سنة سبع وستين وخمسمائة.. [۹۰] . وقال العماد الكاتب: استفتح السلطان صلاح الدين سنة سبع وستين وخمسـمائة بإقامـة الخطبـة فى الجمعـة الأـولى منهـا بمصـر لبنى العباس وعفت البدعـة وصـفت الشـرعة.. [۹۱] . ويروى عــن الخليفة المستنصـر بـالله أنه أنشـأ المدرسـة المستنصـرية ورتب فيهـا الرواتب الحسـنة لأهل العلم على المـذاهب الأربعـة. كما رتب فيها مطبخا للفقهـاء بالإضافة إلى البسـط والحصـر لبيوتهم والزيت والورق والحبر وغير ذلـكـ وجعـل لهم فوق ذلكـ فى الشـهر دينارا ونقل إليها الكتب النفيسة.. [۹۲] . ويروى عن المسـتعصم بالله: كان متـدينا متمسـكا بالسـنة وخرج له الفقهاء أربعين حديثا، قال السـيوطى: رأيتها بخطه.. [۹۳] . وقد اسـتخدم حكام بنى العباسـى الفقهاء فى محاربة الدولة الفاطمية فى مصـر والتى ضـمت إليها الشام وأصبحت تهدد الخلافة العباسـية فى بغداد.. ومن صور هذه الحرب حملات التشكيكـ التى شنها الفقهاء حول نسب الفاطميين إلى بيت الرسول (ص) ومحاولاتهم ربط نسب الفاطميين باليهود.. وقـد كتب الفقهاء محضـرا فى بغداد يطعن فى نسب الفاطميين هذا نصه: [ صـفحه ۳۱] هذا ما شـهد به الشـهود أن معد بن إسـماعيل المسـتولى على مصـر، هو معد بن إسـماعيل بن عبد الرحمن بن سـعيد، وأنهم منتسـبون إلى ديصان بن سـعد الدين ينتسب إليه الديصانية، وأن سـعيد المذكور صار إلى المغرب وسـمى بعبيد الله ولقب بالمهدى وأن هذا الناجم الحاكم بمصـر هو منصور الملقب بالحاكم – حكم الله عليه بالبوار والدمار – ابن نزار بن معد بن إسـماعيل بن عبد الرحمن بن سـعيد، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس – عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين – أدعياء خوارج لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب – رضوان الله عليه – ولاـ يتعلقون منه بنسب، وأن مـا ادعوه من الانتسـاب إليه باطـل وزور، لم يتوقف أحـد من أهل بيوتات الظالمين من إطلاـق القول فى هؤلاـء لأـنهم خوارج أدعيـاء، وأن هـذا الإنكار لباطلهم كان سابقا بالحرمين وفى أول أمرهم بالمغرب انتشـر انتشارا عظيمـا، وأن هـذا الناجم بمصـر هو وسـلفه كفار وفساق وزنادقـة ملحـدون معطلون وللإسـلام حاجزون ولمـذهب الثنويـة والمجوسـية معتقدون. عطلوا الحدود وأباحوا الفروج وأحلوا الخمور وسـفكوا الدماء وسـبوا الأنبياء وادعوا الربوبية وكتب ذلكـ فى ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة، وشـهد بذلكـ من العلويين الشـرفاء: المرتضى والرضى الموسويان، وجماعة منهم، وشهد من الفقهاء المعتبرين الشيخ

أبو حامد الاسفراینی، وأبو الحسن القدوری، وقاضی القضاهٔ محمد بن أحمد، وأبو عبد الله البیضاوی.. وقد انساق الفقهاء والمؤرخون وراء هذه الدعوی دون تدبر باستثناء المقریزی الذی انتقد هذا المحضر واعتبروا ما یقال فی الفاطمیین إنما هو من صنع خلفاء بنی العباس وهو من قبیل الموضوعات.. [ صفحه ۳۲] - الفقهاء والأیوبیین: کان صلاح الدین شافعیا أشعریا متعصبا وعندما جاء إلی مصر مع أسد الدین شیرکوه بأمر نور الدین محمود لدعم مصر فی مواجههٔ الفرنجهٔ. أکرمه الخلیفهٔ الفاطمی العاضد ووزره بعد وفاهٔ شیرکوه، فما أن تمکن صلاح الدین حتی دبر للعاضد فلم یزل أمره فی ازدیاد وأمر العاضد فی نقصان.. [۹۴] . وعندما سقطت الدولهٔ الفاطمیهٔ بعد وفاهٔ العاضد سیرت الخلع من بغداد إلی نور الدین وصلاح الدین وللخطباء بالدیار المصریهٔ وأرسلت معهم الرایات السود رایات العباسیین [۹۵] . وأخذت بطانهٔ الفقهاء المحیطهٔ بصلاح الدین تحرضه علی الشیعهٔ فقام بصرف قضاهٔ مصر الشیعهٔ وفرض المذهب الشافعی وحمل الکافهٔ علی عقیدهٔ الأشعری فی مصر وبلاد الشام ومنها إلی أرض الحجاز والیمن وبلاد المغرب حتی أصبح الاعتقاد السائد الممثل لأهل السنهٔ فی سائر هذه البلاد ومن خالف عن ذلک ضرب عنقه.. [۹۶] . وولی صلاح دین صدر الدین عبد الملک بن درباس الکردی قضاء القاهرهٔ.. [۹۷] . وقبض علی أولاد العاضد وحبسهم واستولی علی ما کان بالقصور من أموال وفرق بین الرجال والنساء لیکون ذلک أسرع إلی انقراضهم.. یقول ابن خلکان القاضی معبرا عن فرحته بما فعل صلاح الدین وشماتته بالفاطمیین: وکانت هذه الفعلهٔ من أشرف فعاله فلنعم ما فعل، فإن هؤلاء کانوا باطنیین زنادقهٔ وأضحی الدین واحد بعد أن کان أدیانا والبدعهٔ خاشعهٔ، والجمعهٔ جامعهٔ، والمذلهٔ فی شیع الضلالهٔ شائعهٔ، وحقت علیهم الکلمهٔ تشریدا وقتلا (وتمت کلمهٔ ربک صدقا وعدلا) [۹۸] . وقام صلاح الدین بإحراق نفائس الکتب التی حوتها دار الحکمهٔ بالقاهرهٔ ودار العلم الفاطمیتین وأغلق جامع الأزهر وأبطل الخطبهٔ فیه فلم یزل معطلا عن إقامهٔ الجمعهٔ فیه مائهٔ عام حتی عصر السلطان الظاهر بیبرس... [۹۹] . [ صفحه ۳۳] وکان نجم الدین الخبوشانی الفقیه الشافعی ندیم صلاح الدین یحرضه علی الشیعهٔ ویفتیه بوجوب استئصالها، وکان محل ثقته ورضاه، ولما مات وجد لدیه ألوف الدنانیر قد جمعها بغیر الحق ولم یصرفها فی وجوهها المشروعهٔ وأسف علیه صلاح الدین وخاب ظنه فیه.. [۱۰۰] . وکان نور الدین محمود یجمع الفقهاء من حوله ویستقدمهم من بلاد شتی ویعظمهم ویکرمهم وقد عهد للفقیه عماد الدین عمر بن حمویه بولایهٔ خوانق دمشق وکان من المقربین إلیه وأطلق علیه لقب شیخ الشیوخ، ثم بعد وفاته عهد صلاح الدین الذی کان قد تولی السلطنهٔ بعد وفاهٔ نور الدین - إلی صدر الدین محمد بن عماد الدین عمر بن حمویه بولایهٔ مشیخهٔ دمشق وقام بنقله بعد ذلک إلی مصر لیتولی أمر المدرسهٔ الصالحیهٔ وهی مدرسهٔ خاصهٔ تدرس المذاهب الأربعهٔ وذلک بهدف تطویق المذهب الشیعی هناک والقضاء علی آثاره وهذه المدرسهٔ کان یدرس بها الحنبوشانی قبل وفاته [۱۰۱] . وتجاوز صدر الدین هذا الدور فی ظل الدولهٔ الایوبیهٔ إلی القیام بدور سیاسی إذ کان رسول العادل الایوبی إلی الخلیفهٔ العباسی الناصر لدین الله، وکان رسول الملک الکامل محمد نائب السلطنهٔ بمصر إلی والده السلطان العادل بدمشق، ورسوله إلی بغداد... [۱۰۲] . وقد لعب أولاد صدر الدین الأربعهٔ وهم عماد الدین، وکمال الدین ومعین الدین وفخر الدین دورا بارزا فی مساندهٔ الحکم الأیوبی حتی سقوطه، وتولی عماد الدین التدریس مکان والده فی المدرسهٔ الصلاحیهٔ وبالمشهد الحسینی وکان ملازما للملک الکامل وقد جمع له بین ریاسهٔ العلم والقلم... [۱۰۳] . وبعد مقتل عماد الدین تولی مکانه شقیقهٔ کمال الدین واستعان به الملک الکامل فی حسم الصراع مع إخوته علی السلطهٔ، ثم ولاه بعد ذلک الوزارهٔ فی الدیار المصریهٔ فی آخر عام (۶۲۷ هـ) وحصل علی لقب شیخ الشیوخ، واعتمد علیه الملک الصالح نجم الدین أیوب بعد ذلک فی مواجههٔ منافسیه والخارجین علیه من الأمراء.. [۱۰۴] . [ صفحه ۳۴] ونفس الدور قام به بع وفاته شقیقه الثالث معین الدین الذی کان رسول الملک الکامل محمد إلی الخلیفهٔ المستنصر فی بغداد وألقی أمامه کلمهٔ تقول: عبد الدولهٔ المقدسهٔ المستنصریهٔ یقبل القباب التی یستشفی بتقبیل ثراها ویستکفی بتمسکه من عبودیتها بأوثق عراها، ویوالی شکر الله تعالی علی إماطهٔ لیل العزاء الذی عم مصابه بصبح الهناء الذی تم نصابه حتی تزحزح عن شمس الهدی شفق الاشفاق فجعل کلمتها العلیا وکلمهٔ معادیها السفلی وزادها شرفا فی الآخرهٔ والأولی، ثم تولی الوزارهٔ من قبل نجم الدین... [۱۰۵] . أما الشقیق الأصغر فخر الدین فقد خلع العمامهٔ ولبس زی الأمراء ونادم الملک

الكامل وتخلى عن دوره الفقهى... [۱۰۶] . - الفقهاء والمماليك: ورث المماليك عن الأيوبيين مذهب الأشعرى في العقيدة والشافعى في الفقه الذى فرضهما السلطان صلاح الدين على المصريين بعد تصفية الوجود الشيعى فيها... [۱۰۷] . وفى سنة (۶۶۵ هـ) أصدر الملك الظاهر بيبرس مرسوما بقصر التعامل فى مجال الفتوى على أحد المذاهب الأربعة وفى مجال العقيدة على مذهب الأشعرى.. [۱۰۸] . ولما كان حكام المماليك أصولهم من الرقيق كانت حاجتهم إلى الشرعية أشد من حاجة غيرهم من الحكام فمن ثم قد احتضنوا الفقهاء وقربوهم وأنعموا عليهم بالمناصب والعطاء فأصبحوا ظلهم الدائم لا ـ يقطعوا أمرا دونهم.. وكان فقهاء الشافعية هم الأقراب دوما من السلطان وأكثر المتولين لمناصب القضاء على مستوى مصر والشام دائرة حكم المماليك.. وكان حكام المماليك يمارسون سنة الأيوبيين والعباسيين من قبلهم فى اختيار السلطان ومبايعته بشهادة الفقهاء ومباركتهم.. [ صفحه ۳۵] ويحدثنا التاريخ أن الفقهاء وحكام المماليك كانوا فى حالة وئام وتعايش ولم تبرز حالة صدام واحدة بين الطرفين رغم وجود شبهات شرعية حول تولى الرقيق أمر المسلمين ورغم أن الطرف الحاكم كان شديد التعسف والظلم للرعية.. [۱۰۹] . وحين سقطت الدولة العباسية على يد التتار عمل الظاهر بيبرس على إحياء الخلافة العباسية فى مصر فاستقدم أحد أبناء العباسيين وهو أحمد بن الخليفة الظاهر بن الخليفة الناصر والذى كان قد فر هاربا من وجه التتر... وخرج الظاهر بنفسه ومعه وزيره وقاضى القضاء تاج الدين بن بنت الأعز والفقهاء والأمراء لإستقباله وأسكنه قلعة الجبل ثم أشهد قاضى القضاة والفقهاء بأن نسبه يتصل بالعباس بن عبد المطلب وأقر بذلك القضاة والفقهاء، فقام السلطان بيبرس فبايعه وتبعه القضاة والفقهاء ولقب بالمستنصر بالله.. [۱۱۰] . ولم تكن فكرة نقل الخلافة العباسية إلى مصر سوى واجهة لحكام المماليك يستمدون منها الشرعية التى افتقدوها بسبب انتسابهم إلى الرق. ففى نفس العام الذى وصل فيه المستنصر العباسى إلى مصر وهو عام (۶۵۹ هـ) قام بيبرس بجمع القضاة والفقهاء وجاء بالمستنصر ليخلع عليه خلعة السلطنة ويقلده حكم البلاد وتم ذلك فى حفل كبير.. [۱۱۱] . وكان الخليفة العباسى فى ظل حكم المماليك لا يملك من الأمر شئ فهو ليس إلا مجرد صورة وتنحصر مهمته فى تقليد سلاطين المماليك وتفويضهم لحكم البلاد، وإذا ما بدرت منه بادرة أثارت ريب السلطان فإنه لا يتردد فى عزله وحبسه أو قتله وتولية الخلافة لمن يشاء من أبناء العباسيين فى مصر.. [۱۱۲] . وقد عايش الفقهاء هذا الوضع المتناقض والمخالف لقواعد الفقه والاعتقاد التى ورثوها عن طريق السلف والروايات.. [۱۱۳] . [ صفحه ۳۶] وحين برز ابن تيمية واصطدم بفقهاء عصره بسب أفكاره الشاذة فى مسألة صفات الله وزيارة القبور والطلاق وغيرها من المسائل انحاز إليه بعض أمراء المماليك وعاداة الطرف الآخر، ورغم العلاقة التى كانت تربطه بالسلطان محمد بن قلاوون إلا أنه ضحى به فى النهاية تحت ضغط الفقهاء والقضاة وحبسه حتى مات فى الحبس.. [۱۱۴] . وفى عصر السلطان الناصر فرج الذى حفل بالمظالم والاضطربات وسفك الدماء دخل فرج فى صدامات مع الأمراء الخارجين عليه فى الشام ولحقت به الهزيمة النكراء فاستدعى الفقهاء والقضاة وحثهم على نصرته والقيام معه فأجابوه.. [۱۱۵] . وحين أطيح بالناصر واستبد الأمراء بالحكم تحت ستار الخليفة المستعين، وعاد فرج للمطالبة بالحكم بقوة عسكرية. كتب المستعين والقضاة والفقهاء محضرا يحكمون بمقتضاه على الناصر فرج بالخروج عن الدين واستباحة دمه.. [۱۱۶] . ولما سقط الناصر فرج فى قبضة الأمراء اجتمع المستعين والفقهاء من مصر والشام وقرروا جميعا الحكم بإراقة دمه، فقتل فى صفر عام (۸۱۵ هـ).. [۱۱۷] . ثم أن القضاة الأربعة - الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى - اجتمعوا بعد ذلك بإشارة من كاتب سر السلطان المؤيد شيخ واتفقوا على خلع الخليفة المستعين.. [۱۱۸] . وكان حكام المماليك إذا ما خرجوا للحرب يأخذون الفقهاء معهم ضمن عناصر الجيش [۱۱۹] . وقد عبر ابن حجر العسقلانى عن سعادته بانتصار المستعين على المماليك واسترداده لسلطاته قبل أن يطاح به من جديد - بقصيدة طويلة تقول: الملك فينا ثابت الأساس++ بالمستعين العادل العباسى رجعت مكانة آل عم المصطفى++ لمحلها من بعد طول تناسي [ صفحه ۳۷] فرع نما من هاشم فى روضة++ زاكى المنابت طيب الأغراس من أسرة أسروا الخطوب وطهروا++ مما يغيرهم من الأدناس مثل الكوكب نوره ما بينهم++ كالبدر أشرق فى دجى الأغلاس فالحمد الله المعز لدينه++ من بعد ما قد كان من إبلاس ومناقب العباسى لم تجمع سوى++ لحفيده ملك الورى العباسى لا ـ تنكروا للمستعين رئاسة++ فى الملك من بعد الجحود الناس

مولای عبـدک قد أتی لک راجیا++ منک القبول فلا یری من بأس فأدام رب الناس عزک دائما++ بالحق محروسا برب الناس. [۱۲۰] . ویقول السیوطی مبارکا هذه الفترهٔ: واعلم أن مصر حین صارت دار الخلافهٔ عظم أمرها وکثرت شعائر الإسلام فیها، وعلت فیها السنهٔ، وعفت عنها البدعـهٔ، وصارت محل سـکن العلماء ومحط رحال الفضـلاء، وهـذا سـر من أسـرار الله أودعه فی الخلافـهٔ النبویـهٔ حیث ما کانت یکون معها الإیمان والکتاب.. [۱۲۱] . – الفقهاء والعثمانیین: وضع العثمانیون حجر الأساس لأول مؤسـسهٔ دینیهٔ حکومیهٔ تخضع لإشـراف الحکم فی تاریـخ المسـلمین، وقبلهم کان الحکام یتعاملون مع الفقهاء وفق الحاجـهٔ والمصـلحهٔ. فتارهٔ یقربون الشافعیهٔ.. وتارهٔ ینقمون علیهم.. وتـارهٔ یقربون المالکیـهٔ.. وتـارهٔ ینقمون علیهم.. وکـان من الممکن للحاکم أن یتعامل مع فقهاء المـذاهب الأربعـهٔ فی وقت واحـد. کمـا کـان الفقهـاء والقضـاهٔ یـدینون بالطاعـهٔ والولاـء للحـاکم ولکهنم لم یکونـوا ینطقون جمیعهم بلسـانه [ صـفحه ۳۸] ویعتمـدون فی أرزاقهم علیه.. إلا أن العثمانیین بإعلانهم مؤسـسهٔ شـیخ الإسـلام قـد حکروا الدین فی دائرهٔ هذه المؤسـسهٔ التی منحت الشـرعیهٔ وفق مـذهب الأحناف الـذی تبنته الدولـهٔ العثمانیـهٔ بینما أخرجت المـذاهب والاتجاهات الأخری من دائرهٔ الحمایـهٔ الحکومیهٔ لتتحول إلی أنشـطهٔ فقیهـهٔ أهلیـهٔ لا تملک القدرهٔ علی التأثیر فی الجماهیر والانتشار علی ساحهٔ الواقع بل أصـبحت محل رصد السـلطهٔ وتحیـط بها الشـبهات وتوضع أمامها العراقیل.. [۱۲۲] . وتحول الفقهـاء إلی موظفین فی الدولـهٔ فأصـبحوا ینتظرون تعلیماتهـا وینطقون بلسانها ویفتون لصالحها.. ومن باب حمایـهٔ هـذه المراکز الوظیفیهٔ والامتیازات التی ترتبط بها اتخذ فقهاء الدولهٔ موقف العداء الصـریح من الفقهاء والأنشـطهٔ والتیارات التی لا تخضع لهم وتنازعهم دورهم وتهـدد نفوذهم وتوقع بینهم وبین الحاکم... وبدایهٔ من هذه الفترهٔ ظهرت طبقتان من الفقهاء: طبقهٔ حکومیهٔ. وطبقهٔ شـعبیهٔ. وبین الطبقتین صـراع قائم ومسـتمر کثیرا ما یسـهم الحاکم فی زیادهٔ حدته من باب سـیاسهٔ فرق تسد ومن باب شـغل الجمیع ببعضهم.. ولقد استقبل الفقهاء العثمانیین کفاتحین مسلمین جاءوا لتحریرهم من استعمار الممالیک واعترفوا بهم کخلفاء شـرعیین. یقول ابن العماد عن سـلیم الأول العثمانی: هو من بیت رفع الله علی قواعده فسـطاط السـلطنهٔ الإسـلامیهٔ، ومن قوم أبرز الله تعالی لهم ما ادخره من الاستیلاء علی المـدائن الایمانیـهٔ رفعوا عماد الإسـلام وأعلوا مناره وتواصوا باتباع السـنهٔ المطهرهٔ وعرفوا للشرع الشریف مقداره وصاحب الترجمهٔ منهم – أی سلیم – هو الذی ملک بلاد العرب واستخلصها من أیدی [ صفحه ۳۹] الجراکسـهٔ – الممالیـک – بعـد مـا شـتت جمعهم... [۱۲۳] . ویقول الشـیخ مرعی الحنبلی مثنیـا علی سـلیم الأول لتصـدیه لإسـماعیل الصـفوی الشـیعی مؤسـس الدولهٔ الصـفویهٔ فی إیران: وفی أیامه تزاید ظهور شأن إسـماعیل شاه واسـتولی علی سائر ملوک العجم وقتل العلماء وأحرق کتبهم ونبش قبور المشایخ من أهل السنهٔ، فلما بلغ السلطان سلیم ذلک تحرکت همته لقتاله وعد ذلک من أفضل الجهاد.. [۱۲۴] . وعندما دخل سلیم الأول حلب وحضر صلاهٔ الجمعهٔ فیها خطب الخطیب باسمه ونعته بخادم الحرمین الشریفین فسـجد لله شـکرا ثم ارتحل إلی الشام وأمر بعمارهٔ قبـهٔ علی الشـیخ محی الـدین بن عربی بصالحیهٔ دمشق.. [۱۲۵] . وعندما دخل سـلیم الأـول مصـر ودانت له اسـتقبله الفقهـاء والقضـاهٔ فقـام بتولیـهٔ الأـربع وهم کمـال الـدین الشـافعی ونور الـدین علی الطرابلسـی الحنفی والدمیری المالکی وشـهاب الدین بن النجار الحنبلی... [۱۲۶] . وکان القاضـی بن ظهیره الشافعی قاضـی مکهٔ قد حبس بمصر بأمر من السـلطان الغوری ثم أطلقه طومان بای بعـد مصـرع الغوری فی وقعـهٔ مرج دابق، ولما جاء سـلیم الأول مصـر جاء إلیه بن ظهیره فأکرمه وعظمه وخلع علیه وجهزه إلی مکـهٔ معززا مکرمـا مع الإحسـان إلیه وجعله نـائبه فی تفریـق الصـدقات السـلیمیهٔ.. [۱۲۷] . ولمـا دخل السـلطان سـلیم الأول إلی مدینهٔ تبریز لقتال شاه إسماعیل الصفوی أخذ معه إلی بلاد الروم الفقیه ظهیر الدین الأردبیلی الحنفی الشهیر بقاضـی زاده وعین له کـل یوم ثمـانین درهمـا.. [۱۲۸] . وفی سـنهٔ (۹۵۶ هـ) جلس المـولی عبـد الکریم الملقب بمفـتی شـیخ الرومی الحنفی بقسـطنطینیهٔ مشـتغلا بالارشاد والفقه حتی أتقن مسائلهٔ وعین له السلطان سلیمان کل یوم مائهٔ عثمانی [ صفحه ۴۰] ونصبه مفتیا فـأفتی وظهرت مهارته فی الفقه... [۱۲۹] . ولم یکن حکم الأتراک العثمانیین یختلف فی شـئ عن حکم الأمویین والعباسـیین وغیرهم من الدول الجائرهٔ المسـتبدهٔ التی کان الدین بالنسـبهٔ لها مجرد شعار ولا تطبق أحکامه إلا علی الرعیهٔ.. وقد أحدث السلطان مراد الأول منصب قاضـی العسـکر الـذی کان صاحب سـلطهٔ مطلقـهٔ تجاوزت الحـدود العسـکریهٔ إلی السـیطرهٔ علی القضاهٔ والفقهاء والموظفین..

[۱۳۰] . وخضت الهيئات الدينية والقضائية بعد عهد سليم الأول لمفتى استانبول أو ما أطلق عليه مفتى التخت السلطانى أو شيخ الإسلام، وعمل السلطان محمد الثانى وسليمان الأول على ودعم مركز شيخ الإسلام وتقوية شوكته ورفعه إلى أعلى المناصب الإدراية فى الدولة.. [۱۳۱] . ومع بروز الحركة الوهابية الحنبلية فى جزيرة العرب وإعلانها الحرب على دولة الخلافة العثمانية، استثمر العثمانيون الفقهاء فى مواجهتها وإبطال دعواها.. إلا أن الحركة الوهابية رغم الضربات القاتلة التى وجهت لها على يد محمد على حاكم مصر وقواته تمكنت من الانتصار على العثمانيين فى النهاية والاستقلال بجزيرة العرب وذلك بدعم آل سعود وقوى أجنبية أخرى معادية للعثمانيين على رأسهم الانجليز... [۱۳۲] . والعجيب أن الأفكار الحنبلية التى تبنتها تلك الحركة لا ـ تنص على فكرة الخروج على الحاكم تحت أى دعوى، وأن نصوص أمام الحنابلة صريحة فى ذلك.. [۱۳۳] . والأكثر عجبا أن الوهابيين أقاموا نظام حكم فى جزيرة العرب لا ـ يمت بصلة إلى نظام الخلافة وكان أسوا بكثير من نظام حكم العثمانيين.. وتعايش الفقهاء مع حكم آل سعود فى داخل الجزيرة وفى خارجها رغم أن عقيدة أهل السنة تنص على عدم جواز البيعة والطاعة لإمامين فى وقت واحد توجب قتل الإمام الثانى [ صفحه ۴۱] بحكم خروجه على الإمام الأول وحسب نص الحديث.. [۱۳۴] . ثم استولى آل سعود على الحرمين وأخضعوهما لسياستهم وبارك الفقهاء هذا الوضع رغم ما يحمل من نتائج سلبية تنعكس على ممارسة الشعائر فى هذين المكانين حيث أخضع الوهابيون الحرمين لأفكارهم الحنبلية المتشددة ومنعوا أية ممارسات ترتبط بالمذاهب الأخرى خاصة فيما يتعلق بزيارة قبر الرسول وآثار النبى وآل البيت.. [۱۳۵] . وقد أكثر الفقهاء من البكاء والعويل على دولة الخلافة الزائلة وإنزال اللعنات على مصطفى كمال أتاتورك والحكم بكفره، ثم ما لبثوا أن وجدوا بديلا يعطى بلا حساب فاتجهوا نحوه بقلوبهم وألسنتهم وهو الحكم السعودى، فهو من منظورهم الحكم الوحيد الباقى على وجه الأرض الذى يرفع راية الإسلام ويطبق شرع الله.. [۱۳۶] . والحق أن نظام الحكم السعودى ليس إلا امتدادا للحكم الأموى والعباسى والأيوبى والمملوكى والعثمانى والإسلام عنده ليس سوى شعار والشرع عنده خاص بالرعية.. [۱۳۷] .

– الأزهر والحكام: ومع بداية ضعف الدولة العثمانية واستقلال الولايات التابعة لها عنها بدأت المؤسسات الدينية فى تلك الولايات فى الاستقلال عن المؤسسة الأم فى الاستانة. وقامت الحكومات فى تلك الولايات خاصة فى مصر والشام بدعم المؤسسة الدينية فيها بهدف تطويق نظام الخلافة العثمانية من هنا برز دور الأزهر كمؤسسة دينية استثمرتها الحكومات فى إضفاء المشروعية على نظام الحكم فى مصر، بل أن هذه المؤسسة أسهمت بدور كبير فى محاولة نقل مقر الخلافة الإسلامية إلى مصر وتنصيب فؤاد الأول خليفة للمسلمين وذلك بعد إعلان سقوط الدولة [ صفحه ۴۲] العثمانية عام (۱۹۲۴ م).. [۱۳۸] . وبارك الأزهر مواقف وممارسات الملك فؤاد ومن بعده الملك فاروق وتغاضى عن الانحرافات والمفاسد التى ارتبطت بعصرهما.. وفى العصر الجمهورى ارتبط الأزهر بالحكم بصورة أكبر حتى تحول إلى مؤسسة من مؤسسات الدولة وقد تمثل موقفه المداهن للحكم الشديد الارتباط به فى انحيازه الكامل إلى صف عبد الناصر ضد الإخوان المسلمين وإصداره الفتاوى المتطرفة والعدائية ضدهم ثم تبلور أكثر فى تبنيه الخط الاشتراكى الذى تبناه عبد الناصر والخط السياسى المعادى لإسرائيل والغرب الذى انتهجته الدولة فى فترة الستينيات.. [۱۳۹] . وفى فترة السبعينيات انقلب موقف الأزهر سيرا مع الاتجاه الجديد للحكم الذى أعلن المصالحة مع الأخوان المسلمين والاعتراف بالكيان الصهيونى فى فلسطين والارتباط بالغرب وتم توظيفه ليلعب دورا ضد الشيوعية والعلمانية.. [۱۴۰] . وفى فترة الثمانينيات انقلب الأزهر على التيار الإسلامى وإيران والشيعة سيرا مع التوجه الجديد لنظام الحكم ولا يزال على هذا الموقف.. [۱۴۱] . ومن الملاحظ أن ارتباط الأزهر بنظام الحكم الجمهورى قد أغرقه فى السياسة وباعد بينه وبين دوره الفقهى ويعود السبب المباشر فى ذلك إلى اندماجه وذوبانه داخل الدولة حتى أصبح المفتى وشيخ الأزهر كلاهما يعينان بقرار من رئيس الجمهورية. ولم يعد لمفتى الجمهورية من دور سوى أن يرصد حركة الأهلة ليعلم الناس بقدوم شهر رمضان وعيد الفطر والأضحى بالإضافة إلى المهمة التشريعية التى شرفه بها القضاة وهى إبداء الرأى فى حالات الحكم بالإعدام على الأشخاص والنظر فى مدى مطابقتها لأحكام [ صفحه ۴۳] لشرع واعتراضه على هذه الأحكام لا يغير من الأمر شئ.. [۱۴۲] . وأصبح هذا هو حال المفتى – موظف الدولة – فى جميع بلاد المسلمين سيرا مع السنة التى سنها

العثمانيين... كذلك الحال بالنسبة لشيخ الأزهر فهو أشبه بمدير جامعة إلا أن المكانة التاريخية للأزهر قد أضفت عليه قداسة في قلوب المسلمين في كل مكان مما جعلهم يطلقون عليه اسم الإمام الأكبر.. لكن ظهور النفط في جزيرة العرب قد مكن آل سعود من أن يلعبوا دورا في المحيط الإسلامي - بالإضافة إلى سيطرتهم على الحرمين - نافسوا به الأزهر بل تفوقوا عليه في مواطن كثيرة تمكنوا من استقطاب الرموز والهيئات الإسلامية سخروها لنشر الفكر الوهابي وتعميمه في كل مكان ليصبح المذهب الحنبلي مذهبا عالميا لأول مرة في تاريخه وكان قبل ذلك يقبع في زاوية مظلمة من زوا يا التاريخ.. [۱۴۳] . وقد تجاوز الأمر هذا الحد بأن تمكن السعوديون من اختراق الأزهر واستقطاب رموزه إلى صف الدعوة الوهابية المعادية له كمؤسسة تتبنى الخط الحنفي وتتعايش مع الخط الصوفي والشيعي وكلا الخطين خصمين عنيدين للوهابية.. وإذا كان السعوديون قد تمكنوا من دفع الأزهر إلى معاداة الشيعة وإعلان الحرب على إيران إلا أنهم لم يتمكنوا من دفعة نحو محاربة الطرق الصوفية ويعود السبب في ذلك إلى سياسة الدولة المعادية لشيعة وإيران والتي فتحت الباب أمام الأزهر ليلعب هذا الدور ضد الشيعة وإيران ولم تفتحه في مواجهة الطرق الصوفية المتحالفة معها والتي تلعب دورا في وسط المسلمين هو أكبر بكثير من دور الأزهر.. - نصوص الفقهاء في الحكام: اعتمد الفقهاء اعتمادا كبيرا على النص المنسوب للرسول (ص) الذي يقول: الأئمة من [ صفحه ۴۴] قريش، واعتبروا أن هذا النص هو الذي حسم الخلاف والصراع الذي دار في سقيفة بني ساعده لاختيار الإمام من بعد الرسول.. قال البغدادي: قال أصحابنا أن الشرع قد ورد بتخصيص قريش بالإمامة ودلت الشريعة على أن قريشا لا تخلوا ممن يصلح للإمامة، فلا يجوز إقامة الإمام للكافة من غيرهم.. [۱۴۴] . واشترط الفقهاء في الإمام أربعة شروط: الأول: العلم الثاني: العدالة والورع.. الثالث: السياسة وحسن التدبير.. الرابع: النسب من قريش.. [۱۴۵] . ومن الثابت تاريخيا أن أغلب الذين تولوا الحكم في بلاد المسلمين بداية من العصر الأموي وحتى عصرنا هذا لم تكن تتوافر فيهم هذه الشروط اللهم إلا شرط القرشية الذي توافر في الأمويين والعباسيين ولم يتوافر في السلاجقة الترك أو الأيوبيين الأكراد، أو المماليك الرقيق أو العثمانيين الترك، ومع ذلك دان الفقهاء لهؤلاء الحكام وأقروا لهم بالسمع والطاعة وألزموا الرعية بذلك.. وعندما قامت الدولة الفاطمية في مصر وحكامها ينسبون إلى قريش رفضوها ورموها بالكفر والزندقة لأنها لا تلتزم عقيدتهم ولا تتبع نهجهم ورواياتهم في الوقت الذي كانوا يدينون فيه بالطاعة والولاء لحكام زنادقة سفاحين ضاق بهم العباد من الأمويين والعباسيين وغيرهم.. [۱۴۶] . أما عن طريقة اختيار الإمام أو الخليفة فقد اختلف الفقهاء في هذا الأمر: قال الأشعري: إن الإمامة تنعقد لمن يصلح لها بعقد رجل واحد من أهل الاجتهاد والورع إذا عقدها لمن يصلح لها. فإذا فعل ذلك وجب على الباقين طاعته.. [۱۴۷] . [ صفحه ۴۵] وقال القلانسي: تنعقد الإمامة بعلماء الأمة (علماء بلد الإمام) الذين يحضرون موضع الإمام وليس لذلك عدد مخصوص، فإن عقد الإمامة واحد أو جماعة لواحد وعقدها آخرون لواحد آخر وكل واحد منهما يصلح لها صح العقد السابق، فإن عقد في وقت واحد ولم يعرف السابق منهما استؤنف العقد لأحدهما أو لغيرهما.. [۱۴۸] . وقال ابن قدامة المقدسي، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.. [۱۴۹] . وقال ابن حنبل: من ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به وغلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة. ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم.. [۱۵۰] . وقال: ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله (ص) فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق.. [۱۵۱] . وقال: الخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة، والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان، وإن لم يكونوا بررة عدولا أتقياء، ودفع الخراج والفئ والصدقات والأعشار والغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أم جاروا والانقياد إلى من ولاه الله أمركم، لا تنزع يدا من طاعته ولا تخرج عليه بسيفك وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع ضال مفارق للجماعة [۱۵۲] . وقال الأشعري: وأجمعوا

على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولى شيئا من أمورهم عن رضى أو غلبه من بر وفاجر لا يلزمهم الخروج عليه بالسيف جار أو عدل وعلى أن يغزو معهم العدو ويحج معهم، وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها، ويصلى خلفهم الجمع [ صفحه ۴۶] والأعياد.. [۱۵۳] . ويقول ابن تيمية: ويرون - أى أهل السنة - إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارا كانوا أو فجارا. [۱۵۴] . وقال البر بهارى: لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام برا كان أو فاجرا ومن خرج على إمام أئمة المسلمين فهو خارجى قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميتته جاهلية. وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة، أمرنا أن ندعو لهم بإصلاح ولم نؤمر أن ندعو عليهم.. [۱۵۵] . وقال البيجورى: ولو تغلب عليها شخص - الإمامة - قهرا انعقدت له وإن لم يكن أهلاـ كصبى وامرأة وفاسق. وتجب طاعته فيما أمر به أو نهى عنه.. [۱۵۶] . ويقول أبو يعلى: والإمامة تنعقد من وجهين. أحدهما: باختيار أهل الحل والعقد.. بعهد الإمام من قبل.. فأما انعقادها باختيار أهل الحل والعقد فلا تنعقد إلا بجمهور أهل الحل والعقد. ويجوز للإمام أن يعهد إلى إمام بعده، ولا يحتاج فى ذلك إلى شهادة أهل الحل والعقد [۱۵۷] . ويرى كثير من الفقهاء أن الإمامة تنعقد بثلاثة أوجه هى: الأول: العهد إليه من سابقة كما فعل أبو بكر مع عمر حين أوصى إليه بالخلافة بعده.. [ صفحه ۴۷] الثانى: اتفاق أهل الحل والعقد، وهم مجموعة معينة من الخليفة.. الثالث: القهر، والغلبة أى الاستيلاء على الحكم بالقوة وقد حدث هذا مع كثير من الحكام على مر تاريخ المسلمين.. [۱۵۸] . وقال ابن حزم: عقد الإمامة يصح بوجوه أولها وأفضلها وأصحها أن يعهد الإمام الميت إلى إنسان يختاره إماما بعد موته وسواء فعل ذلك فى صحته أو فى مرضه وعند موته إذ لاـ نص ولاـ إجماع على المنع من أحد هذه الوجوه كما فعل الرسول (ص) بأبى بكر وكما فعل أبو بكر بعمر وكما فعل سليمان بن عبد الملك بعمر بن عبد العزيز وهذا هو الوجه الذى نختاره ونكره غيره لما فى هذا الوجه من اتصال الإمامة وانتظام أمر الإسلام وأهله ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب مما يتوقع فى غيره من بقاء الأمة فوضى ومن انتشار الأمر وارتفاع النفوس وحدوث الأطماع. فإن مات الإمام ولم يعهد إلى إنسان بعينه فوثب رجل يصلح للإمامة فبايعه واحد فأكثر ثم قام آخر ينازعه ولو بطرفه عين بعده فالحق حق الأول وسواء كان الثانى أفضل منه أو مثله أو دونه لقول الرسول (ص): فوا بيعة الأول فالأول فمن جاء ينازعه فاضربوا عنقه كائنا من كان.. [۱۵۹] . ويرى جمهور أهل السنة أن الإمام لا ينخلع بالفسق أو بالجور أو بغصب الأموال وضرب الأبشار وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود ولا يجب الخروج عليه بل يجب وعظه وتخويفه.. [۱۶۰] . وقد استفزت علاقة الفقهاء بالحكام ابن الجوزى فى زمانه فكتب يقول: ومن تلبيس إبليس على الفقهاء مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك، وربما رخصوا لهم فيما لا رخصه لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضا فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه: الأول: الأمير يقول لولا أنى على صواب لأنكر على الفقيه، وكيف لا أكون مصيبا وهو يأكل من ما لى. [ صفحه ۴۸] والثانى: العامى أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فإن فلانا الفقيه لا يبرح عنده. والثالث: الفقيه فإنه يفسد دينه بذلك، وقد لبس إبليس عليهم فى الدخول على السلطان فيقول إنما ندخل لنشفع فى مسلم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك وربما قدح فى ذلك الشخص لتفرده بالسلطان ومن تلبيس إبليس عليه فى أخذ أموالهم فيقول لك حق فيها. ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شئ وإن كانت من شبهة فتركها أولى، وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه إتفاقه فى إقامة الرعونة، وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا ما لا يستباح، وقد لبس إبليس على قوم من العلماء ينقطعون على السلطان إقبالا على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين: غيبة الناس ومدح النفس، وفى الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن فى أول الأمر ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الإنكار عليهم، وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم إليهم فى الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم فى الدنيا فتعلموا العلوم التى تصلح للأمراء.. [۱۶۱] . [ صفحه ۴۹]

## مدافع ابن حنبل

إمام المتطرفين.. [ صفحه ۵۰] تتلمذ أحمد بن حنبل على يد كثير من الفقهاء فى عصره ودرس الفقه والشريعة واللغة والحديث ثم طلق كل هذه العلوم وتفرغ للحديث وجعله موضع اهتمامه وبنى على أساسه عقيدته وتصوره ومواقفه طارحا العقل والاجتهاد جانبا.. [ صفحه ۵۱] من هنا فإن الطبرى المؤرخ والمفسر والفقيه لم يعده فى زمره الفقهاء بل عده فى زمرة المحدثين من أهل الرواية حين صنف كتابة (اختلاف الفقهاء) وأغفل ذكره مما أدى إلى ثورة الحنابلة عليه وقذفوه بالمحابر وأهاجوا عليه العامة واتهموه بالرفض – التشيع – وجعلوا يرمون بيته بالحجارة حتى حجبتها مما دفع بالشرطة إلى التدخل لحسم الأمر.. [۱۶۲] . – من الاعتدال إلى التطرف: استمر ابن حنبل يدرس الرواية ويحفظها وينقلها ويبثها بين الناس لم يكن يعترض سبيله أحد، ولم يكن يصطدم بأحد.. كانت الرواية هى حياته وشغله الشاغل وحيثما توجهه الرواية كان يتوجه حتى أنه اعتبر تبنى الرواية الضعيفة والأخذ بها خير من استخدام العقل واللجوء للرأى.. وتشكلت شخصيته وعقيدته على أساس هذه الروايات التى كانت سلاحه الأول والأخير فى مواجهة المخالفين.. وعندما تبنى المأمون نهج المعتزلة فى نهاية حكمة خرج ابن حنبل رافعا لواء المعارضة لفكر المعتزلة الذى يرجح العقل على الرواية معتبرا أن هذا الاتجاه يشكل خطورة على عقيدة السلف وعلى الرواية، وابن حنبل كان يشعر على الدوام بخطورة المعتزلة والاتجاهات الأخرى على طرحه وعلى الروايات إلا أنه لم يظهر العداء فى مواجهة هذه الاتجاهات لضعفها أمام تيار الرواية الذى كان سائدا آنذاك بالإضافة إلى تيار الفقهاء المدعوم من قبل الحكام. ولقد شكل حدث تبنى المأمون نهج المعتزلة انقلابا دينيا فى نظر ابن حنبل نقل المعتزلة من طور الاستضعاف إلى طور التمكن وفتح الأبواب أمامهم ليسودوا على حساب أهل السنة ويهدموا صرح الرواية الذى أسهم فقهاء السلف فى تأسيسه منذ عشرات السنين.. وهكذا أعلن ابن حنبل رفضه لفكرة خلق القرآن التى يتبناها المعتزلة، وشكل هذا الرفض تحديا لسلطة المأمون الذى أمر بالقبض عليه، فأحضر مكبلا بالأغلال إليه فى طرسوس. لكن القدر أنقذه من يد المأمون إذ جاءه الخبر بوفاته وهو فى الطريق إليه فأعيد إلى بغداد ووضع فى السجن، ثم مثل أمام المعتصم الخليفة الجديد وجرت له محاكمة وأصر ابن حنبل على موقفه برفض القول بخلق القرآن فضرب بشدة وأعيد إلى السجن وأخلى سبيله بعد حوالى العامين فالتزم العزلة والانقطاع طوال عصر المعتصم وعصر الواثق من بعده... [۱۶۳] . [ صفحه ۵۲] وعاش ابن حنبل فى مطاردات ومضايقات طوال عصر المعتصم والواثق حتى جاء المتوكل الذى أعلن تنبيه لنهج أهل السنة ورفضه لنهج المعتزلة وجمع المحدثين عام (۲۳۴ هـ) للرد على الجهمية والمعتزلة ونصرة الرواية.. [۱۶۴] . فى ظل هذا العصر استأنف ابن حنبل نشاطه واتخذ المتوكل من يحيى ابن أكثم وزيرا بدلا من أحمد بن داود المعتزلى الذى كان وزير المعتصم... وتقرب أحمد بن حنبل من المتوكل الذى دعاه إلى سامراء سنة (۲۳۷ هـ) لأجل إعطاء ولده المعتز دروسا فى الحديث... – المدفع الأول: كان ابن حنبل ورعا فى الفتيا والاجتهاد، ولم يكن يجرؤ على التصدى لأية قضية دون أن يكون هناك نص صريح لديه يتمثل فى رواية منسوبة للرسول (ص) أو الصحابى أو فتوى منسوبة لصحابى أو لأحد من التابعين. من هنا فقد رفض ابن حنبل أن يدون عنه شيئا من رواياته أو مسائلة مخافة أن تختلط بالكتاب والسنة.. إلا أن ولديه عبد الله وصالح لم يلتزما بذلك بعد وفاته، فقد قام عبد الله بتدوين روايات والده فيما سمى بمسند ابن حنبل وزاد عليه من عنده روايات أخرى كما أضاف إليه كتاب الزهد وزادت الروايات التى جمعها عبد الله فى مسند أبيه على ثمانية وعشرين ألف رواية.. وقام تلامذته بتدوين مسائلة وردوده فى عدة كتب تم نشرها بين المسلمين.. ويمكن تحديد نهج ابن حنبل ونوع مدافعة من خلال رسالتين من رسائله كتب أولاهما فى السجن وهى رسالة: الرد على الزنادقة والجهمية.. [ صفحه ۵۳] والثانية هى رسالة وسوف نعرض لها فيما بعد.. وتعد رسالة الرد على الجهمية والزنادقة من أقوى مدافع ابن حنبل التى صوبها نحو المسلمين والاتجاهات الأخرى المخالفة له، وعلى أساسها قامت مدارس واتجاهات عدوانية شديدة التطرف ضد العقل والآخرين حمل رايتها الحنابلة ومن سار على دربهم. يقول ابن حنبل فى رسالته فى معرض ردوده على القائلين بفكرة خلق القرآن وهم فى تصوره الجهمية ثم أن الجهمى ادعى أمرا وهو من المحال فقال: أخبرونا عن القرآن أهو الله تعالى أو غير ذلك؟ فادعى فى القرآن أمرا يوهم الناس. فإذا سئل الجاهل عن القرآن هو الله

أو غير الله، فلا بد أن يقول بأحد القولين: فإن قال هو الله، قال له الجهمى كفرت. وأن قال غير الله، قال صدقت، فلم لا يكون غير الله مخلوقا. فيقع فى نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمى. وهذه المسألة من الجهمى هى من المغاليط. والجواب للجهمى إذا سأل فقال أخبرونا عن القرآن هو الله أو غير الله؟ قيل له: إن الله جل ثناؤه لم يقل فى القرآن أن القرآن أنا ولم يقل غيرى وقال هو كلامى فسميناه باسم سماه الله به فقلنا كلام الله، فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين ومن سماه باسم من عنده كان عن الضالين.. ثم أن الجهمى ادعى أمرا آخر، فقال: أخبرونا عن القرآن هو شئ؟ فقلنا: نعم هو شئ. فقال إن الله خالق كل شئ، فلم لا يكون القرآن من الأشياء المخلوقة وقد أقررتم أنه شئ فلعمرى لقد ادعى أمرا أمكنه فيه الدعوى ولبس على الناس بما ادعى. فقلنا إن الله سبحانه لم يسم كلامه فى القرآن شيئا. إنما سمى شيئا الذى كان بقوله. ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى (إنما قولنا لشئ) فالشئ ليس هو أمره وأنما الشئ الذى كان يقوله، وقال فى آية أخرى (إنما أمره أراد شيئا) فالشئ ليس هو أمره وأنما الشئ الذى كان يأمره، فكذلك إذا قال (خالق كل شئ) لا يعنى نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء [ صفحه ۵۴] المخلوقة.. ففى هذا دلالة وبيان لمن عقل عن الله عز وجل، فرحم الله من فكر ورجع عن القول الذى يخالف الكتاب والسنة ولم يقل على الله إلا الحق، وقد حرم الله أن يقال عليه الكذب وقد قال (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) أعاذنا الله وإياكم من فتن المضلين وقد ذكر الله كلامه فى غير موضع من القرآن فسماه كلاما ولم يسمه خلقا قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وقال (قد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) وقال (كلم الله موسى تكليما) وقال (يريدون أن يبدلوا كلام الله) وقال (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) ولم يقل حتى يمسع خلق الله... ثم أن الجهمى ادعى أمرا آخر فقال أنا أجد آية فى كتاب الله على أن القرآن مخلوق، فقلنا فى أى آية..؟ فقال قول الله تبارك وتعالى: (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) فزعم أن الله قال للقرآن محدث، وكل محدث مخلوق، فلعمرى لقد شبه على الناس بهذا وهى آية من المتشابه فقلنا فى ذلك قولا واستعنا بالله ونظرنا فى كتاب الله ولا حوله ولا قوة إلا بالله.. ثم أن الجهمى ادعى أمرا فقال إنا وجدنا آية فى كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق. فقلنا أى آية..؟ فقال: قول الله تعالى (إنما المسيح عيس بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم) وعيسى مخلوق.. فقلنا إن منعك الفهم فى القرآن.. ثم إن الجهمى ادعى أمرا فقال إن الله يقول (خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام) فزعم أن القرآن لا يخلوا أن يكون فى السماء أو فى الأرض أو فيما بينهما. فشبه على الناس ولبس عليهم. فقلنا له: أليس إنما أوقع الله جل ثناؤه الخلق على المخلوقين ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما فقالوا نعم، فقلنا: هل فوق السماوات شئ مخلوق؟ قالوا: نعم. فقلنا: فإنه يجعل ما فوق السماوات مع الأشياء المخلوقة.. أحداث عام (۲۴۱ هـ).. [ صفحه ۵۵] إن الله تبارك وتعالى يقول (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) والحق الذى خلق به السماوات والأرض هو قوله إن الله يقول الحق، (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) فالحق الذى خلق به السماوات والأرض قد كان قبل السماوات والأرض، والحق قوله وليس قوله مخلوقا.. وفى باب آخر من أبواب الرسالة تحت عنوان: باب بيان ما جحدت الجهمية من قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة). قال لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟ فقالوا: لا ينبغى لأحد أن ينظر إلى ربه لأن المنظور إليه معدود موصوف إنما ترى الأشياء بفعله فقلنا: إن الله يقول (إلى ربها ناظرة) فقالوا: معناها إلى ربها ناظرة تنتظر الثواب من ربها، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته.. فقلنا: إنها مع ما تنتظر الثواب هى ترى ربها، وقد قال النبى (ص): إنكم سترون ربكم.. فأيهما أولى أن نتبع النبى حين قال سترون ربكم، أم قول الجهمى حين قال لا ترون ربكم؟ والأحاديث فى أيدى أهل العلم عن النبى (ص) أن أهل الجنة يرون ربهم لا يختلف فيها أهل العلم.. ثم أنكر ابن حنبل فى باب آخر قول الجهمية أن يكون الله سبحانه فى كل مكان مؤكدا أن الله فى السماء فوق العرش مستندا إلى عدد من النصوص القرآنية والروايات المنسوبة إلى الرسول (ص) مهاجما الجهمية عاملا على إبطال استدلالاتهم من القرآن.. يقول ابن حنبل: إذا أردت أن تعلم أن الجهمى كاذب على الله حين زعم أن الله فى كل مكان ولا يكون فى مكان دون مكان. فقل أليس الله كان ولا شئ؟ فيقول: نعم.. فقل له حين خلق الشئ خلقه فى نفسه أو خارج فى نفسه؟ [ صفحه ۵۶] فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال واحد منها: إن زعم أن الله خلق الخق فى نفسه كفر حين زعم أنه

خلق الجن والأنس والشياطين في نفسه.. وإن قال خلقهم خارجا عن نفسه ثم دخل فيهم كان هذا أيضا كفر حين زعم أنه دخل في مكان رجس قذر ردئ.. وإن قال خلقهم خارجا من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع وهو قول أهل السنة.. ورد ابن حنبل على ما استندت إليه الجهمية من الروايات على أن القرآن مخلوق وعلى رأسها رواية تقول: أن القرآن يجيئ في صورة الشاب الشاحب فيأتي صاحبه فيقول هل تعرفني؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك.. الخ. فادعوا أن القرآن مخلوق من قبل هذه الأحاديث، فقلنا لهم القرآن لا يجيئ إلا بمعنى أنه قد جاء من قرأ (قل هو الله أحد) فله كذا وكذا، ألا ترون أن من قرأ قل هو الله أحد لا تجيئه بم يجيئ ثوابه لأنا نقرأ القرآن فيقول يا رب ويجيئ ثواب القرآن وكلام الله لا يجيئ ولا يتغير من حال إلى حال، وإنما معنى أن القرآن يجيئ إنما يجيئ ثواب القرآن فيقول يا رب.. ويستمر ابن حنبل في إطلاق مدافعة وإنزال لعناته على الجهمية ومن سار على دربهم ويختتم رسالته بقوله: قلنا للجهمية حين زعموا أن الله في كل مكان لا يخلوا منه مكان: أخبرونا عن قوله جل ثناؤه (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) لم تجلى للجبل إن كان فيه عمكم. فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن يتجلى لشئ هو فيه، ولكن الله جل ثناؤه على العرش وتجلى ولم يكن فيه ورأى الجبل شيئا لم يكن رآه قبل ذلك. وقلنا للجهم الله نور. فقال هو نور كله. فقلنا فالله قال (وأشرقت الأرض بنور ربها) فقد أخبر الله جل ثناؤه أن له نورا، أخبرونا حين زعمتم أن الله تعالى في كل مكان وهو نور فلم يا يضئ البيت المظلم من النور الذي هو فيه إذ زعمتم أن الله في كل مكان. وما بال السراج إذا أدخل البيت يضئ، فعند ذلك تبين [ صفحه ۵۷] للناس كذبهم على الله فرحم الله من عقل عن الله ورجع القول الذي يخالف الكتاب والسنة وقال بقول العلماء وهو قول المهاجرين والأنصار وترك دين الشيطان ودين جهم وشيعته.. ويلاحظ من خلال ما تم عرضه من هذه الرسالة أن خصوم ابن حنبل من الجهمية وغيرهم يستندون إلى الكتاب والسنة التي يستند عليها ابن حنبل. فمن ثم هم مسلمون مثلما هو مسلم فإذا كان الأمر كذلك فلما كل هذه الحرب من قبل ابن حنبل عليهم..؟ أن المسألة في مضمونها هي صراع بين اتجاهين متناقضين: اتجاه ابن حنبل الذي يرفض العقل والرأي ويتبنى الروايات.. واتجاه الآخرين الذين يؤمنون بالعقل والرأي.. وقد لاقى اتجاه ابن حنبل منذ عصر المتوكل دعما متواصلا من حكام بني العباسي. بينما اعتبر الاتجاه الآخر مرفوضا ومجرما ومزندقا.. حتى أن اتجاه الأشعري الذي برز بعد مرحلة ابن حنبل تأثر به وتبنى الكثير من مقولاته فتلقفته حكومات السلاجقة والأيوبيين والمماليك واعتبروه النهج المعبر عن أهل السنة ومنذ ذلك الحين عاشت الاتجاهات الأخرى في ركن مظلم معزولة عن الواقع مستضعفة تلاحقها السيوف تارة، وفتاوى التكفير والزندقة تارة أخرى، وذلك على أساس ما وضع ابن حنبل من قواعد وعقائد ومفاهيم.. - المدفع الثاني: وتشكل رسالة السنة التي سوف نعرض لها هنا الإطار العقائدي والأساس الذي بيت عليه المواقف والممارسات المتطرفة التي تبناها الحنابلة وغيرهم، وتبناها كذلك الحكام في مواجهة المسلمين المخالفين. لقد أهدى ابن حنبل الأمة تراثا هو عبارة عن مجموعة من المدافع الثقيلة الشديدة على العقل والاتجاهات الأخرى، استثمره الحكام واستثمرته الجماعات المريضة في تفتيت وحدة المسلمين وزرع الإرهاب بينهم وتفريغ عقولهم. يقول ابن حنبل في مقدمة الرسالة: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها. المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي (ص) إلى يومنا [ صفحه ۵۸] هذا وأدركت من علماء الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب على قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق.. كانت هذه هي أولى طلقات هذا المدفع.. ويواصل ابن حنبل قائلا: من زعم أن الزنا ليس بقدر قيل له: أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا وجاءت بولد. هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد؟ وهل مضى في سابق علمه؟ فإن قال: لا. فقد زعم أن مع الله خالقا، وهذا هو الشرك صراحا. ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره، وهذا صراح قول المجوسية.. ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله عز وجل وأن ذلك بمشيئة من خلقه، فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله، وأي كفر أوضح من هذا؟ ويحدد ابن حنبل موقفه من الحكام صراحة بقوله: ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة.. ولا نشهد على أحد

من أهل القبلة أنه فى النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها إلا أن يكون ذلك فى حديث كما جاء على ما روى فنصدقه، والكف عن أهل القبلة ولا تكفر أحدا منهم بذنب ولا تخرجه من الإسلام بعمل إلا أن يكون فى ذلك حديث كما جاء وكما روى وتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روى نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة ينسب إلى صاحبها الكفر والخروج من الإسلام فاتبع الأثر فى ذلك ولا تجاوزه، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقوله الله عز وجل (كل شئ هالك إلا وجهه) وبنحو هذا من متشابه القرآن، قيل له: كل شئ مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبدا، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل، ولله عز وجل عرش، وللعرش حملة يحملونه، والله عز وجل على عرشه يتحرك ويتكلم وينظر ويبصر ويضحك ويفرح ويحب [ صفحه ۵۹] ويكره ويبغض ويرضى. وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء، وقلوب الرحمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ويوعيها ما أراد، وخلق آدم بيده على صورته، والسماوات والأرض يوم القيامة فى كفه، ويضع قدمه فى النار تنزوى، ويخرج قوما من النار بيده، وينظر أهل الجنة إلى وجهه يرونه فيكرمهم، ويتجلى لهم فيعطيهم، والقرآن كلام الله، تكلم به ليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمى كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من قول الأول، ومن زعم أن ألفاظنا به وتلاوتنا له مخلوقه والقرآن كلام الله فهو جهمى، ومن لم يكفر هؤلاء القوم كلهم فهو مثلهم، ومن سب أصحاب رسول الله (ص) أو أحدا منهم، أو تنقصهم أو طعن عليهم أو عرض بعيبهم أو عاب أحدا منهم فهو مبتدع رافضى خبيث مخالف. لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا.. وخير الأمة بعد النبى (ص) أبو بكر وعمر وعثمان وعلى بعد عثمان، وهم خلفاء راشد مهديون ثم أصحاب رسول بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم. ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلده الحبس حتى يموت أو يرجع... والدين إنما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضا، حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله (ص) وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلقين بالآثار، لا يعرفون بدعة ولا يطعن فيهم بكذب، ولا يرمون بخلاف، وليسوا بأصحاب قياس ولا رأى لأن القياس فى الدين باطل، والرأى كذلك أبطل منه، وأصحاب الرأى والقياس فى الدين مبتدعة ضلال، إلا أن يكون فى ذلك أثر عمن سلف من الأئمة الثقات. ومن زعم أنه لا يرى التقليد ولا يقلد دينه أحدا: فهو قول فاسق عند الله ورسوله (ص) إنما يريد بذلك إبطال الأثر وتعطيل العلم والسنة، والتفرد بالرأى والكلام والبدعة والخلاف. وهذه المذاهب والأقاويل التى وصفت مذهب أهل السنة والجماعة والآثار وأصحاب الروايات وحملة العلم الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن وكانوا أئمة معروفين ثقات أصحاب صدق يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ولم يكونوا أصحاب بدعة ولا خلاف ولا تخليط [ صفحه ۶۰] وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم، فتمسكوا بذلك رحمكم الله وتعلموه وعلموه.. ثم حدد ابن حنبل نهاية رسالته أصحاب البدع والضلال فى تصوره بقوله: ولأصحاب البدع ألقاب وأسماء لا تشبه أسماء الصالحين ولا العلماء من أمة محمد (ص).. فمن أسمائهم المرجئة وهم الذين يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل.. والقدرية وهم الذين يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشيئة والقدرة.. والمعتزلة والجهمية والرافضة والزيدية والخوارج ثم أصحاب الرأى الذين أطلق عليهم آخر قذائفه بقوله: وأصحاب الرأى وهم مبتدعة ضلال أعداء للسنة والأثر يبطلون الحديث ويردون على الرسول (ص) ويتخذون أبا حنيفة ومن قال بقوله إماما، ويدينون بدينهم، وأى ضلالة أبين ممن قال بهذا أو ترك قول الرسول وأصحابه، فكفى بهذا غيا مرديا وطغيانا.. فمن قال بشئ من هذه الأقاويل - أقول الاتجاهات الأخرى - أو صوبها أو رضيها أو أحبها فقد خالف السنة وخرج من الجماعة، وترك الأثر، وقال بالخلاف، ودخل فى البدعة، وزال عن الطريق. ويبدو أن الاتجاهات الأخرى لم تستسلم لمدافع ابن حنبل بل درت عليه وهاجمته وطعنت فى عقيدته وتصوره مما دفع به إلى أن يسلط عليهم

مدافعه فی نهایهٔ رسالته بقوله: وقد رأیت لأهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنیعهٔ قبیحهٔ یسمون بها أهل السنهٔ یریدون بذلک عیبهم والطعن علیهم والوقیعهٔ فیهم والإزراء بهم عند السفهاء والجهال.. فأما المرجئهٔ فإنهم یسمون أهل السنهٔ شکاکا وکذبت المرجئهٔ.. وإما القدریهٔ فیسمونهم المجبرهٔ وکذبت القدریهٔ.. وأما الجهمیهٔ فیسمونهم المشبههٔ وکذبت الجهمیهٔ أعداء الله.. وإما الرافضهٔ فیسمونهم الناصبهٔ وکذبت الرافضهٔ.. وأما الخوارج فیسمونهم مرجئهٔ وکذبت الخوارج.. وأما أصحاب الرأی فیسمونهم حشویهٔ وکذب أصحاب الرأی أعداء الله، بل هم الحشویهٔ ترکوا آثار الرسول وحدیثه وقالوا بالرأی وقاسوا الدین بالاستحسان، وحکموا بخلاف الکتاب والسنهٔ وهم أصحاب بدعهٔ جهلهٔ ضلال وطلاب دنیا بالکذب والبهتان.. اللهم أدحض باطل المرجئهٔ وأوهن کید القدریهٔ وأذل دولهٔ الرافضهٔ وامحق شبه أصحاب [ صفحه ۶۱] الرأی، واکفنا مؤنهٔ الخارجیهٔ – الخوارج – وعجل الانتقام من الجهمیهٔ. ونخرج من هذا العرض لرسالهٔ السنهٔ أن قذائفها أشد فتکا من سابقتها، وأن ابن حنبل قد أعلن عن وجهته صراحهٔ من خلالها.. فهو قد أعلن أن هذه الرسالهٔ تمثل عقیدهٔ السلف من الصحابهٔ والتابعین.. وأعلن أن الخارج عن حدودها والمخالف لها مبتدع خارج عن الجماعهٔ زائل عن سبیل الحق. نسب الظلم إلی الله سبحانه حین ربط الزنا والسرقهٔ والخمر والقتل بمشیئهٔ الله وإرادته وربط الحکم بصلاح المسلم ونجاته من النار بالروایهٔ ولیس بالقرآن. وأعلن أن الخارج عن السلطان مبتدع مخالف مفارق للجماعهٔ.. وأعلن أن الله فی السماء فوق العرش یتحرک ویتکلم ویضحک ویفرح وینزل إلی الدنیا وخلق آدم علی صورته ویضع قدمه فی النار.. الخ هذه الصفات التی جاءت بها الروایات ولم یأت بها القرآن والتی تضع ابن حنبل ومن سار فی رکاب هذه الرویات فی دائرهٔ التجسیم. وأعلن تکفیر الجهمیهٔ لقولهم بخلق القرآن ودخل معهم فی دائرهٔ التکفیر الشیعهٔ والمعتزلهٔ الذین یتبنون نفس الفکرهٔ.. وتطرف ابن حنبل فی موقفه أکثر فکفر الذین یقولون بأن القرآن کلام الله وکفی.. والذین یقولون بأن الألفاظ والتلاوهٔ مخلوقهٔ، وإن من لم یکفر هؤلاء فهو مثلهم.. وأخرج من دائرهٔ الإسلام الذین یتبنون مواقف من الصحابهٔ کالشیعهٔ والمعتزلهٔ والخوارج وغیرهم الذین لا یعترفون بمعاویهٔ ویهاجمونه ویتبنون نفس الموقف من عمر وبن العاص أو المغیرهٔ بن شعبهٔ أو عثمان أو أبو هریرهٔ وغیرهم من الصحابهٔ الذین ارتبطوا بالفتن والخلافات التی وقعت بعد وفاهٔ الرسول (ص). وتجاوز هذا الحد بأن حرض الحاکم علیهم وأفتاه بجواز تأدیبهم وحبسهم وقتلهم. وحدد الدین فی دائرهٔ الکتاب والسنهٔ والسلف، أی ربط الروایهٔ والرجال بالقرآن فکأن من نبذ الروایهٔ والرجال نبذ القرآن وخرج من الإسلام، وهو بهذا قد أضفی القداسهٔ علی الروایهٔ والرجال وأرهب المسلمین من المساس بهما.. وفی رسالهٔ أخری لابن حنبل تحت عنوان (کتاب الصلاهٔ) أعلن ابن حنبل تکفیر تارک الصلاهٔ وعدم جواز الصلاهٔ علیه ودفنه فی مقابر المسلمین.. [ صفحه ۶۲] ویظهر لنا من خلال أفکار ابن حنبل أنها استمدت جمیعها من الروایات وأقوال الرجال أی السنهٔ والأثر فمن ثم فهو رجل تقلیدی یتعبد بنصوص التراث کما هی ولا یعطی لأتباعه فرصهٔ إعمال العقل فیها کما لا یعطی لخصومه فرصه نقدها.. ولعل تمسک ابن حنبل بالروایات وأقوال السلف هو الذی جعل له شعبیهٔ وسط العامهٔ الذین تجذبهم الروایات بدافع عشقهم للرسول (ص) وجیله، فقول الرسول أو الصحابی یجذب الناس ویستقطبهم أما الرأی فله خواصه من الناس.. وعندما توفی ابن حنبل أصبح قبره مزارا تحتشد الناس من حوله ووضعت الحراسات علیه، وقام الخلیفهٔ المستضیئ بوضع بناء علیه نقش فیه مدحا وتمجیدا له وذلک فی عام ۵۷۴ هـ ثم جاء فیضان دجلهٔ فأزال القبر فاتجه الناس نحو قبر ولده عبد الله وأضفوا علیه القداسهٔ التی کانوا یضفونها علی قبر أبیه.. [۱۶۵] . – المدافع الثالث: وقد حمل تراث ابن حنبل جیل من الحنابلهٔ یساندهم قطاع من عوام بغداد انطلق یرهب الناس والمخالفین ویرفع رایهٔ التکفیر والزندقهٔ فی مواجهتهم.. وإذا کان الأستاذ الإمام بهذا القدر من التطرف فکیف یکون حال تلامیذه؟ لا شک أن حجم مدافعهم سوف تکون أکبر وطلقاتهم سوف تکون أشد.. وهذا ما تشهد به وقائع التاریخ، فیما أطلق علیه المؤرخون فتن الحنابلهٔ وهی حوادث وقعت فی فترات متفرقهٔ ضمن حدود بغداد موطن الحنابلهٔ، کان ضحیتها المخالفین علی الدوام فقهاء وعوام من السنهٔ والشیعهٔ.. وکان الحنابلهٔ قد قویت شوکتهم بدعم من المتوکل العباسی ومن بعده من خلفاء بنی العباس الذین عملوا علی استثمارهم فی تقویهٔ نظام حکمهم وتصفیهٔ المعارضین لهم.. ومنذ ذلک الحین کثرت اعتداءاتهم علی العامهٔ والنساء فی الطرقات والتفریق بینهما فی الأسواق ومهاجمهٔ الأسواق

لمنع الاختلاط ومقاومة البدع.. [ صفحه ۶۳] ودخلوا فی صدامات دموية مع الشيعة والأشاعرة والشافعية والأحناف والمعتزلة.. يروى الذهبی عن أحداث عام (۳۹۸ هـ) أن فی هذه السنة وقعت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنة فی بغداد وكاد أن يقتل الشيخ أبو حامد الاسفراينی، فأنفذ الخليفة القادر الفرسان لمعاونة أهل السنة وقمع الشيعة.. [۱۶۶] . ومثل هذه المدافع التی حملها الحنابلة فی مواجهة الناس والمخالفين والتی هی من صناعة إمامهم ابن حنبل لم توجه فی يوم من الأيام إلی الحكام، وهذا الأمر إن دل علی شئ فإنما يدل علی أن عقيدة الحنابلة فی مضمونها عقيدة حكومية فی صالح الحاكم لا فی صالح الجماهير.. وهو يدل من جناب آخر علی أن هذه العقيدة قد فرضت علی المسلمين بضغط الحكام ولو قدر لها أن تسلك السبيل المعتاد فی الدعوة الذی سلكته الشيعة والخوارج من بعد الإمام علی والمعتزلة والمذاهب الأخری لما قدر لها البقاء والانتشار، والبرهان علی ذلك أن مذهب الحنابلة سقط وتواری بعد سقوط الدولة العباسية، واتجهت الدول التی ظهرت بعدها نحو الأشاعرة والشافعية.. وجاء ابن تيمية فی القرن الثامن فحمل مدافع الحنابلة وأطلق نيرانه علی المسلمين فقمعه الفقهاء والحكام وحبس حتی مات فی الحبس وحبس معه تلميذه ابن القيم.. ولم يقدر للحنابلة البروز بعد ذلك حتی جاء محمد بن عبد الوهاب وحمل مدافعهم من جديد ثم تسلمت الجماعات راية الحنابلة من الوهابيين وحملت مدافعهم فی مواجهة المسلمين وغير المسلمين لتعود فتن الحنابلة إلی البروز علی ساحة الواقع من جديد.. [۱۶۷] . [ صفحه ۶۵]

## مدافع ابن حزم

متطرف راح ضحية المتطرفين.. [ صفحه ۶۶] نشأ ابن حزم فی الأندلس وتربی فی بلاط الحكم حيث كان أباه وزيرا فی الدولة العامرية وجده الأكبر كان نصرانيا.. [ صفحه ۶۷] ومرت عائلة ابن حزم بمحن كثيرة بعد الإطاحة بالأسرة العامرية فی دائرة الصراعات التی كانت قائمة بين ملوك الأندلس آنذاك والتی كانت أشبه بالحروف الأهلية.. واستوزره المرتضی خليفة مدينة بلنسية، ثم استوزره الخليفة عبد الرحمن الخامس الملقب بالمستظهر فی قرطبه عام (۴۱۴ هـ)، ثم قتل عبد الرحمن بعد ذلك بمدة قصيرة وقبض علی ابن حزم ووضع فی السجن ثم أفرج عنه بعد ذلك.. ويروی أنه وزر مرة ثالثة لهشام المعتد إلا أنه اعتزال السياسة بعد ذلك وتفرغ للعلم والتأليف حتی أصبح من أشهر علماء الأندلس وأكثرهم ذكرا فی مجالس الرؤساء وعلی ألسنة العلماء وقد حمل ابن حزم نوعين من المدافع الثقيلة: الأولی: مدافع خاصة بالمسلمين.. الثانية: مدافع خاصة بغير المسلمين.. - المدافع الأول: كان عصر ابن حزم عصر دسائس وفتن وصراعات بين ملوك الطوائف وبعضهم وبين الفقهاء الذين ساروا فی ركاب هؤلاء الملوك وبعضهم.. ويبدوا أن هذه الحالة السياسية والدينية قد انعكست علی شخصية ابن حزم فأصابتها بالحيرة والانفعال الذی نراه بوضوح فی آرائه ومواقفه من الآخرين فقد أعلن الحرب علی فقهاء عصره وشتی الاتجاهات الإسلامية الأخری مما أدی إلی بغض الجميع له وتربصهم به.. ثم تبنی ابن حزم المذهب الظاهری وأخذ يدعوا له ولاقی فی سبيل ذلك مواجهة عنيفة من الحكام والفقهاء الذين كانوا يتبنون المذهب المالكی ويتعصبون له، وصدر قرار فقهی بمنع ابن حزم من الفتوی وحبس المترددين عليه والمستمعين له.. وقد أطلق ابن حزم أول مدافعة علی فقهاء عصره بقوله: أن هؤلاء القوم ليسوا من أهل الفقه ولا من أهل الكلام ولا يحسنون شيئا غير التناغی والقول الفاسد.. ولا يغرنكم الفساق المنتسبون إلی الفقه اللابسون جلود الضأن علی قلوب السباع المزينون لأهل الشر شرهم الناصرون لهم علی فسقهم [۱۶۸] . وكان فقهاء عصر ابن حزم كما يعبر ابن حبان المعاصر له يمشون فی ركاب الملوك بين آكل من حلوائهم وخابط فی أهوائهم.. [ صفحه ۶۸] ويواصل ابن حزم إطلاق مدافعة علی فقهاء وحكام عصره بقوله: والله لو علموا أن فی عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبادروا إليها فنحن نراهم يستنجدون بالنصاری ويمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم ويحملونهم أساری إلی بلادهم، وربما أعطوهم المدن القلاع طوعا، فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس، لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه.. ويصف ابن حزم حالة الإنهيار الاجتماعی وتفشی الفساد وسيادة الحرام فی عصره حتی أصبح كأنه ليس للفقهاء دور بقوله: إنا لا نعلم

لا۔ أنا ولا غيرى بالأنـدلس درهما حلالا ولا دينارا طيبـة يقطع على أنه حلال.. [۱۶۹] . وكان من نتيجـة هـذا الموقف المتشدد من قبل ابن حزم تجاه الفقهاء ومـذهبهم المالكى وأنصارهم أن حرض الفقهاء الحكام عليه وسعوا لـدى المعتضد بن عباد حاكم أشبيلية الذى أمر بجمع كتب ابن حزم وإحراقها علانية.. ورد ابن حزم على هذه الحادثة شعرا يقول: فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى++ تضمنه القرطـاس بـل هو فى صـدرى يسير معى حيث اسـتقلت ركائبى++ وينزل إن أنزل ويـدفن فى قبرى دعونى من إحراق رق وكاغـد++ وقولوا بعلم كى يرى الناس من يـدرى [۱۷۰] . وقد اسـتمر ابن حزم فى موقفه المعادى للمخالفين من الاتجاهات الأخرى ولم تؤثر فيه تلك المـدافع ذات القـذائف الثقيلـة التى أطلقها عليه خصومه.. يقول ابن حزم: إنا لما تـدبرنا أمر طائفتين ممن شاهـدنا فى زماننا هـذا وجـدناهما قـد تفـاقم الـداء بهمـا.. فأمـا إحـداهما فقـد حلت المصـيبة فيهـا وبهـا، وهم قوم افتتحوا عنوان أفهامهم وابتـدأ دخولهم إلى المعارف بتعلم علم العدد وبرهانه وتخطيه إلى تعديد الكواكب وهيئة الأفلاك، وكيفية قطع الشمس والقمر انتقالها من الأجرام العلوية وإعظامها وأبعادها والطبيعـة وعوارض الجو ومطالعـة شـئ من كتب الأوائل وحـدودها. فلم تلق هذه الطائفة المذكورة من حملة الدين إلا قوما لا عناية لهم بشـئ وإنما عنيت من الشـريعة بأحد ثلاثة أشـياء. [ صـفحه ۶۹] إمـا بألفـاظ ينقلون ظاهرها ولا يعرفون معانيها ولا يهتمون بتفهمها.. وإما بمسائل من الأحكام لا يشتغلون بدلائلها ومبعثها وإنما حسبهم منها ما أقاموا به جاههم وحالهم.. وإما انحرافات منقولة عن كل ضعيف وكذاب وساقط لم يهتبلوا قط بمعرفة صحيح منها من سقيم ولا مرسل من سند ولا ما نقل عن النبى (ص). وأما الطائفـة الثانيـة فهم قوم ابتدء وا الطلب لحديث النبى (ص) فلم يزيدوا على طلب علوم السـند والغرائب دون أن يهتموا بشـئ مما كتبوا ولا يعلمون به وإنما يحملونه حملا لا يزيدون على قراءته دون تدبير معانيه ودون أن يعلموا أنهم المخاطبون به وأنه لم يأت مهملا ولا قاله (ص) عبثا، بل أمرنا بالتفقه فيه والعمل به، وأكثر هـذه الطائفة لا عمل عندهم إلا بما جاء عن طريق مقاتل بن سـليمان والضـحاك بن مزاحم وكتـاب البزدوى التى إنما هى خرافات موضوعـة وأكاذيب مسـتعملة ولـدها الزنادقـة تـدليسا على الإسـلام وأهله.. [۱۷۱] . وعلى الرغم من أن موقف ابن حزم من الفقهـاء وممارسـاتهم تحمل جانبا كبيرا من الصـحة إلا أن حـدتها أفقـدتها موضوعيتها وجنت عليه فى النهايـة. وقـد قيـل أن قلم ابن حزم كـان فى مضـاء سـيف الحجـاج، وكـان ينهـال على رجـال محل تقـدير السواد الأعظم من المسـلمين بـالتحقير والازدراء كالأشـعرى ومالك وأبى حنيفـة.. [۱۷۲] . واعـترف ابـن حزم أن حـدته كـانت ترجع إلى مرض كـان يلازمه.. [۱۷۳] . ثم تصـدى فقهاء المالكيـة فيما بعـد لمصـنفات ابن حزم خاصـة كتابه (المحلى) وأصـدروا ردودهم عليه.. - المـدفع الثاني: وهو من أخطر مدافعة وأشدها ويتمثل فى كتابة (الفصل فى الملل والنحل) والذى أطلق من خلاله قذائفه على جميع الاتجاهات مسـلمين وغير مسـلمين.. يقول ابن حزم فى الفصل: أهل السـنة أهل الحق ومن عـداهم فأهل البدعـة، فإنهم الصـحابة وكل من سـلك نهجهم من خيار التابعين ثم أصـحاب الحـديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هـذا ومن اقتدى بهم من العوام فى شـرق الأرض وغربها، وقـد تسـمى باسم [ صـفحه ۷۰] الإسـلام من أجمـع جميـع فرق الإسـلام على أنه ليس مسـلما مثـل طوائف الخوارج، وطوائف من المعتزلـة وطوائف من المرجئـة وآخرون كـانوا من أهـل السـنة كالحلاج وغيره وطوائف من الشـيعة، وكل هـذه الفرق لا تتعلق بحجة أصـلا وليس بأيديهم إلا دعوى الإلهام والقحة والمجاهرة بالكذب ولا يلتفتون إلى مناظرة ويكفى من الرد عليهم أن يقال لهم ما الفرق بينكم وبين من ادعى أنه ألهم بطلان قولكم ولا سبيل إلى الانفكاك من هذا، وأيضا فإن جميع فرق الإسلام متبرئة منهم مكفرة لهم مجمعون على أنهم على غير الإسـلام.. والأصل فى أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسـلام أن الفرس أظهر قوم منهم الإسـلام واسـتمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله (ص) واستشناع ظلم على (رضى الله عنه) ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسـلام فقوم منهم أدخلوهم إلى القول بأن رجلا ينتظر يـدعى المهـدى عنـده حقيقـة الـدين، وقد أوضـحنا شـنع جميع هـذه الفرق فى كتاب لنا اسـمه النصائـح المنجيـة من الفضائـح المخزيـة والقبائـح المرديـة من أقوال أهل البدع من الفرق الأربع المعتزلـة والمرجئـة والخوارج والشيع. فإيـاكم وكل قول لم يبين سبيله ولا وضـح دليله ولا تعوجا عما مضـى نبيكم (ص) وأصـحابه.. [۱۷۴] . أن الإسـلام عنـد ابن حزم هو أهـل السـنة الـذين ينطق بلسـانهم ويحاكم الاتجاهات الأخرى على أساس عقائـدهم ورواياتهم،

وكتابة (الفصل) كما هو حال كتب الفرق الأخرى إنما يتحدث بلسان الاتجاه السائد اتجاه أهل السنة لا بلسان النص والعقل والرأى لأن كل ذلك مجرم فى مذهب أهل السنة الذين تقوم عقائدهم ومذهبهم على أساس الروايات وأقوال الرجال ونبذ الرأى والعقل.. ويبدو لنا من خلال كلام ابن حزم أنه يتحدث بمنطق الاستعلاء على الاتجاهات الأخرى وهو المنطق السائد لدى أهل السنة فى تعاملهم مع الآخرين كما هو منطق كتب الفرق جميعها التى كتبت بأقلام رجال أهل السنة وجارت على الاتجاهات الأخرى وزندقتها.. والاتجاهات الأخرى فى منظور ابن حزم ومذهبه بين خيارين: إما أن تلتزم بنهج الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث والفقهاء وتتبنى رواياتهم.. وإما أن تسلك سبيل المعارضة وهى بهذا تكون قد دخلت دائرة البدعة والزندقة ووضعت نفسها فى دائرة الاستحلال من قبل الحكام والفقهاء وحتى عوام الناس. [ صفحه ۷۱] والعجيب فى كلام ابن حزم أنه اعتبر أن جميع الفرق والاتجاهات التى كفرها وزندقها تتبرأ منها جميع فرق الإسلام وتكفرها وتجمع على أنها على غير الإسلام، فكيف يستقيم هذا الكلام..؟ هل هذا يعنى أن هناك فرق أخرى غير الفرق المعروفة يعترف بها ابن حزم ولا يزندقها أهل السنة تشاركهم هذا الموقف تجاه هذه الفرق المزعومة؟ ويظهر لنا من كلام ابن حزم الجزم بتسطيح الآخرين وتبنى الأفكار الساذجة فى مواجهتهم وبدا وكأنه يصور لنا الاتجاهات الأخرى أنها لا تحوى رصيدا من الفكر والوعى والنصوص ولا تقوم بأمرها عناصر فقيهة، بل أنها أهل السفة والجهالة وأصحاب الأهواء، وهذا الموقف لا يتفرد به ابن حزم أنما هو موقف الفقهاء عموما من خصومهم شيعة ومعتزلة ومرجئة وقدرية وغيرهم، أن العلم والحق والرفعة والطهارة فى جانبهم أما الجانب الآخر فهو يحوى الجهل والضلال والزندقة والبدعة وغير ذلك من التسميات التى أطلقوها على الخصوم ومن الأفكار الساذجة التى يتبناها ابن حزم والفقهاء تجاه الاتجاهات الأخرى تحميل الفرس مسئولية ما نشأ وسط المسلمين من اتجاهات وتيارات خالفت الخط السائد وخاصمت أهل السنة، وكان المفروض أن يكون الأمر عكس ذلك أى أن العرب هم الذين يتحملون مسئولية تأسيس هذه الاتجاهات والتيارات وتوطينها بين الفرس بحكم أنهم الشعب المغلوب، إلا أن القوم عكسوا الآية وجعلوا الغالب يدخل فى دين المغلوب، وهم بهذا يستخفون بالعرب أكبرا استخاف ويؤكدون أن الإسلام لم يوطن فى نفوسهم وأن التزامهم به كان التزاما قشريا.. ولقد كان الهدف من وراء فكرة ربط الفرس بالتيارات الإسلامية ضرب الشيعة على وجه الخصوص وإثارة الشبهات من حولهم، والتأكيد على أن الفرس تستروا بهم وبثوا أفكارهم المجوسية من خلال بعث فكرة آل البيت وجمع المسلمين من حولهم.. إلا أن الحقيقة فكرة آل البيت فكرة شرعية لها ما يدعمها من نصوص الكتاب والسنة وكذلك بقية أفكار الشيعة ومعتقداتهم.. [۱۷۵] . ونفس الحال ينطبق على أفكار المعتزلة والمرجئة والجهمية وحتى الخوارج فجميع هذه الاتجاهات تتسلح بالكتاب والسنة ولديها من البراهين والأسانيد ما تدعم به أفكارها ومعتقداتها.. [ صفحه ۷۲] إذا كان هذا هو الحال فلماذا يصر الفقهاء على تتبنى نهج التسطيح والتسفيه فى مواجهة الآخرين ولماذا يصرون على تبنى الأفكار الساذجة والمهزوزة فى مواجهتهم؟ إن تلك الأفكار السطحية والساذجة التى يتبناها الفقهاء فى مواجهة الخصوم ما كان لها أن تدوم ويكتب لها البقاء لولا مساندة الحكام لها.. ولو قدر لهؤلاء الفقهاء أن يدخلوا فى مناظرة حرة مع أى من هذه الاتجاهات لانهزموا شر هزيمة، لكن اللغة التى كانت سائدة هى لغة الطرف الواحد لغة الفقهاء.. والذين يتبنون دعوى فارسية التشيع الأولى لهم أن يتبنوا فارسية التسنن لأن رجال الفقه والرواية الذين قامت على أكتافهم عقيدة أهل السنة هم من بلاد فارس بينما عقيدة الشيعة ومذهبهم قام على أساس فقه وروايات أهل البيت الهاشمى بداية من الرسول (ص) وثم الإمام على وأولاده.. وقد أوقع ابن حزم نفسه فى حرج كبير حين ادعى أن فكرة المهدى هى من اختراع الفرس وهم الذين أوحوا بها إلى الشيعة، وكأنه بهذا يعلن جهلة بعشرات النصوص التى يتبناها أهل السنة والتى تؤكد أن المهدى شخصية حقيقية تنبأ بها الرسول (ص) وحدد ملامحها ودورها... - المدفع الثالث: ثم يقوم ابن حزم بعد هذا كله بتوجيه مدفعه الحكومى على الرعية والخصوم بقوله بجواز الصلاة وراء الحاكم الفاسق والجهاد والحج معه ودفع الزكاة إليه وإنفاذ أحكامه من الأقضية والحدود وغير ذلك.. يقول ابن حزم: ذهبت طائفة إلى أنه لا يجوز الصلاة إلا خلف الفاضل - أى الحاكم التقى الأفضل والأولى بالحكم - وهو قول الخوارج والزيدية والروافض وجمهور المعتزلة وبعض أهل السنة وذهبت طائفة الصحابة كلهم دون

خلاف من أحد منهم وجميع فقهاء التابعين كلهم دون خلاف من أحد منهم وأكثر من بعدهم وجمهور أصحاب الحديث وهو قول أحمد بن حنبل والشافعي وأبي حنيفة وداود وغيرهم إلى جواز الصلاة خلف الفاسق الجمعة وغيرها وبهذا نقول، وخلاف هذا القول بدعة محدثة، فما تأخر قط أحد من الصحابة الذين أدركوا المختار [ صفحه ۷۳] بن عبيد والحجاج وعبيد الله بن زياد وحبيش بن دلجة وغيرهم عن الصلاة خلفهم، وهؤلاء أفسق الفساق وأما المختار فكان متهما في دينه مظنونا به الكفر.. ويريد ابن حزم أن يؤكد لنا من خلال هذا المدفع الحكومي أن مذهبه ومذهب الفقهاء بل إن الدين الحق يجب أن يقوم على الرجال لا على النص أو العقل، فما دام الصحابة والتابعين وأهل الحديث قد اعترفوا بشرعية الحكام الفسقة وصلوا خلفهم فيجب علينا أن نمتثل لذلك حتى لا نكون من المبتدعة الزائغين من الروافض والخوارج والمعتزلة والزيدية الذين أبت عقولهم ونفوسهم أن تهضم هذا الوضع وتقربه. وليس لابن حزم من سند في هذا سوى هواه والروايات التي نسبت للرسول بخصوص الحكام أما أصحاب العقول الذين لا يدينون بمثل هذه الروايات ويشكون فيها فهم في نظر ابن حزم وغيره من فقهاء البلاط أصحاب البدعة المحدثة المخالفة لنهج السلف الصالح. ثم من أين لابن حزم هذه اليقين الإجماع المطلق للصحابة والتابعين والفقهاء على هذه القضية؟ وكيف يصح مثل هذا الادعاء مع قوله أن هناك طائفة من أهل السنة توافق القائلين بعدم جواز هذه الصلاة..؟ وليتأمل القارئ موقف ابن حزم هذا وما ينقله عن الفقهاء، ثم يتأمل موقف ابن حنبل من صاحب البدعة لبدعته حيث يقول بعدم جواز الصلاة خلفه وعدم قبول شهادته هجرا له وزجرا لينكف ضرر بدعته عن المسلمين.. لقد أجاز الفقهاء الصلاة وراء الحاكم الفاسق الذي تقطر يده بدماء المسلمين بينما حرموها وراء المخالف لهم من الاتجاهات الأخرى بحكم أنهم من أهل البدع في منظورهم. إن الفقهاء أمثال ابن حنبل وابن حزم اعتبروا أنفسهم أوصياء على الدين وحفظه المسلمين من شرور المخالفين فمن ثم سلكوا جميع الوسائل والسبل من أجل عزلهم والقضاء عليهم بداية من تحريض الحكام عليهم ونهاية بتكفيرهم.. [ صفحه ۷۵]

## مدافع البغدادي

النجاة لنا والهلاك للآخرين.. [ صفحه ۷۷] البغدادي هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي المتوفي عام (۴۲۹ هـ) وقد صنف البغدادي عدة مصنفات هي بمثابة مدافع مسلطة على المسلمين استثمرها الفقهاء في مواجهة خصومهم من التيارات الأخرى.. وعلى رأس هذه المصنفات كتابه الفرق بين الفرق. وكتابه أصول الدين، وهذان الكتابان من أخطر ما صنف في مواجهة الآخرين. وقد اعتمد عليها مذهب أهل السنة في تبرير تطرفه وعداوته للمخالفين لمذهبهم.. - الفرق بين الفرق: وقد اعتمد البغدادي في كتابة هذا على رواية منسوبة للرسول (ص) تنص على أن الأمة سوف تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة. وقام على أساس هذه الرواية بتبيين الاتجاهات المخالفة وإلقاء الضوء عليها مؤكدا أنها تنتسب إلى الإسلام بينما هي ليست منه في شئ. وخصص فصلا لما أسماه فضائح هذه الاتجاهات باعتبارها من فرق الأهواء الضالة والكتاب من أوله إلى آخره يفتح النار على المخالفين لنهج أهل السنة الذين حصر الحق في دائرتهم وحكم بالضلال والبوار والخلود في النار على مخالفيهم، فأهل السنة في منظوره فم الفرقة الوحيدة الناجية من النار يوم القيامة فمن سار على دربهم واتبع طريقهم وتبنى عقائدهم فقد نجا، ومن حاد عن هذا الدرب وتبنى عقائد واتجاهات الآخرين فقد حاد عن الطريق القويم وسلك سبيل الضالين أهل النار.. يقول البغدادي: إن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه صفاته وعدله وحكمته ونفي التشبيه عنه، وبنبوة محمد (ص) ورسالته إلى الكافة وبتأييد شريعته وبأن كل ما جاء به حق وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة إليها فكل من أقر بذلك كله ولم يشبه ببدعة تؤدي إلى الكفر فهو السني الموحد، وإن ضم إلى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء نظر فإن كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أو الخوارج أو الرافضة الإمامية - الشيعة - أو الزيدية وأو الجهمية أو المجسمة فهو من الأمة في بعض الأحكام وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين وألا يمنع حظه من الفيئ والغنيمة إن غزا مع المسلمين وألا يمنع من الصلاة في المساجد، وليس في الأمة في أحكام سواها وذلك ألا

تجوز الصلاة عليه ولا خلفه ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية، ولا يحل للسنى أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم.. [ صفحه ۷۸] ومثل هذا الكلام لا يعنى إلا شيئا واحدا وهو أن أصحاب المذاهب والاتجاهات الأخرى غير أهل السنة بين أمرين لا ثالث لهما: الأول: أن يتنازلوا عن معتقداتهم وأفكارهم ويدينوا بمذهب أهل السنة.. الثانى: أن يكونوا فى دائرة المبتدعة الضالين ويعاملوا على هذ الأساس فى الحياة الدنيا من قبل أهل السنة فتفرض عليهم العزلة ويعاملوا كمواطنين من الدرجة الثانية ويتقبلوا ما سوف يلاقونه من اضطهاد واستحلال لأموالهم ودمائهم.. وإذا كان جميع المسلمين يقرون بما ذكر البغدادى فما هو المبرر لهذا التصنيف واتخاذ مثل هذا الموقف المتطرف من المخالفين..؟ وهل هناك من ينكر وحدانية الله ونبوة محمد (ص) ورسالته والشريعة التى جاء بها على لسان القرآن ويرفض الاعتراف بالكعبة قبلة للمسلمين..؟ وإذا كانت الإجابة بالنفى، فما هو مبرر هذا الكلام. وما هو ضرورته؟ إن القضية باختصار هى أن الإقرار بمثل هذه الأمور لا يكفى وحده للحكم بصحة إسلام الفرد فى نظر أهل السنة. وإنما يجب مع ذلك الإقرار أن يتبنى عقائدهم ورواياتهم.. عقائدهم التى تنص على موالاة الحكام ووجوب السمع والطاعة لهم وإن كانوا فسقة وفجارا، ووجوب الصلاة والحج والجهاد معهم. وتنص على عدالة جميع الصحابة وأن كل من رأى الرسول (ص) ولو ساعة أو ولد فى حياته أو سلم عليه فهو صحابى عدل يجب أن تضفى عليه القداسة.. وتنص على أن الله سبحانه له يد ورجل وعين ويهبط ويصعد ويضحك ويفرح وأن جميع الصفات الواردة له سبحانه فى القرآن هى حقيقة لا مجاز.. [۱۷۶] . أما رواياتهم فهى سبب شقاء الأمة وفرقتها.. وهى التى شوهت صورة الإسلام.. وهى التى منحت الفقهاء الحق فى ضرب المخالفين وتصفيتهم.. وهى التى قامت على أساسها تلك العقائد الباطلة من وجوب طاعة الحكام والاستسلام لهم وإن كانوا فجارا وتحريم الخروج عليهم.. [ صفحه ۷۹] وهى التى قامت على أساسها فكرة عدالة الصحابى ووجوب التغطية على تلك الانحرافات والتجاوزات التى ارتبطت بالصحابة. وهى التى قامت على أساسها فكرة التجسيم والتشبيه فيما يتعلق بصفات الله سبحانه.. إن القارئ لكتب السنن خاصة كتابى البخارى ومسلم سوف يجد مئات الروايات التى تمجد الحكام وتضفى القداسة على الصحابة وتصف الله سبحانه بما لا يجب أن يوصف به وتدعوا إلى التطرف وتنتهك الحقوق والحرمات والعقول.. [۱۷۷] . ويحدد البغدادى معالم مذهب أهل السنة فيما يلى: - الإحاطة بأبواب التوحيد والنبوة والأحكام.. - التبرء ومن الاتجاهات الأخرى.. - تبنى رؤية الله تعالى.. - تبنى عذاب القبر.. - تبنى إمامة أبو بكر وعمر وعثمان.. - الثناء على السلف.. - تبنى صلاة الجمعة خلف الحكام والأئمة.. - تبنى استنباط الأحكام من الكتاب السنة وإجماع الصحابة.. - تبنى جواز المسح على الخفين.. - تبنى وقوع الطلاق الثلاث فى مكان واحد وفى لفظ واحد.. - تبنى تحريم زواج المتعة.. - وجوب طاعة السلطان.. وهذه المعالم على ما يبدو تعد من القضايا الخلافية وهى للفقه أقرب من كونها أصول وإذا كانت الاتجاهات الأخرى تختلف حول هذه القضايا فهى لا تختلف حول أصول الدين وإنما تختلف مع مذهب أهل السنة. [ صفحه ۸۰] ومكمن المشكلة أن أهل السنة اعتبروا أنفسهم هم الإسلام، وهم الجهة الوحيدة التى لها الحق فى النطق بلسانه، وقد نتج هذا الاعتقاد لديهم بسبب دعم الحكام لهم وفتح الأبواب أمامهم كى يسودوا وينتشروا بين المسلمين حتى أصبحوا هم الأغلبية فتصوروا أن الحق معهم لكثرتهم والباطل مع غيرهم لقتلهم وعدم شهرتهم.. والنصوص القرآنية صريحة فى كون الكثرة ليست معيار الحق ولا ـ دليلا عليه.. [۱۷۸] . يقول البغدادى: ومن مال إلى الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة ولا كان قوله حجة فى اللغة والنحو والحديث والفقه وخلافه.. ثم حسم البغدادى الأمر فى نهاية كتابة بإطلاق قذيفة قاتلة أبادت الاتجاهات الأخرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وهى أن الفرقة الناجية الوحيدة هى أهل السنة وأن جميع الاتجاهات الأخرى هالكة ومثواها النار.. - أصول الدين: وقد حدد البغدادى أصول الدين فى منظورة فيما يلى: - الروايات.. - الإجماع.. - أسماء الله وصفاته.. - معرفة الأنبياء.. - المعجزات والكرامات.. - الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج.. - الأحكام والتكاليف.. وفيما يتعلق بالروايات فقد شن حربا شعواء وأطلق قذائفه على منكرى الروايات جملة والذين ينكرون أحاديث الآحاد خاصة. [ صفحه ۸۱] ومن المعروف أن غالبية الروايات المنسوبة للرسول (ص) هى روايات آحاد.. [۱۷۹] . ثم أطلق قذائفه على منكرى الإجماع والمشككين فيه. ولم تستثن قذائفه بالطبع أولئك الذين يتبنون رؤية فى

أسماء الله وصفاته لا تعتمد على الروايات.. فالذين ينكرون رواية أن الله خلق أدم على صورته.. ورواية أن الله يضع قدمه فى النار حتى تقول قط قط.. ورواية أن الله ينزل إلى السماء كل ليلة.. ورواية أن الله فى السماء.. ورواية أن الله يرى فى الآخرة.. وغيرها من الروايات التى تشير إلى أن الله سبحانه له يد ورجل وعين يضحك ويحزن والتى أنكرتها الاتجاهات المخالفة لأهل السنة من باب دفع التشبيه والتجسيم وتنزيه الله سبحانه عن مشابهة مخلوقاته.. الذين ينكرون مثل هذه الروايات أو يشككون فيها هم من أهل الزيغ والضلال فى نظر البغدادى ومن على شاكلته من الفقهاء. وليس من بين المسلمين من ينكر النبوات والأنبياء والشهادتين وسائر أركان الإسلام أو الأحكام والتكاليف إلا أن التسليم بمثل هذه الأمور لا يكفى فى نظر البغدادى وأمثاله فلا بد حتى يكمل الإيمان ويسلم الإنسان أن يدين بمذهب أهل السنة.. من هنا فقد أعلن البغدادى فى كتابة أن من أكل لحم الخنزير من غير ضرورة ولا خوف أو أظهر زى الكفار فى بلاد المسلمين وما جرى مجرى ذلك من علامات الكفر وإن لم يكن فى نفسه كفر أجرينا عليه حكم أهل الكفر وإن لم نعلم كفره باطنا، وأن الدار – المجتمع – لا يحكم بكونها دار إسلام إلا إذا أنفذ فيها حكم المسلمين على أهل الذمة وكانت الغلبة فيها لأهل السنة على أهل البدعة.. [ صفحه ۸۲] ومعنى هذا الكلام الحكم بالكفر على المجتمعات المعاصرة والاعتبار الزى (الإفرنجى) الذى يرتديه المسلمون اليوم وشتى الممارسات التى يمارسونها من ألعاب وصناعات ووسائل ترفيه وما شابهها هى صورة من صور الكفر، على أساس الرواية التى تقول: من تشبه بقوم فهو منهم.. وقد عقد البغدادى فى كتابه أكثر من عشرة فصول عن الإمامة ووجوبها وشروطها مسلطا قذائفه على الاتجاهات الأخرى التى تتبنى رؤية مختلفة فى الإمامة لا تنطبق على الحكام الذين اعتبرهم البغدادى وأصحابه أئمة المسلمين وعلى رأسهم معاوية وولده يزيد وذلك سيرا مع الروايات المنسوبة للرسول (ص) المتعلقة بالإمامة والتى لا تدين الاتجاهات بها الأخرى.. ثم ختم البغدادى كتابة بإطلاق قذيفة مدوية على الخصوم أعداء الدين تمثلت فيما يلى: – وجوب قتل المرتدين.. – كفر الاتجاهات الأخرى (أهل البدع والأهواء) ووجوب قتالهم.. – عدم جواز أكل ذبائح أهل الأهواء والبدع وحرمة مواريثهم.. – عدم جواز نكاح المسلمة منهم.. – الشاك فى كفر أهل الأهواء كافر.. [ صفحه ۸۳]

## مدافع الطحاوى

الآخرون ضلال وأردياء.. [ صفحه ۸۵] صاحب هذا المدفع هو أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى المصرى الحنفى المعروف بالطحاوى (۲۳۷: ۳۲۱ هـ) وقد أطلق على مدفعه هذا اسم العقيدة السلفية وعرف فيما بعد بالعقيدة الطحاوية. وجاء من بعده القاضى صدر الدين على بن محمد بن العز الحنفى (۷۳۱: ۷۹۲ هـ) فقام بشرح هذه العقيدة وأضاف قذائف جديدة إلى قذائف الطحاوى.. – مدافع ضد العقل / يوجه الشارح أول مدافعه نحو أصحاب الرأى من أهل الكلام أى أهل الجدل الفلسفة والمنطق بنقل مقاله لأبى يوسف صاحب أبو حنيفة فيهم هذا نصها: العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام هو العلم. وإذا صار الرجل رأسا فى الكلام قيل زنديق أو رمى بالزندقة ومن طلب العلم بالكلام تزندق.. ونقل عن الشافعى قوله فيهم: حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.. ثم يوجه مدفعه الثانى نحو الاتجاهات المخالفة لعقيدة الفقهاء فيما يتعلق بصفات الله تعالى التى تقوم على الروايات وأقوال السلف، تلك الاتجاهات التى أنكرت رؤية الله وأن كلامه سبحانه غير مخلوق ورفضت التشبيه والتجسيم الذى تشير إليه الروايات ونسبة الظلم إلى الله برفض فكرة إرادة الله للشر والكفر وأنهما يتمان بمشيئته، وهى ما يعرف بفكرة خلق أفعال العباد التى يدين بها الفقهاء.. أما مدفعه الثالث فقد سلطه على العقل واعتبر أنه إذا اصطدم العقل مع النقل وجب تقديم النقل أى الرواية لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين وتقديم العقل ممتنع والواجب التسليم للرواية وتلقيها بالقبول والتصديق دون معارضة بخيال باطل نسميه معقولا.. ويؤكد الطحاوى أن جميع ما ورد عن الرسول (ص) من الروايات التى يعتبرها الفقهاء صحيحة من الشرع والبيان كله حق. [ صفحه ۸۶] وشن الشارح حربا شعواء على الفلسفة والفلاسفة وأن حقيقة أقوالهم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه. مؤكدا أن أهل السنة لا يعدلون عن الرواية ولا يعارضوها

بمعقول أو بقول أحد من أهل البدع والأهواء. وهاجم الشارح الاتجاهات الأخرى التى تستند إلى قوله تعالى (ليس كمثله شئ) فى نقص الروايات المنسوبة للرسول (ص) بخصوص صفات الله تعالى والتى تصطدم اصطدما صريحا بهذا النص القرآنى.. والشارح بموقفه هذا يكون قد مال إلى صف الرواية فى مواجهة النص القرآنى، بل اعتبر خصومه يحرفون الكلم عن مواضعه ويلبسون على الناس دينهم وفهموا من أخبار الصفات ما لم يرده الله ولا رسوله فهمه أحد من الفقهاء.. - فى خدمة الحكام / يقول الطحاوى: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم. ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة.. وحشد الشارح عشرات الروايات التى توجب على المسلمين طاعة الحكام وإن كانوا فجارا فسقة شعارهم ظلم العباد ونهب البلاد.. وعلى رأس هذه الروايات رواية تقول: من رأى من أميره شيئا فليصبر.. ورواية تقول: أطع الأمير وإن جلد ظهرك وأخذ مالك.. ورواية تقول: من فارق الجماعة - أى شق عصا الطاعة على الحكم - فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه أو مات ميتة جاهلية كما تنص روايات أخرى.. يقول الشارح: وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل فى الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور. فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا والجزاء من جنس العمل فعلينا الاجتهاد بالاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم فليتركوا الظلم. وهذا الكلام هو محل إجماع الفقهاء سلفا وخلفا بل هو من معتقدات أهل السنة التى [ صفحه ۸۷] اعتبرت من أساسيات الدين الواجب على المسلمين الالتزام بها ومن أخل بها فهو ضال زائغ يدخل فى زمرة أهل البدع والأهواء.. وقد أجاز الفقهاء قتل الخارج على الحكام المفارق للجماعة على أساس رواية تقول: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة.. هذا هو نهج الفقهاء والسلف الذين سخروا الدين فى خدمة الحكام وألزموا الأمة بالسير على هذا النهج الذى حدد الشارح أن أتباعه هدى وخلافه ضلال.. يقول الطحاوى: والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلها شئ ولا ينقضها. ثم يتجه الطحاوى من بعد ومعه الشارح إلى تصويب مدافعهم على المخالفين لعقائد الفقهاء فى الحكام والصحابة والسلف معلنين أن حب هؤلاء من الإيمان وبغضهم من النفاق وأن الواجب الشرعى يحتم بغض من يبغضهم والبراءة منه وإحسان القول فيهم بلا استثناء. يقول الطحاوى: ومن أحسن القول فى أصحاب الرسول (ص) وأزواجه فقد برئ من النفاق وعلماء السلف أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل ولا نصدق من يدعى شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة هذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا ونحن براء إلى الله تعالى من كل خالف الذى ذكرناه وبيناه ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم براء وهم عند ضلال وأردياء.. ويقول الشارح: وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم عدولهم عن الصراط المستقيم الذى أمرنا الله باتباعه. والشارح بقوله هذا يريد أن يؤكد أن صراط الفقهاء والحكام هو الصراط المستقيم الذى أمرنا الله باتباعه. وهو الصراط الذى حدد معالمه الطحاوى فى ختام كتابه بقوله: هذا ديننا واعتقادنا. وهذا الكلام يؤكد المقولات السابقة من أن أهل السنة هم أهل الحق وأصحاب الجنة وغيرهم [ صفحه ۸۸] من الاتجاهات الأخرى هم أهل الباطل وأصحاب النار.. ويطالب الشارح الحكام بالتدخل للقضاء على المخالفين من جميع الاتجاهات وأهل اللعب واللهو والفنون بقوله: والواجب على ولى الأمر وكل قادر أن يسعى إلى إزالة المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والقالات ومنعهم من الجلوس فى الحوانيت والطرقات أو يدخلوا على الناس فى منازلهم وقد ثبت عن الرسول (ص) قوله: إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه.. وهو بهذه الفتوى لم يمنح الحاكم فقط سلطة مقاومة المنكر بل منح أفراد الرعية أيضا هذه السلطة لمقاومة مثل هذه الأنشطة والممارسات.. وبالطبع فإن مقاومة أصحاب الرأى والاتجاهات المخالفة هى مقدمة على ذلك بل هى أولى فى منظور الفقهاء.. وهكذا نرى مدافع الفقهاء تتداول فيما بينهم عبر العصور يسلمها كل فقيه لمن بعده ولا مانع أن تسلم هذه المدافع للحكام أيضا

ولأفراد الرعية إذا حتمت الضرورة ذلك وتهدد نفوذ الفقهاء والحكام.. [ صفحه ۸۹]

## مدافع ابن تيمية

أكذوبة شيخ الإسلام.. [ صفحه ۹۱] ابن تيمية الحرانى من فقهاء القرن الثامن التزم المذهب الحنبلى وتعصب له وجرت له بسبب ذلك محن كثيرة.. [۱۸۰] . وقد اتخذ من الشام مقرا له فى عصر سلاطين المماليک وكثرة مشاغباته مع الفقهاء من أصحاب المذاهب الأخرى ومع الاتجاهات الفلسفية والصوفية والشيعية فى عصره. إلا أنه رغم محاولاته إحياء نهج الحنابلة وتصانيفه الكثيرة، لم يحصل على رضا فقهاء عصره من الحنابلة أو من غيرهم.. وكان ابن تيمية عنيدا سليط اللسان عجولا فى إلقاء التهم على الخصوم متسرعا فى أحكامه كثيرا المراوغة معجبا بنفسه.. [۱۸۱] . يروى أن القضاة الثلاثة الشافعى والمالكى والحنفى أرسلوا إليه مرات فامتنع عن الحضور إليهم ولما أحضر ووقع البحث مع بعض الفقهاء كتب عليه محضر بأنه قال أنا أشعرى.. [۱۸۲] . - مدافع ضد الفقهاء: يروى أنه تكلم فى حق مشايخ الصوفية - أى سبهم وهاجمهم - وقال لا يستغاث بالنبى (ص) فقبض عليه وحبس، ثم نقل أن جماعة يترددون عليه فى السجن وأنه يتكلم فى نحو ما تقدم فأمر بنقله من محبسه.. [۱۸۳] . يقول عنه الذهبى أحد تلاميذه: تعتريه حدة فى البحث وشظف للخصم تزرع له عداوة فى النفوس، أى أنه حاد فى حواراته عصبى يظن أن الحق معه ويسخر من الخصم ولا يحترمه والناس فى نظره جهال.. [۱۸۴] . وأطلق ابن تيمية مدافعة على سيبويه العالم النحوى عندما ذكر أمامه على لسان ابن حبان صاحبه مما أدى إلى مقاطعة ابن حبان له وصير ذلک ذنبا لا يغفر وأصبح لا يذكره بخير.. [۱۸۵] . [ صفحه ۹۲] وكان ابن تيمية قد قال فى سيبويه: ما كان سيبويه نبى النحو ولا كان معصوما، بل أخطأ فى (الكتاب) فى ثمانين موضعا ما تفهمها أنت - يقصد ابن حبان -... [۱۸۶] . وقد نسب إلى أصحاب ابن تيمية الحنابلة الغلو فيه - أى الإيمان الشديد المتطرف به - واقتضى له ذلک العجب بنفسه حتى زها على أبناء جنسه واستشعر أنه مجتهد، فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم قديمهم وحديثهم حتى انتهى إلى عمر بن الخطاب فخطأه فى شئ فبلغ ذلک الشيخ إبراهيم فأنكر عليه.. [۱۸۷] . وكان كثير الوقوع فى الأشاعر حتى أنه سب أبو حامد الغزالى فقام عليه قوم وكادوا يقتلونه وكانت له وقائع شهير وإذا حوقق - نوقش فأفحم وقام عليه الدليل وألزم - يقول لم أر هذا، وإنما أردت كذا فيذكر احتمالا بعيدا.. [۱۸۸] . ويروى أنه أفتى يوما فى مسألة وأفتى فقيه أخر بخلافة، فرد عليه ابن تيمية قائلا: من قال هذا فهو كالحمار الذى فى داره.. ولم يسلم أحد ممن هو خارج دائرة ابن تيمية وتلاميذ وأتباعه من مدافعه، حتى فقهاء الحنابلة الآخرين أوذوا منه وخشوا على المذهب من أفكاره وفتاويه.. ويروى أن كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين والصالحين كرهوا له التفرد ببعض المسائل التى أنكرها السلف على من شذبها، حتى أن بعض قضاة العدل الحنابلة منعه من الافتاء. [۱۸۹] . وعندما قال ابن تيمية بإنكار المجاز نسب إليه التجسيم حيث اعتبرت جميع صفات الله الواردة فى القرآن والروايات حقيقة، وأن الله سبحانه له يد وعين ورجل ويصعد ويهبط وما شابه ذلک.. [۱۹۰] . وقام الفقهاء على ابن تيمية وعقدوا له مجلس محاكمة ومنع من الكلام، وحدثت فتنة بين أتباعه وبين الشافعية فى دمشق ولحق الأذى باتباع ابن تيمية مما اضطره إلى الرجوع عن [ صفحه ۹۳] مقالته، ثم ارتد مرة أخرى فصدر مرسوم أن من يتكلم فى العقائد فعل به كذا وكذا، ونودى فى دمشق من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله.. [۱۹۱] . ثم جمع الحنابلة الصالحية وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعى. [۱۹۲] . وأطلق ابن تيمية مدافعه نحو ابن عربى فكفره ونسب الإلحاد إليه وإلى أصحابه. ونسب الشرک إلى من توسل بالنبى واستغاث به وأنكر زيارة قبر النبى (ص).. [۱۹۳] . ونتيجة لهذا كله انقسم الناس فى مواجهة ابن تيمية أربعة أقسام: - منهم من نسبة إلى الكفر والزندقة.. ومنهم من نسبه إلى النفاق.. ومنهم من نسبه إلى السعى للإمامة.. وفوق هذا هناک من طالب بقتله.. - ابن تيمية والحكام: عاش ابن تيمية عصر المماليک البحرية وحاز شهرة بسبب مشاغباته فى الشام ومصر حتى تمكن من استمالة محمد بن قلاوون إلى صفه، كذلک الأمير سلار نائب السلطنة فى عصر بيبرس الجاشنكير الذى أطاح بابن قلاوون من الحكم. وكان نظام حكم المماليک يعتمد على الفقهاء فى استمالة العامة وتحقيق الأمن

والاستقرار للحكم، فلم تكن هناك فى هذا العصر مؤسسة دينية محددة مرتبطة بالحكم.. ولم يستطع ابن تيمية أن يأخذ مكانه بين كبار الفقهاء القريبين من السلطة إلا أنه تمكن من كسب عطف بعض أمراء المماليك الذين كان لهم دورهم البارز فى التخفيف عليه فى حبسه الذى تكرر عدة مرات.. وكان بيبرس الجاشنكير ضد ابن تيمية وله ميول صوفية. وحين أمر بحسبه كان " سلار " يهرب له الأقلام والقراطيس ويدخل عليه أصحابه، فكان ابن تيمية يكتب ويفتى ويراسل أمه [ صفحه ۹۴] ويوجه أتباعه وهو داخل الحبس وحين حبس بمصر كانوا ينقلون إلى قلعة الإسكندرية صيفا. وقلعة القاهرة شتاء.. ولما جاء محمد بن قلاوون إلى السلطة استقبل ابن تيمية بالأحضان وأطلق يده فانطلق هو وأتباعه فى الأسواق يعتدون على العامة ويكسرون الحانات ويعتدون على زوار القبور مما أقلق ابن قلاوون فقرر الحد من نشاطه. فكتب ابن تيمية له كتابا اسمه (الجواب الباهر فى زوار المقابر) يثبت فيه بطلان زيارات القبور وما يجرى فيها.. [۱۹۴] . ولم يكن ابن تيمية ضد الحكام، وإنما كان ضد المسلمين. فهو لم يتصد لمنكرات المماليك وفساد وانحرافات الحكم فى عصره، وإنما تصدى للصوفية والأشاعرة والشيعة وعوام الناس. - ابن تيمية والعقل / وجه ابن تيمية مدافعه نحو العقل كما هو شأن الحنابلة. كما حارب المنطق والفلسفة.. وكانت أول مدافعه فى هذا الميدان قد وجهت نحو الخلف والاتجاهات الإسلامية من الشيعة والمعتزلة الذين تبنوا نهج التأويل فى مواجهة النصوص الخاصة بصفات الله، وفسروا قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) على أن اليد تعنى القدرة، وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما)، أى بواسطة، وقوله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) أى منتظرة.. وقوله (ولتصنع على عينى) أى برعايتى.. وقوله (أأمنتم من فى السماء) بنفى تحديد مكان الله فى السماء.. واعتبر ابن تيمية مثل ذلك ضربا من الضلال والانحراف عن نهج السلف والأحاديث النبوية فهو لا يريد إعمال العقل فى هذه النصوص، ويريد أن تؤخذ على ظاهرها والإقرار بأن الله سبحانه له يد وعين يتكلم بلا واسطة وسوف يراه الناس، وأن مكانه فى السماء.. [۱۹۵] . ولابن تيمية كتاب يسمى (نقد المنطق) نص فيه على ما يلى: - عمدة كل زنديق ومنافق إبطال أحاديث رسول الله والطعن فيها.. - أهل الحديث (الروايات) عندهم من العلم والمعرفة واليقين ما ليس عند أئمة المتفلسفة المتكلمين. [ صفحه ۹۵] - أن المعظمين للفلسفة والكلام (علم الكلام) ومنهم واصل ابن عطاء والغزالى والشافعى وفخر الرازى إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس. - كل من زعم أن طائفة غير أهل الحديث أدركوا من حقائق الأمور أكثر مما أدركوا فهو منافق جاهل.. - المنطق يأمر بالتوحيد وعبادة الله بل يأمر بالشرك وعبادة الكواكب.. ولم يكن ابن تيمية يريد للعقل أن يأخذ مكانه ويؤدى دوره فى هذا الكم الهائل من الروايات المنسوبة للرسول والتى تضر بالإسلام وتشوه صورته. - نماذج من فتاوى ابن تيمية / فتاوى ابن تيمية أكثر من أن تحصى، وهى تشكل تراثه الفكرى.. فالرجل لم يدون كتبا بالمعنى المألوف، وإنما كتب رسائل وردودا وأصدر فتاوى جمعت فيما بعد من قبل أتباعه وتلاميذه.. وقد انتقينا هنا بعض الفتاوى الخاصة بالخصوم والمعارضين والتى تعكس مدى تطرفه وعدوانيته على الآخرين -: - أجاز ابن تيمية قتل الداعية إلى البدعة المخالفة للكتاب والسنة، وهى فى منظوره تشمل المعتزلة والشيعة والصوفية وغيرهم من المخالفين. - من قامت عليه الحجة من أهل البدع استحق العقوبة. - أن الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها وهى أولى بذلك من آلات اللهو والمعازف وإتلاف آنية الخمر، فإن ضررها أعظم من ضرر هذه. - جواز قتل معطلى الشرائع من المسلمين وقتالهم ". فتوى الياسق. - " وحول ابن الفارض وابن سبعين وابن حمويه الذين اتهمهم بالقول بوحدة الوجود والحلول أفتى بقوله: من يعاونهم وينصرهم على أهل الإيمان - ابن تيمية وأتباعه - فهو شر ممن ينصر النصارى على المسلمين، فإن هؤلاء شر من قول النصارى، بل هم شر ممن ينصر المشركين على المسلمين. - الراد على أهل البدع مجاهد. - أفتى ابن تيمية عام ۷۰۴ هـ باستباحة دماء الشيعة وأقنع السلطان محمد بن قلاوون بتسيير حملة اشتراك فيها ابن تيمية لمقاتلة الشيعة فى جبال كسروان بلبنان. [ صفحه ۹۶] وكانت نتيجة هذه الحملة أن خربت كسروان وقتل النساء والشيوخ والأطفال.. ولم يقصر ابن تيمية فتاواه على المسلمين بل تعداهم إلى المسيحيين، وأفتى بوجوب هدم الكنائس فى مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد ونحوها من الأمصار سواء كانت تلك المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثة.. [۱۹۶ "] . مثل هذه الفتاوى وغيرها يوجد منها الكثير فى كتب ابن تيمية مثل الفتاوى الكبرى ونقد المنطق.. ودرء تناقض

العقل والنقل. – " مرجع الجماعات المتطرفة / هل بعد حبس ابن تيمية وموته سكتت مدافعه؟ الإجابة أن بعض تلامذته مثل ابن قيم وابن كثير حاولا تسليط هذه المدافع نحو المسلمين إلا أن مصيرهما كان كمصير إمامها أن ضربا وضيق عليهما ولحق بهما الأذى فاتجها نحو الكتابة والتصنيف. ومنذ ذلك الحين أسدل الستار على ابن تيمية وعطلت مدافعه وحل بها الخراب حتى ظهر محمد ابن عبد الوهاب فى جزيرة العرب، فكشف عنها، وقام بتنظيفها وتجهيزها ثم سلطها مرة أخرى على المسلمين، وقدر الله أن ينصره ابن سعود لتقوم لأول مرة فى التاريخ دولة للحنابلة ويصبح ابن تيمية شيخ الإسلام بعد أن كان منبوذا. وببركات النفط أصبحت له هيئات وجامعات ورموز تنشر فكره وترضعه للمسلمين فى كل مكان. وعن طريق هذه المؤسسات والجامعات والرموز اخترقت التيارات والجماعات الإسلامية وتشبعت بفكر ابن تيمية وتقمصت شخصيته حتى بدا وكأنه لا يوجد فقهاء فى تاريخ المسلمين سواه. وأصبحت كتب ابن تيمية التى لم يكن يسمع عنها أحد تطبع وتوزع مجانا، وتهدى ولا تباع، بل توزع فتاواه (۳۷ مجلدا) مجانا على المساجد والمؤسسات والأفراد. [۱۹۷] . ومن هنا حملت الجماعات الإسلامية مدافع ابن تيمية من جديد وأخذت توجهها نحو المسلمين وأيضا المسيحيين. [ صفحه ۹۷] – مدفع الفرقان وفى كتابه الفرقان بين الحق والباطل الذى صنفه فى سجن دمشق قال فى مقدمته: إن الله بين فى كتابه الفرقان بين الحق والباطل وكذلك نبيه فمن كان أعظم اتباعا لكتابه الذى أنزله ونبيه الذى أرسله كان أعظم فرقانا. ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان واشتبه عليه الحق بالباطل كالذين اشتبه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان والنبى الصادق بالمتبنى الكاذب وآيات النبيين بشبهات الكذابين حتى اشتبه عليهم الخالق بالمخلوق. وهذا الكلام الذى يدين به فقهاء الحنابلة إنما اخترع لإرهاب المخالفين لنهج الرواية والرجال وذلك بربط الرواية بالقرآن. وهدى الله بهدى الرسول (ص). بمعنى أن الذين يرفضون الروايات ويشككون فيها يكونوا بهذا التصور يرفضون القرآن ويشككون فى نصوصه. وهو ما تم توكيده فى الشعار الدائم الذى لا زال يرفع حتى اليوم وهو شعار: الكتاب والسنة حيث أصبح الإسلام هو الكتاب والسنة. بينما الحقيقة أن الإسلام هو الكتاب. فهو المصدر الوحيد المعصوم المنزل من قبل الله سبحانه ليكون حجة على البشر.. ولقد أصبحت الروايات بمرور الزمن وبتوجيه الحكام هى الناطق بلسان الإسلام والمعبر عنه ونتج عن هذا أن هيمنت الروايات على القرآن مما أدى إلى استفزاز أصحاب العقول وتصديهم للروايات والفقهاء الذين يدعمونها. وابن تيمية هنا إنما يردد تهديدات من سبقه من فقهاء السلف من الحنابلة وغيرهم لإرهاب الاتجاهات الأخرى وعزل المسلمين عنها.. ويؤكد ابن تيمية أن اتباع رجال السلف ومعرفة أقوالهم فى العلم والدين وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم. أقوال السلف وأعمالهم فى جميع علوم الدين كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك. فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم. ومعرفة إجماعهم ونزاعهم فى العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم. وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوما. وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم. فيمكن طلب الحق فى بعض أقاويلهم ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه. [ صفحه ۹۸] ويواصل ابن تيمية إطلاق مدافعه على المخالفين بقوله: وكل من خالف ما جاء به الرسول (ص) لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل. بل لا يكون عنده إلا جهل وظلم وظن وما تهوى الأنفس.. ثم يسلط مدفعه على أصحاب الرأى بقوله: وكل الأصول العقلية التى ابتدعها هؤلاء باطلة فى العقل والشرع.. والمقصود بهذا الكلام الاتجاهات الرافضة للروايات المتعلقة بصفات الله المأولة لهذه الصفات المتبنية لنهج العقل والمنطق وا لفلسفة أو ما سمى بعلم الكلام أو العقليات.. فجميع ذلك مرفوض عند ابن تيمية وسلفه من الحنابلة الذين يعتقدون بأن الله سبحانه له يد وعين ورجل ويرى ويهبط ويصعد ومكانه فوق العرش وأنه أراد الشر واختاره كما نص على ذلك أمامهم ابن حنبل.. وهؤلاء الرافضين هم أهل الهوى والزيغ والضلال... [ صفحه ۹۹]

## مدافع ابن القيم

تلميذ بن تيمية وحامل مدافعه.. [ صفحه ۱۰۱] حمل ابن القيم راية الحنابلة من بعد وفاة أستاذه ابن تيمية وأطلق مدافعه على الخصوم وسار على سنة أستاذه إلا أنه لم يصمد طويلا وسلك سبيل التأليف بعيد عن الصدام والمواجهة بعدما نال من الاضطهاد والمحن على يد الفقهاء من أصحاب المذاهب الأخرى وحلفائهم من حكام المماليك.. [۱۹۸] . وقام ابن القيم بتطوير مدفع إمامه ابن حنبل المسمى (الرد على الجهمية والزنادقة) وأعده وجهزه ليواجه أهل زمانه من المسلمين المخالفين أو الزنادقة المارقين وأسماه (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) وسلك ابن القيم نفس سبل إمامه ابن حنبل وأستاذه ابن تيمية فى مواجهة المعارضين معتمدا على الروايات وأقوال سلفة وشعاراتهم التى رفعوها وبدا وكأنه صورة طبق الأصل من ابن حنبل وابن تيمية.. ثم تجاوز ابن القيم هذا الدور واجتهد فى تصنيف المخالفين وإصدار الأحكام فيهم.. يقول ابن القيم: وأما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام ولكنهم مخالفون فى بعض الأصول - كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم - فهؤلاء أقسام: أحدها: الجاهل المقلد الذى لا بصيرة له، فهذا لا يكفر ولا يفسق ولا ترد شهادته، إذا لم يكن قادرا على تعلم الهدى وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفوا عنهم وكان الله عفو غفورا.. القسم الثانى: المتمكن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق، ولكن يترك ذلك اشتغالا بدنياه ورياسته ولذته ومعاشه وغير ذلك، فهذا مفرط مستحق للوعيد آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته، فهذا حكمه حكم أمثاله من تاركى بعض الواجبات فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنة والهدى ردت شهادته، وأن غلب ما فيه من السنة والهدى قبلت شهادته.. القسم الثالث: أن يسأل فيطلب ويتبين له الهدى، ويتركه تقليدا أو تعصبا أو بغضا أو معاداة لأصحابه فهذا أقل درجاته: أن يكون فاسقا، وتكفيره، محل اجتهاد وتفصيل، فإن [ صفحه ۱۰۲] كان معلنا داعية ردت شهادته وفتاويه وأحكامه مع القدرة على ذلك، ولم تقبل له شهادة ولا فتوى ولا حكم إلا عند الضرورة كحال غلبه هؤلاء واستيلائهم، وكون القضاء والمفتين والشهود منهم، ففى رد شهادتهم وأحكامهم إذ ذاك فساد كثير و لا يمكن ذلك فتقبل للضرورة.. [۱۹۹] . وقام ابن القيم بإعداد مدفع آخر أسماه (أحكام أهل الذمة) سلطة على غير المسلمين وحشاه بشتى أنواع القذائف الثقيلة.. وأول هذه القذائف ذلك الكم من الروايات التى حشدها فى كتابة: وأول هذه الروايات رواية تقول: لا خصاء فى الإسلام ولا كنيسة.. وهذه الرواية منسوبة للرسول (ص).. وثانى هذه الروايات منسوبة لابن عباس قال: أيما مصر مصرته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه ولا يضربوا فيه ناقوسا ولا يشربوا فيه خمرا ولا يتخذوا فيه خنزير، وأيما مصر مصرته العجم ففتحه الله على العرب فنزلوا فيه فإن للعجم ما فى عهدهم وعلى العرب أن يوفوا بعهدهم ولا يكلفوهم فوق طاقتهم. وثالث هذه الروايات منسوبة لعمر بن عبد العزيز أن عمر كتب أمرا بهدم الكنائس التى فى أمصار المسلمين.. ورابع هذه الروايات عن الحسن تقول: من السنة أن تهدم الكنائس التى بالأمصار القديمة والحديثة.. وخامس هذه الروايات تقول: سئل ابن حنبل عن البيعة والكنيسة تحدث - أى تبنى من جديد - فقال: يرفع أمرها إلى السلطان، أى ليأمر بهدمها.. وسادس هذه الروايات رواية منسوبة للرسول (ص) تقول: لا تكون قبلتان فى بلد واحد.. وأخرى تقول: لا تبنى كنيسة فى الإسلام ولا يجدد ما خرب منها.. وهذه الروايات وغيرها مما تكتظ به كتب السنن فيما يتعلق بأصحاب الديانات الأخرى موضع شك فقهاء الحديث، ورغم ذلك يسترشد بها الفقهاء. كما أن هذه الروايات جميعها رويت عن طريق أحمد بن حنبل.. [ صفحه ۱۰۳] ثم حشد ابن القيم بعد هذه الروايات كما من فتاوى الفقهاء التى ترتكز على هذه الروايات وغيرها من الروايات التى تتعلق بالموضوع.. وجميع هذه الفتاوى تتركز فى دائرة منع بناء الكنائس ومنع ترميمها والعلاقة بين الحاكم والذمى وأورد ابن القيم فى كتابه الشروط التى يلتزم بها أهل الذمة فى ديار الإسلام وهى: - ألا يحدثوا فى مدينتهم ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا صومعة راهب ولا يجددوا ما خرب.. - أن لا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم.. - أن لا يؤوا جاسوسا ولا يغشوا المسلمين ولا يمنعوا ذوى قراباتهم من الإسلام إن أرادوا.. - أن يوقروا المسلمين وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس.. - أن لا يتشبهوا بالمسلمين فى شئ من لباسهم وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم.. - أن لا يتقلدوا سيفا ولا يظهروا صليبا ولا شيئا من كتبهم فى شئ من طريق المسلمين.. - أن لا يرفعوا

أصواتهم بـالقراءة فی كنائسـهم.. - أن لا يعلموا أولادهم القرآن ولا يرفعوا أصواتهم مع موتاهم.. - أن لا يجاوروا المسـلمين بموتاهم وأن يجزوا مقادم رؤوسـهم.. فإن خالفوا شـيئا مما شرطوه فلا ذمة لهم وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق. قال ابن القيم وشـهرة هذه الشـروط تغنی عن إسنادها - أی محاولة إثبات صحتها من حيث السند - فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها فی كتبهم واحتجوا بها ولم يزل ذكر الشـروط العمريـة - نسبة إلی عمر بن الخطاب صاحب الشـروط السابقة - علی ألسـنتهم وفی كتبهم وقـد أنفـذها بعـده الخلفاء وعملوا بموجبها.. وقسم ابن القيم فی كتابه البلاد التی تحوی أصـحاب الـديانات الأخری إلی ثلاثـة أقسام: الأول: بلاد أنشأها المسـلمون فی الإسـلام.. [ صـفحه ۱۰۴] الثانی: بلاد أنشـئت قبل الإسـلام فافتتحها المسـلمون عنوة وملكوا أرضـها وساكنيها. الثالث: بلاد أنشـئت قبل الإسـلام وفتحها المسـلمون صلحا.. والقسم الأول الثانی لا يجوز أن تبنی كنيسة ولا بيع فيه وما بنی يهـدم ويلزم بالشـروط السابق ذكرها، أما القسم الثالث فيقر علی حاله وما بنی بعد الصـلح يهدم.. يقول ابن القيم: وهذا الذی جاءت به النصوص والآثار هو مقتضـی أصول الشـرع وقواعـده فإن إحـداث هذه الأمور إحداث لشـعائر الكفر وهو أغلظ من إحداث الخمارات والمواخير، فـإن تلـك شـعار الكفر وهـذه شـعار الفسق، ولا يجوز للإمام أن يصالحهم فی دار الإسـلام علی إحـداث شـعائر المعاصـی والفسوق، فكيف إحداث مواضع الكفر والشـرك.. [۲۰۰] . ومثل هـذه الروايات التی اسـتند عليها ابن القيم والفتاوی التی استحضـرها هی التی ارتكز عليها حنابلة العصـر من الجماعات الإسـلامية واسـتباحوا دماء وأموال النصاری علی أساسها مرتكزين علی أن المجتمع المعاصـر يعـد حسب المفهوم الفقهی الذی وضـعه الفقهاء: دار حرب لا يوجد فيها إمام ولا توجد بين المسـلمين والنصاری عقود ذمة تحفـظ علی أساسـها أموالهم ودمـائهم فمن ثم هم عرضه للاسـتحلال من قبل هـذه الجماعات التی جعلت من نفسـها قيما علی الـدين ومعبرا عنه وناطقة بلسانه وقد منحتها هذه الصلاحيات عقيدة أهل السنة ونصوص الفقهاء، وعجز فقهاء العصر وتحالفهم مع الحكام من جانب آخر.. مثل هذا الفقه المتطرف الذی بنی علی روايات ضـعيفة وعلی الأعراف وقرارات الحكام يجب أن يعاد ضـبطه مع القرآن، وهو لن ينضبط معه بحال، فالقرآن لم ينص علی شیء من هذا تجاه الديانات الأخری.. هذا الفقه إنما هو وليد مرحلة سياسية خاصة هی مرحلة الحروب والغزوات وليس وليد النصوص. [ صفحه ۱۰۵]

## مدافع ابن حجر الهيتمی

إمامی معاوية.. [ صـفحه ۱۰۶] [۲۰۱] أنظر ملاحق الكتاب.. [ صـفحه ۱۰۷] ولـد ابن الحجر الهيتمی فی محلـة أبی الهيتم من أعمـال الغربية بمصر سنة (۹۰۹ هـ) ثم انتقل للإقامة بمكة سـنة (۹۴۰ هـ) وتوفی بها سـنة (۹۷۴ هـ).. [۲۰۲] . وقد اسـتفز ابن حجر تيار الشيعة فقرر أن يطلق مـدافعه عليه. تلـك المـدافع التی تمثلت فی كتـابين شـهيرين له: الأول هو كتاب (الصواعق المحرقـة فی الرد علی أهل البدع والزندقة). والثانی هو (تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوه بثلب معاوية بن أبی سفيان). - مدفع الصواعق: يقول ابن حجر فی مقدمة كتابه هذا: سئلت قديما فی تأليف كتاب يبين حقية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب فأجبت إلی ذلك مسارعة فی خدمة هـذا الجنـاب. ثم سـئلت فی إقرائه فی رمضـان سـنة خمسـين وتسـعمائة بالمسجد الحرام لكثرة الشـيعة والرافضـة ونحوهما الآن بمكة المشـرفة فأجبت إلی ذلك رجاء لهدايـة بعض من زل به قـدمه عن أوضح المسالك، ويصف ابن حجر كتابه بقوله: فجاء كتابا فی فنه حافلا ومطلبا فی حلل الرصانـة والتحقيق رافلا ومهنـدا قاصـما لحجـج المبطلين وأعناق شـرار المبتدعـة الضالين.. وحشـد ابن حجر فی مقـدمته كما من الروايات التی ترهب المخالفين من المبتدعـة الضالين المنسوبـة لرسول رب العالمين (ص).. الأولی روايـة تقول: أهل البدع شر الخلق والخليفة.. والثانية تقول: أصحاب البدع كلاب النار.. والثالثة تقول: من وقر صاحب بدعة فقد أعان علی هدم الإسلام.. والرابعة تقول: إذا مات صاحب بدعة فقد فتح فی الإسـلام فتح.. والخامسة تقول: لا يقبل الله لصاحب بدعة صـلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صـرفا ولا عدلا يخرج من الإسـلام كما تخرج الشعرة من العجين.. وبالطبع المقصود بأصحاب البدعة هم المخالفون للفقهاء والنهج السائد من أصـحاب [ صفحه ۱۰۸] الاتجاهات الأخری من داخل أهل السـنة ومن خارجهم.. وقد حشـد

ابن حجر بعـد ذلك كما هائلا من الروايات التى تهاجم المخالفين والناظرين بعقولهم فى حركـة الصحابة وما جرى بعـد وفاة الرسول (ص) من خلافات وصدامات مؤكدا من خلال هذه الروايات أن فترة الصحابة فترة مقدسة وأن ما جرى فيها لا يخرج عن كونه صورة من صور الاجتهاد المحمود شرعا، وأن الناقدين لتلك الفترة سواء كانوا من الشيعة أو من غيرهم هم مبتدعة زنادقة كما حدد ذلك مسبقا على غلاف كتابه.. يقول ابن حجر: وإنما أفتتحت هذا الكتاب بالصحابة وختمته بهم، إشارة إلى أن المقصود بالذات من تأليفه تبرئتهم من جميع ما افتراه عليهم أو على بعضهم من غلبت عليهم الشقاوة وتردوا بأردية الحماقة والغباوة ومرقوا من الدين واتبعوا سبيل الملحدين وركبوا متن عمياء وخبطوا خبط عشواء فباؤا من الله بعظيم النكال ووقعوا فى أهوية الوبال والضلال ما لم يداركهم الله بالتوبة والرحمة.. ومن الواضح مدى تطرف هذا الكلام فى حق المخالفين تجاه قضية محيطها الرجال وهى ليست أصلا من أصول الدين، لكن المسألة فى الأساس ليست مسألة صحابة وإنما هى مسألة حكام يتسترون بالصحابة، ويعتبرون محاولة التشكيك فى الصحابة تعنى التشكيك فى شرعيتهم.. أو بصورة أخرى المسألة فى أساسها تنحصر فى معاوية وتدور من حوله بمعنى أن التشكيك فى الصحابة سوف يقود إلى التشكيك فى معاوية. والتشكيك فى معاوية سوف يقود إلى التشكيك فى الحكام بعده فجميع الحكام أمويين وعباسيين وغيرهم ساروا على سنة معاوية.. [۲۰۳] . يقول ابن حجر: إعلم أن الذى أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم، والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم، ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين على ومعاوية من الحروب لم يكن لمنازعة معاوية لعلى فى الخلافة، فلم تهج الفتنة بسببها وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من على تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه.. [ صفحه ۱۰۹] ومن اعتقاد أهل السنة أن معاوية من المجتهدين له أجر على اجتهاده، وأما ما يستبيحه بعض المبتدعة من سبه ولعنه فلا يلتفت إلى ذلك ولا يعول عليه فإنه لم يصدر إلا من قوم حمقى جهلاء أغبياء طغاة لا يبالى الله بهم بأى واد هلكوا، فلعنهم الله وخذلهم أقبح اللعنة والخذلان، وأقام على رؤوسهم من سيوف أهل السنة وحججهم المؤيدة بأوضح الدلائل والبرهان ما يقمعهم عن الخوض فى تنقيص أولئك الأئمة والأعيان، ولقد استعمل معاوية عمر وعثمان وكفاه ذلك شرفا أه.. إن الدفاع عن معاوية فى نظر ابن حجر والفقهاء إنما هو دفاع عن الدين وقد استتبع هذا الدفاع دفاع عن ولده يزيد، حيث أن الطعن فى يزيد طعن فى والده.. يقول بن حجر: ولا يجوز الطعن فى معاوية لأنه من كبار الصحابة ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره فإنه من جملة المؤمنين وأمره إلى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.. [۲۰۴] . ونقل ابن حجر قول الغزالى: ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنه يهيج على بعض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين، فالطاعن فيهم مطعون طاعن فى نفسه ودينه.. وروى ابن حجر قصة وقعت فى عام (۷۵۵ هـ) أنه أحضر شخصا بدمشق أتهم بسبب الشيخين (أبو بكر وعمر) فأخذ وسجن والأغلال فى عنقه، ثم قدم للقاضى المالكى فضربه وهو مصر على قوله. ثم تكرر ضربه واستتابته فلم يرجع عن قوله، فاجتمع الفقهاء والقضاة للبحث فى كفره وعدم قبول توبته، وحكم بقتله.. وشنع السبكى على من قال أن هذا الرجل قتل بغير حق. وجزم بأنه قتل بحق لأنه كافر مصر على كفره.. وقدم ابن حجر الروايات والفتاوى التى تؤيد كفره وجواز قتله وصواب الحكم الذى صدر فيه.. [۲۰۵] . والثابت أنه لا يوجد نص فى القرآن أو فى السنة يقول صراحة بقتل الذى يسب الرسول فضلا عن الذى يسب صحابى، والفقهاء فى حالة صاحب هذه القصة قد طبقوا عليه أحكام [ صفحه ۱۱۰] المرتد عن الدين، وكأن الصحابة أصبحوا ركنا من أركان الإسلام.. ويبدو أن ابن حجر لم يقنع بما أحدثه مدفعه المسمى بالصواعق من خسائر وأضرار فى المسلمين وعقولهم ودينهم فشهر مدفعا آخر ضد خصوم معاوية والطاعنين فيه كى يسكتهم إلى الأبد.. يقول ابن حجر: فهذه وريقات ألفتها فى فضل سيدنا معاوية بن أبى سيفان رضى الله عنه وأرضاه وفى مناقبه وحروبه. وفى الجواب عن بعض الشبه التى استباح سبه بسببها كثير من أهل البدع والأهواء جهلا واستهتارا بما جاء عن نبيهم (ص) من المبالغة الأكيدة فى التحذير عن سب أو نقص أحد من أصحابه، لا سيما أصهاره وكتابه ومن بشر بأنه سيملك أمته، ودعا له بأنه يكون هاديا مهديا.. دعانى إلى تأليفها الطلب الحثيث من السلطان همايون أكبر سلاطين الهند وأصلحهم وأشدهم تمسكا بالسنة الغراء ومحبة أهلها وما نسب إليه مما يخالف

ذلك فيفرض وقوعه منه تنصل منه التنصل الدافع لكل ريبة وتهمة، كما يقطع بذلك التواتر عنه فى أواخر أمره كأوله بل حكى لى من هو فى رتبة مشايخ مشايخنا من بعض أكابر بنى الصديق عنه أنه مكث أربعين سنة لا ينظر إلى السماء حياء من الله تعالى. وأنه إنما يأكل من كسب يده، وأن من قدم عليه من علماء أهل السنة بالغ فى تعظيمه بما لم يسمع عن غيره ككثرة التردد عليه ومع سعة ملكه وأبهة عسكره جالسا بين يديه على التراب كصغار طلبته مطلقا عليه من الأرزاق والإنعام ما يلحقه بأكابر الأغنياء، وسبب طلبه ذلك أنه نبغ فى بلاده قوم ينتقصون معاوية وينالون منه وينسبون إليه العظائم مما هو برئ منه لأنه لم يقدم على شئ مما صح عنه إلا بتأويل يمنعه من الإثم بل ويوجب له خطأ من الثواب، فأجبته إلى ذلك.. ولا يشك أحد أن معاوية من أكابرهم نسبا وقربا منه (ص) وعلما وحلما فوجبت محبته لهذه الأمور التى اتصف بها الإجماع، فمنها شرف الإسلام وشرف الصحبة وشرف النسب وشرف مصاهرته له (ص) المستلزمة لموافقته له (ص) فى الجنة ولكونه معه فيها وشرف العلم والحلم والإمارة ثم الخلافة، وواحدة من هذه تتأكد المحبة لأجلها فكيف إذا اجتمعت، وهذا كاف لمن فى قلبه أدنى إصغاء للحق وإذعان للصدق.. وهذا الدفاع المستميت من ابن حجر عن معاوية يشوبه الضعف والخلل والتناقض. فهو أولا قد حشد عشرات الروايات التى تمدح معاوية وتزكية على لسان الرسول (ص) وهى [ صفحه ۱۱۱] جميعها روايات ضعيفة وموضوعة واجماع أئمته من أهل الفقه والرواية على أنه لم تصح فى معاوية منقبة وهذا ما شهد به البخارى وشارحه ابن حجر العسقلانى وإسحاق بن راهويه أستاذ البخارى.. [۲۰۶] . وقد تدارك ابن حجر الأمر وسد الباب أمام الشاكين فى هذه الروايات بقوله: فإن قلت هذا الحديث المذكور سنده ضعيف فكيف يحتج به؟ قلت: الذى أطبق عليه أئمتنا الفقهاء والأصوليون والحفاظ أن الحديث الضعيف حجة فى المناقب.. هكذا حسم ابن حجر المسألة بكل بساطة مع ما تحمل من استخفاف بالعقل وبالدين فى آن واحد ومن الطبيعى أن يكون هذا توجه من جعل نفسه فى خدمة الحكام وسخر النصوص لدعمهم وإضفاء المشروعية عليهم.. وتأمل ثناء ابن حجر على همايون الهندى الذى كتب كتابه فى معاوية بتوجيه منه وذلك لقمع الذين ينتقصون معاوية فى بلاده، أى أن ابن حجر سلم مدفعا لحاكم الهند ليسلطه على شعبه، وهو قد صنع هذا المدفع تقربا إلى الله ونصره لحاكم موال لأهل السنة خصما لأهل البدعة فمقياس الحاكم الصالح فى نظر الفقهاء أن يكون ملتزما بمذهبهم، ومقياس الفقيه الصالح فى نظر الحكام أن يكون مواليا لهم رهن إشارتهم باطشا بخصومهم مكفرا لهم.. ويسلط ابن حجر مدافعه على خصوم معاوية بقوله: أولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا فلا يتأهلون لخطاب ولا يوجه إليهم جواب لأنهم معاندون وعن الحق ناكثون بل أشبهوا كفار قريش فى العناد والبهتان حتى لم تنفع فيهم معجزة ولا قرآن، وأنما النافع لهم القتل والجلاء عن الأوطان كيف وهم لا يرجعون لدليل وشفاء العليل منهم كالمستحيل.. وهذا الكلام شديد التطرف من قبل ابن حجر تجاه خصوم معاوية هو بمثابة فتوى أو بمعنى أصح مدفع مسلط على المسلمين يناوله الفقهاء للحكام ليقمعوا به المعارضة التى يتزعمها المبتدعة والزنادقة.. ويستمر ابن حجر فى إطلاق مدافعه على المخالفين بقوله: أحذر أيها الموفق أن تسترسل [ صفحه ۱۱۲] مع مبتدع فى جدل أو خصام، فإنك لو أقمت عليه الحجج القطعية والأدلة البرهانية والآيات القرآنية لم يصغ إليك واستمر على بهتانه وعناده لأن قلبه أشرب حب الزيغ عن سنن أهل السنة وخلفاء التوفيق والمنة اقتداء بكفار قريش الذين لم ينفع فيهم حجة ولا قرآن بل عاندوا إلى أن أفناهم العناد والسنان فكذا هؤلاء المبتدعة الكلام معهم على.. وهكذا يطلق ابن حجر آخر مدافعه مدمرا جميع الوسائل السلمية من حوار ونقاش ومناظرة وعقل وتبادل رأى ومدمرا معها المخالفين من الزنادقة والمبتدعة فهم ككفار قريش لا يصلح معهم إلا السنان. وابن حجر يريد بهذا أن يعفى المسلمون مؤنة النقاش والحوار واستخدام العقل مع الخصوم والمخالفين بقتلهم وإفنائهم أو تشريدهم فى الأرض فهذا هو الحل الشرعى الذى أوجبته الروايات وفتاوى السلف أو بمعنى أكثر وضوحا هو الحل الذى يحوز على رضا الحكام حماة أهل السنة شعب الله المختار الذين خلقهم الله ليكونوا سادة الأرض ومالكيها وحكامها بينما كتب الدمار والهلاك على مخالفيهم فى الدنيا والآخرة.. [ صفحه ۱۱۳]

## مدافع محمد بن عبدالوهاب

أنصاره يشبهونه بالرسول.. [ صفحه ۱۱۵] لا ـ ننكر أن فترة القرن الثامن عشر كانت تحتاج إلى صحوة إسلامية وتجديد فعلى للفكر الإسلامى، إلا أن ما فعله محمد بن عبد الوهاب وما دعا إليه لم يكن صحوة ولم يكن إصلاحا لحال المسلمين.. تعالوا بنا إذن نعرف الحكاية من أولها.. - قرن الشيطان.. ينتمى محمد بن عبد الوهاب إلى منطقة نجد وهى نفس منطقة آل سعود وقد ولد عام (۱۱۱۵ هـ - ۱۷۰۳ م) فى بلدة العيينة شمال الرياض.. وكاد حاد المزاج يعشق ابن تيمية ويتقمص شخصيته.. درس على يد والده الفقه الحنبلى والتفسير والحديث.. وتروى كتب الأحاديث أن رسول الله (ص) ذم نجد وأهلها وحذر المسلمين من شرهم.. الراوية الأولى تقول: ألا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان وأشار إلى نجد.. والراوية الثانية تقول: الفتنة من قبل المشرق. حيث يطلع قرن الشيطان.. والرواية الثالثة قول الرسول (ص): اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا.. قالوا: وفى نجدنا يا رسول الله (ص): فكرروا ثلاثا ورسول الله يدعو للشام واليمن ثم قال: تلك مواضع الزلازل والفتن.. [۲۰۷] . إلا أن فقهاء الوهابية لم يتركوا هذه الروايات تمر مر الكرام خوفا من أن يستثمرها خصومه، فعلموا على تأويلها وصرفها عن معناها مؤكدين أن المقصود بمواضع الزلازل والفتن هى العراق.. وكان محمد بن عبد الوهاب قد تنقل فى البلاد طلبا للعلم وقد طاب له المقام بالبصرة إلا أن أهلها أخرجوه منها وطردوه حافيا بسبب دخوله فى صدام مع التيار الصوفى وإنكاره عليهم زياراتهم لمقابر الأولياء والتوسل بهم فتوجه بعدها إلى الشام ولم يوفق فيها وعاد إلى نجد حيث لازم أباه وعكف على كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.. ثم بدأ بعد ذلك فى الاحتكاك بالناس ودعوتهم إلى أفكاره فكان أن اصطدم به والده وشقيقه سليمان وحارباه، ولم يتسطيع الجهر بدعوته إلا بعد وفاة أبيه، إلا أنه أجبر على [ صفحه ۱۱۶] الفرار من (حريملا) بعد أن نجا من محاولة لقتله واتجه نحو (العيينة) مسقط رأسه واحتمى بحاكمها ودعاه إلى مذهب فمال إليه ثم تراجع عن نصرته بعد أن أحسن بغضب حاكم الأحساء الذى أرسل يطلب رأس ابن عبد الوهاب، فأمر بإخراجه من حريملا وأرسل معه فارس وكله بقتله فى الطريق.. [۲۰۸] . وتروى الكتب الوهابية أن هذا الفارس ارتعدت يداه ولم يتمكن من قتله.. ونزل ابن عبد الوهاب (الدرعية) وهناك تعرف عليه أميرها محمد بن سعود.. [۲۰۹] . - الدم.. الدم. والذهب.. الذهب. وكان أن مال ابن سعود لدعوة ابن عبد الوهاب.. ويروى أن ابن سعود دخل على ابن عبد الوهاب قائلا: أبشر بالخير والعز والمنعة.. وكان رد ابن عبد الوهاب ما يلى: وأنت أبشر باليمن والغلبة على جميع بلاد نجد.. ورجاه أن يكون إماما يجتمع عليه المسلمون ويكون له الملك والسيادة ومن بعده فى ذريته.. قال ابن سعود: أبشر بالنصر لما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد ولكنى أشترط عليك شرطين: الأول: إذا نحن قمنا بنصرتك والجهاد فى سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلاد لا ترحل عنا ولا تستبد لنا بغيرنا.. الثانى: أن لى على أهل الدرعية خراجا آخذه منهم فى وقت اقتطاف الثمار فلا تمنعنى من استيفائه منهم.. فقال ابن عبد الوهاب: أما الأولى فأمدد يدك لأبايعك فمدها له وقبض عليها الشيخ قائلا: الدم بالدم والهدم بالهدم.. وأما الثانية فلعل الله يفتح لنا الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها.. وتم الاتفاق وبدأ ابن عبد الوهاب يخطط لدعوته.. [ صفحه ۱۱۷] وابن سعود يخطط لملكه.. وهكذا تم تقسيم السلطات وتوزيع الاختصاصات.. وهكذا أعمل السيف فى رقاب المسلمين فى جزيرة العرب المناهضين لدعوة التوحيد التى يرفع رايتها محمد بن عبد الوهاب.. وأحلت لابن سعود الغنائم بفتوى ابن عبد الوهاب.. وسار كلاهما فى طريق جانبه ذهب وجانبه الآخر دماء.. وربح ابن سعود الملك والذهب.. وربح ابن عبد الوهاب منصب شيخ الإسلام فى جزيرة العرب.. وكان هذا الاتفاق بمثابة تأكيد لشرعية فصل الدين عن الدولة.. - عقيدة ابن عبد الوهاب.. هل جاء محمد بن عبد الوهاب بشئ جديد؟ والإجابة أن عقيدة ابن عبد الوهاب هى عقيدة الحنابلة وابن تيمية على وجه الخصوص تلك العقيدة التى تقوم على ما يلى: - الروايات.. - السلف الحنابلة.. - تكفير المخالفين واستحلالهم.. وعلى أساس الروايات وأقوال الحنابلة بنى ابن عبد الوهاب عقيدته التى أسماها (التوحيد). وما دامت عقيدته هى عقيدة التوحيد فإن من يخالفه أو يناهضة فهو من المشركين المستباحين.. من هنا فإن محمد بن عبد الوهاب نهض بسيف ابن سعود للقضاء على الشرك والضلال السائد فى جزيرة العرب والذى تحرسه دولة الخلافة فى الاستانة.. نهض ابن عبد الوهاب ليدعوا إلى توحيد

العبوديـة لله حيث أن الناس فى زمانه قـد أشـركوا فى عبادة الله الأنبياء والأولياء والأشـجار ونـذروا لها وحلفوا بها وقدسوها.. [ صـفحه ۱۱۸] ويـدعو إلى رفض التوسل بالأموات من الأنبياء والصالحين.. ويـدعو إلى منع شد الرحال إلى مساجد الأنبياء والصالحين (الزيارة) ويدعو إلى منع البناء على القبور وكسوتها وإنارتها.. ويدعو إلى توحيد الأسـماء والصـفات أى وصف الله بما ورد فى الروايات من أن له يـد وعين ورجل ويضـحك ويغار ويفرح ويهبط ويصـعد وما شابه ذلك ورفض تأويل هـذه الروايات وصـرفها عن معناها الظاهرى إلى معنى مجازى.. وجاء ابن عبـد الوهاب ليـدعو إلى إنكار البـدع كالاحتفال بالموالد والصـلاة على الرسول بعد الآذان والتلفظ بالنية وممارسات الصوفيـة.. ويبـدو من خلال هـذه الأمور التى دعا إليها ابن عبـد الوهاب أنه يأت بجديـد، وأن مثل هذه الأفكار طرحها من قبل ابن تيميـة وتم ضـربها وانتهت بموته فى الحبس.. إلا أن الفارق بين ابن تيميـة وابن عبـد الوهاب، أن ابن تيميـة لم يجـد له نصـيرا يـدعمه بسيفه، بينمـا تحقق لـابن عبـد الوهاب ذلك.. من هنا يمكن القول أن عقيـدة ابن عبـد الوهاب فرضت على الناس بالسـيف لا بالـدعوة والحوار.. ولو كانت دعوته تعتمـد على الحوار والتبليغ لما كانت هناك حاجة لسـيف ابن سـعود.. - دولة الحنابلة.. دخل ابن سعود ومعه ابن عبـد الوهاب فى حروب دينيـة دمويـة مع المعارضـين لهما فى جزيرة العراب.. واسـتمرت هذه الحروب سـنوات طويلة تمكن ابن سـعود وأولادـه من بعـده من السـيطرة على قطاعـات كـثيرة من الجزيرة العربيـة وجعلوا من الدرعيـة عاصـمة لهم.. وتم فتح الرياض عام (۱۱۸۷ هـ) على يـد عبـد العزيز بن محمـد بن سـعود وأتسع ملك آل سـعود وفوض ابن عبد الوهاب أمر الغنائم والأموال لعبـد العزيز بينمـا تفرغ هو لإلقـاء الـدروس وتصـنيف الردود على المخالفين.. وفى عام (۱۱۷۹ هـ) توفى محمـد بن سـعود وبويع عبد العزيز إماما ودخل فى صراع [ صفحه ۱۱۹] دموى مع خصومه، وقام سعود ولده فى عام (۱۲۱۵ هـ) بغزو العراق والاستيلاء على مدينة كربلاـء التى فيها مرقـد الإمام الحسين، فقام بهـدم المرقـد وقبته واسـتولى على ما فى المسـجد من الحلى والنفائس ثم أشـعل النار فى المدينـة وقتـل المئـات من النسـاء والأطفال وقـدر عـدد القتلى من أهل المدينـة بألفى قتيل، وهناك فى الطريق تم تقسـيم الغنائم على الفاتحين ثم عاد الجميع إلى الدرعيـة وهـم يهتفون الله أكبر.. [۲۱۰] . وفى عام (۱۲۱۸ هـ) تم اغتيال عبـد العزيز على يد أحد العراقيين وبويع بعده بالإمامة سـعود ولده. وهكذا قامت للحنابلة أول دولة فى تاريخ المسـلمين وتحقق حلم ابن تيمية على يد ابن عبد الوهاب.. إلا أن هـذا الصـرح الحنبلى لم يـدم طويلا فقـد جاء محمـد على بقواته فهـدمه ودخل عاصـمتهم الدرعية وتشـتت الوهابيون فى أنحاء الجزيرة وذلـك بعـد مرور سـبعين عاما على توقيع الاتفـاق بين محمـد بن عبـد الوهـاب ومحمـد بن سـعود.. [۲۱۱] . - مصـر مـوطن الشـرك.. ومنـذ ذلـك الحين اعتبر والوهـابيون مصـر الشـيطان الأـكبر ومحمـد على طاغوتـا جـاء بقواته ليهـدم صـرح التوحيـد ويقتل الموحـدين.. منـذ ذلك الحين تولدت لدى الوهابيين عقدة تجاه مصـر والمصـريين، فأصـبحوا يكرهون كل ما هو مصـرى، حتى أنهم كانوا يهاجمون المحمل المصرى ويحرقونه، ذلك المحمل الذى كان يأتيهم كل عام بالخيرات وبكسوة الكعبة.. وحين قام عبد العزيز آل سـعود ببناء الدولـة الوهابيـة الثانيـة بعـد الحرب العالميـة الأولى بالتحالف مع الانجليز وانضـمت إليه جماعات (الإخوان) المتعصـبة للوهابية وأصبحت سنده فى الحكم، قرر عبد العزيز أن يعلنها مملكة منفتحة على الغرب والعصر وهنا أحس الوهابيون أن دورهم آخذ فى التلاشـى وأن السـياسة سوف تقضـى عليهم فـدخلوا فى صـدام مع عبد العزيز وأخذوا يحرضون القبائل عليه ويثيرون الشـبهات من حـوله.. [ صـفحه ۱۲۰] وفى مقدمـة هـذه الشـبهات: اسـتخدامه التلفـون واللاسـلكى وهـو من عمـل الشـيطان وركوبه سـياره من صـنع المشـركين.. وتقريبه لعناصـر المشـركين من المسـتشارين الانجليز.. وإرساله ولده سعود ليدرس فى بلاد الشرك (مصر).. وقد اعتبرت مصـر بلاد الشـرك فى منظور الوهابيين لكثرة قبور الأولياء والصالحين فيها فهى بلدة مليئة بالأصنام التى تعبد من دون الله.. ودخل عبد العزيز فى صـدام دموى مع الأخوان وتمكن من سـحقهم ببركـة الانجليز وأعلن ميلاد الدولـة السـعودية الثانية عام ۱۹۳۲ م. والحق أنه يجب تسـميتها بالدولـة الأـولى فقـد كان أجـداد عبـد العزيز يعتبرون أنفسـهم أئمـة وليسوا ملوكا، كما لم يجرؤوا على تسـمية الجزيرة العربيـة باسـمهم.. ومن قيام دولة عبد العزيز آل سـعود وحتى اليوم بدأ دور آل الشـيخ من أبناء محمد عبد الوهاب الذين كانوا يتولون المناصب الدينيـة فى التلاشـى بالتدريـج حتى اختفوا من الساحـة وكانت آخر مواقعهم هيئـة كبار العلماء التى تسلمها من بعدهم عبد

العزيز بن باز وتلاميذه.. - الرسول ومحمد بن عبد الوهاب.. فتن الوهابيون بشيخهم كما فتن أنصار وتلامذة ابن تيمية بإمامهم من قبل. و رفعوه عاليا فوق مقام الأئمة والمصلحين حتى ساووه بالرسول (ص).. وإليكم التفاصيل: يحدد أحد تلامذة الوهابية وجه المشابهة بين عصر الرسول (ص) وعصر محمد بن عبد الوهاب بقوله: - (عصر الرسول كان عصرا قد بلغ من فساد العقائد والعادات والأخلاق مبلغا عظيما وكان عصر ابن عبد الوهاب شبيها بهذا العصر.. - بعث الرسول (ص) بعد فترة من الرسل والبشرية متعطشة إلى بعثته الكريمة. وجاء محمد بن عبد الوهاب في وقت كانت جزيرة العرب في أمس الحاجة إلى مصلح يرجع بها إلى تعاليم الرسول. [ صفحه ۱۲۱] - كما وفق نبينا في الدعوة إلى الله وتوحيده ونبذ الشرك، وفق محمد بن عبد الوهاب في دعوته. - أخرج الرسول من مكة وأوذي من قريش وأجمعوا على قتله فهاجر، وكذلك ابن عبد الوهاب أوذي وحاول البعض قتلة فهاجر إلى الدرعية.. - كما جرى للرسول وهو في طريقه نحو المدينة أن تبعه سراقة وحاول قتله كذلك جرى ذلك لابن عبد الوهاب حين أخرج من العيينة.. - وكان ابن عبد الوهاب يعرض نفسه على القبائل كما كان يفعل رسول الله.. - ومثلما اعترض الرسول الخطر والكوارث والهلاك اعترضت حياة ابن عبد الوهاب الويلات والكوارث.. - وكما كان الرسول يغزو بنفسه كان ابن عبد الوهاب يغزو بنفسه مع ابن سعود.. وكما كان الرسول يرسل الرسل إلى الملوك والحكام يدعوهم إلى دين التوحيد كان ابن عبد الوهاب يفعل نفس الشئ.. - وكما ابتلى الرسول بأعداء أقوياء يتهمونه بالسحر والكذب، ابتلى ابن عبد الوهاب أيضا بأعداء أقوياء اتهموه بالكذب والسحر حتى أخوه سليمان كان عدوا لدودا له. - وكما انتصر الرسول على أعدائه وخضعوا له، كذلك ابن عبد الوهاب انتصر على أعدائه وخضعوا له.. [۲۱۲] . ويعتبر الوهابيون أن الاتفاق الذى وقع بين ابن عبد الوهاب ومحمد بن سعود هو نفس الاتفاق الذى تم بين الرسول والأنصار في بيعة العقبة الثانية حتى أن ابن عبد الوهاب قال نفس ما قاله الرسول: الدم بالدم والهدم بالهدم.. [۲۱۳] . وكما آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار آخى محمد بن عبد الوهاب بين المهاجرين إليه من مريديه وأهل الدرعية التى اتخذها مقرا لدعوته.. [ صفحه ۱۲۲] - مؤلفات محمد بن عبد الوهاب. تدور مؤلفات ابن عبد الوهاب في أغلبها حول قضايا الشرك والبدع التى قام لمناهضتها باعتبارها متناقضة مع التوحيد حسب منظوره.. ومن هذه المؤلفات: كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد.. وكتاب مسائل الجاهلية.. وكتاب أصول الإيمان.. وكتاب الكبائر.. وكتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد.. وكتاب كشف الشبهات، وهو الكتاب الذى فرضه آل سعود على أهل مكة حين سقطت في أيديهم وأجبروا الناس على قراءته وتدريسه بالحرم المكى.. ولأبناء محمد بن عبد الوهاب الكثير من الكتب التى تدور في نفس الدائرة منها: كتاب الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة.. (عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب) وخمس رسائل في التوحيد وأنواع الشرك وطروءه على المسلمين.. (عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب) وثلاثة رسائل في حكم السفر إلى بلاد الشرك، وأوثق عرى الإيمان وحكم موالاة أهل الاشراك (سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب) وفي رسالة حكم موالاة أهل الاشراك فتوى تنص على أن الذين يخطئون أهل التوحيد ويتبعون المشركين من (أهل القباب) ويشهدون أنهم على حق وينصرونهم هم كفار من أشد الناس عداوة لله ورسوله (ص).. وعلى أساس هذه الفتوى يصبح جميع المسلمون الذين لا يدينون بالوهابية ولا يتبعون مذهب محمد بن عبد الوهاب هم كفار حلال الدم والمال.. وهو ما طبق بالفعل في جزيرة العرب بسيوف البدو الأجلاف جنود ابن عبد الوهاب، فقد تم ذبح الفقهاء والأشراف والعامة وكل الخصوم وإحراق كتبهم على الملأ.. [۲۱۴] . إن مؤلفات محمد بن عبد الوهاب وأولاده هى مداف مصوبة نحو المسلمين، وقد انتشرت اليوم بين أيدى الشباب بعد أن أغرقت بها أسواق الكتب وترجمت إلى جميع اللغات الحية على أيدى تلامذة الوهابية بقيادة ابن باز شيخ الوهابية المعاصر.. [ صفحه ۱۲۳]

## مدافع ابن باز

فقيه الجماعات و ممثل السلف.. [ صفحه ۱۲۵] تسلم ابن باز مدافع ابن تيمية من إمامه محمد بن عبد الوهاب ومكمن الخطورة في

مدافع ابن باز أنها تضرب في جميع الاتجاهات متخذة الحرم المكى مقرا لها.. والأخطر من ذلك أنها لاقت قبولا لدى الجماعات الإسلامية فحملتها نيابة عنه.. وهكذا يمكن تحديد مسيرة هذه المدافع كما يلي: من ابن تيمية إلى محمد بن عبد الوهاب.. ومن محمد بن عبد الوهاب إلى ابن باز.. ومن ابن باز إلى الجماعات الإسلامية.. - من هو ابن باز؟ يقول ابن باز نفسه: أنا عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز، ولدت بمدينة الرياض في ذي الحجة عام (۱۳۳۰ هـ - ۱۹۰۹ م) وكنت بصيرا في أول الدراسة ثم أصابني المرض في عيني عام (۱۳۴۶ هـ) فضعف بصرى بسبب ذلك، ثم ذهب بالكلية في مستهل محرم من عام ۱۳۵۰ هـ. [۲۱۵] . وقد بدأ ابن باز الدراسة صغيرا وما أن بلغ حتى تسلمه فقهاء الوهابية من أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب فتربى على أيديهم ورضع منهم الفقه الحنبلي حتى صار علما من أعلام الوهابية المعاصرة.. وفي عام (۱۳۵۷ هـ ۱۹۳۶ م) رشح للقضاء من قبل أحد أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذين تتلمذ على أيديهم، ثم تولى مهمة التدريس في علوم الفقه والحديث والتوحيد ثم عين نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتولى رئاستها بعد ذلك في عام (۱۳۹۰ هـ). ثم بعد ذلك بخمس سنوات صدر الأمر الملكي بتعيينه في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة (وزير) ولا يزال يقبض بزمام هذا المنصب حتى اليوم بالإضافة إلى مناصب أخرى كثيرة في المحيط الديني منها: عضوية هيئة كبار العلماء.. رئاسة المجلس الأعلى للمساجد.. [ صفحه ۱۲۶] رئاسة المجمع الفقهي.. رئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.. عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية بالمملكة.. [۲۱۶] . ويلاحظ من خلال هذا العرض الموجز لحياة ابن باز أنه رجل نشأ نشأة تقليدية، وتعلم بطريقة تقليدية، وأن تعليمه لم يخرج عن الدائرة الحنبلية الوهابية، وأنه لم يخرج عن محيط المملكة فمن ثم ليس في حياته أو نشأته ما يلفت النظر. والشيء الوحيد الملفت للنظر هو إمساكه بزمام هذه المناصب الدينية التي لا تتلاءم مع قدراته.. - مؤلفاته: وإذا ما أردنا أن نتعرف على مدى ما يتحلى به الرجل من فقه وعلم فيجب علينا إلقاء الضوء على مؤلفاته التي سوف ننتقي منها ما يلي: - التحذير من البدع: حكم الاحتفال بالمولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان.. - وجوب العمل بسنة رسول الله وكفر من أنكرها.. - حكم السفور والحجاب.. - نقد القومية العربية.. - الجواب المفيد في حكم التصوير.. - حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله (ص).. - محمد عبد الوهاب: دعوته وسيرته.. - وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه.. - الأدلة الحسية على جريان الشمس وسكون الأرض.. - ما هكذا تعظم الآثار.. - خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله.. [ صفحه ۱۲۷] - وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة.. - وجوب عدواة اليهود والمشركين وغيرهم من الكفار.. - إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين.. - نواقض الإسلام.. - العقيدة الصحيحة وما يضادها.. وجميع هذه المؤلفات هي عبارة عن فتاوى ومحاضرات جمعها التلاميذ والأتباع وقاموا بنشرها وتوزيعها مجانا على المسلمين في كل مكان.. وجميعها تكلفت بنشره وتوزيعه الجامعة الإسلامية في المدينة وإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد التي يهيمن عليها ابن باز تحت شعار يهدى ولا يباع.. ويبدو من ظاهرها أنها تركز على قضايا ومفاهيم قشرية وهامشية لا تسهم إلا في خلق الخلاف وتأخر المسلمين.. ويبدو منها أيضا أنها تحمل نزعة عدائية لكل من خرج عن دائرة الخط الوهابي الحنبلي.. - فتاوى ابن باز.. تكتظ الساحة الإسلامية اليوم بفتاوى ابن باز، بعضها مكتوب ومنشور، وبعضها يأتي عن طريق التلفون، وبعضها يأتي عن طريق المراسلة.. وإليكم نماذج من هذه الفتاوى: - فتوى بالحكم بالشرك على من استغاث بالنبي (ص) أو الأولياء.. - فتوى بكفر من حلف بغير الله.. - فتوى بكفر الذين يأتون العرافين والمنجمين والسحرة وما شابههم.. - فتوى بكفر الذين يتعاملون مع أبراج الحظ والطالع.. - فتوى بوجوب إزالة الكنائس من دول الخليج العربي وغيرها من بلاد المسلمين.. - فتوى بتحريم دراسة القوانين الوضعية أو تدريسها.. فتوى بحرمة حلق اللحية.. [ صفحه ۱۲۸] - فتوى بحرمة الإحتفالات الدينية كالموالد والمناسبات الأخرى.. - فتوى بوجوب التحاكم لشرع الله ونبذ ما خالفه.. - حرمة الأسورة النحاسية التي يعالج بها مرض الروماتيزم.. - كفر من أنكر سنة الرسول (ص).. - حرمة الاختلاط بأهل الكتاب أو التشبه بهم.. - كفر من دعا أو طالب بتحكيم المبادئ الاشتراكية والشيوعية.. - حرمة عمل المرأة.. - حرمة قيادة المرأة السيارة.. - حرمة تعظيم الآثار.. (تدمير بيت

الرسول والسيدة خديجة بمكة وسد غار حراء) - حرمة الأغانى والموسيقى.. - حرمة الإحداد على الملوك والزعماء.. - حرمة التمثيل.. - حرمة الصور والمجلات المصورة.. - حرمة ارتداء المرأة للساعة فى فترة العدة للمتوفى عنها زوجها.. - حرمة بناء المساجد على القبور أو زيارتها والصلاة فيها.. - عدم جواز الصلاة وراء المدخن أو مرتدى الملابس العصرية.. - فتوى بجواز الصلح مع إسرائيل.. - فتوى بجواز الاستعانة بالمشركين (الأمريكان).. - فتوى بثبوت الأرض وعدم دورانها وبطلان الادعاء بصعود القمر والكواكب.. - فتوى بحرمة ذهاب المرأة إلى الكوافير.. [۲۱۷] . ويبدو من هذه الفتاوى أن الكثير منها صورة طبق الأصل من فتاوى ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب. ويبدو أيضا أنها فتاوى موجهة إلى المسلمين لردعهم عماهم فيه من غى وضلال وخروج [ صفحه ۱۲۹] عن نهج التوحيد الذى يرفع رايته ابن باز.. - عقيدة ابن باز.. تعالوا بنا إذن نتعرف على عقيدة ابن باز التى بررت له ولا تباعه تصويب هذه المدافع على المسلمين وتهديد أمنهم ووحدتهم.. إن عقيدة ابن باز هى عقيدة ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب ولا يوجد فارق بينهما سوى أن عقيدة ابن باز ضمت فى دائرتها البدع والمنكرات وصور الشرك العصرية التى لم يعايشها ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وهى بدع ومنكرات وشرك من منظور الحنابلة الوهابيين بالطبع.. يؤكد ابن باز أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقص التى تحل دمه وماله ويكون بها خارجا عن الإسلام، ومن أخطر هذه النواقص وأكثرها وقوعا نواقص عشرة ذكرها شيخه محمد بن عبد الوهاب وقام هو بشرحها وتبسيطها ليحذر منها المسلمين رجاء السلامة والعافية.. وأول هذه النواقص الشرك فى عبادة الله ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم.. وثانيها من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعا.. وثالثها من لم يكفر المشركين أو شك فى كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.. ورابعها من اعتقد أن هدى غير النبى (ص) أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمة فهو كافر.. وخامسها من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ولو عمل به فقد كفر.. وسادسها من استهزأ بشئ من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه كفر.. وسابعها السحر فمن فعله أو رضى به كفر.. وثامنها مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.. وتاسعها من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد (ص) فهو كافر.. [ صفحه ۱۳۰] وعاشرها الأعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.. [۲۱۸] . ويعلق ابن باز على هذه النواقص بقوله: ولا فرق فى جميع هذه النواقص بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره.. [۲۱۹] . ومن خلال هذا العرض الموجز لعقيدة ابن باز يتبين لنا أن مدافع ابن باز جميعها مدافع تكفير تصيب المسلمين فى عقائدهم وتخرج بهم عن ملة الإسلام. ويؤكد ابن باز من خلال عقيدته كفر وضلال الذين يرفضون الروايات التى تؤدى إلى التجسيم والتشبيه فيما يتعلق بصفات الله تعالى والتى تشير أن الله سبحانه له يد ورجل وعين ويهبط ويصعد ومقره السماء فوق العرش ويغار ويضحك ويمكن رؤيته وغير ذلك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.. يقول ابن باز وأما المنحرفون عن هذه العقيدة والسائرون على ضدها فهم أصناف كثيرة فمنهم عباد الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والجن والأشجار والأحجار.. ومن العقائد الكفرية ما يعتقده الملاحدة فى هذا العصر من أتباع ماركس ولينين وغيرهما من دعاة الإلحاد والكفر سواء سموا ذلك اشتراكية أو شيوعية أو بعثية أو غير ذلك من الأسماء.. ومن العقائد المضادة للحق ما يعتقده المتصوفة فى الأولياء وهذا من أقبح الشرك وهو شر من شرك الجاهلية.. [۲۲۰] . ولا يزال ابن باز يطلق مدافعه على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن سلك سبيلهم وتصدى للروايات التى تتعلق بصفات الله سبحانه وحاول أن يعطى للعقل دورا فى مواجهتها.. [۲۲۱] . وهكذا يؤكد لنا ابن باز أنه يعيش بعقل الماضى عقل قدامى الحنابلة حيث لا زال يتصور أن الناس تعكف على القبور والأضرحة كما كان مشركو العرب يعكفون حول الأصنام. ولا زال يتصور أن خصوم الحنابلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة لا زالوا يهددونهم.. وهو يستخدم فى مواجهة جميع هؤلاء وغيرهم من التيارات الحديثة مصطلح أهل البدع.. وينصح ابن باز المسلمين على الدوام بضرورة معرفة التوحيد الصحيح من خلال كتب ابن تيمية وابن عبد الوهاب ومن سار فى ركابهما فهؤلاء هم أهل الحق والفرقة الناجية من تخلف [ صفحه ۱۳۱] عنهم ضل وهوى وكان من أهل النار.. - بركات النفط.. ولكن كيف أصبح لابن باز هذا الشيوع والانتشار بين المسلمين فى بقاع الأرض..؟ والجواب ببساطة إنه النفط.. النفط هو الذى أتاح لابن باز

أن يفتح الأبواب المغلقة ويستقطب الرموز الإسلامية ويمول حركة النشر ويغرق سوق الكتاب بآلاف المطبوعات المجانية التى تمجد ابن باز والوهابية وخادم الحرمين.. عن طريق دعم دور النشر السلفية وما أكثرها فى مصر وغيرها.. وعن طريق استقطاب الرموز الإسلامية وتياراتها.. وعن طريق توزيع الهبات والعطايا على المؤسسات والمراكز الإسلامية فى العالم.. أصبحت الوهابية هى الإسلام.. وأصبح ابن باز هو شيخ الإسلام وكبير الفقهاء فى هذا الزمان.. ابن باز أصبح كبير الفقهاء عندما تحول أهل الفقه وأرباب العلم إلى طلاب دنيا.. ولو كان هناك سبب آخر مكن لابن باز ورفع من مقامه غير هذا لجزعنا وأبنا وتبنا إلى الله توبة نصوح.. وببركات النفط تمكن ابن باز من تجنيد الرموز والتيارات والجماعات الإسلامية للوقوف صفا واحدا بجوار إخوانهم المجاهدين الموحدين فى أفغانستان.. وببركات النفط تمكن من تجنيدهم أيضا للوقوف صفا واحدا ضد إيران أثناء حربها مع العراق.. وببركات النفط أيضا تمكن من تجنيدهم للوقوف صفا واحدا ضد صدام بعد غزوة الكويت.. وهو الآن يسعى جاهدا ليختم حياته الحافلة بالفتاوى والمواقف الرجعية بجمع كلمة [ صفحه ۱۳۲] المسلمين للوقوف صفا واحدا مع أمريكا وإسرائيل.. [۲۲۲] . - جماعات ابن باز فقاعات النفط.. واليوم لا يقف فى مواجهة أصحاب العقل والرأى والفكر ابن باز ونفطه وحده إنما يقف فى مواجهتهم أيضا الحنابلة الجدد أو ما يمكن تسميته بفقاعات النفط من حداث الأسنان وسفهاء الأحلام الذين لا يجاوز القرآن حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية كما بشر بهم الرسول (ص)، فلم أجد فئة فى تاريخ المسلمين تنطبق عليها مثل هذه الرواية سوى الخوارج وتيار الحنابلة الذى فرخ لنا ابن باز وجماعاته.. [۲۲۳] . هذه الجماعات التى أدارت ظهرها للواقع ورفضت التعايش معه ورفعت فى مواجهته لواء التكفير والاستحلال هى من نتاج مدرسة ابن باز والفقه النفطى الوهابى.. تأملوا هذا الكم الهائل من الكتب التى تسهم فى تخلف العقل المسلم وزرع الشقاق والخلاف بين المسلمين.. وإشاعة الأمراض النفسية.. وتقوية شوكه التطرف.. وتهديد الاستقرار الوطنى.. فسوف تجدونها جميعها من نتاج ابن باز وتلامذته مثل صالح بن عثيمين وصالح بن فوزان وأبو بكر الجزائرى وغيرهم.. وسوف تجدون عشرات دور النشر التى تعمل فى النور وليس لها من هم سوى نشر هذه الكتب وتسويقها.. [ صفحه ۱۳۳]

## مدافع ابن عثيمين

خليفة ابن باز.. [ صفحه ۱۳۵] يعد صالح بن عثيمين من كبار تلامذة ابن باز السائرين على نهجه المستبسلين فى الدفاع عن الوهابية المتربصين بخصوصها وبأصحاب الرأى والاتجاهات المخالفة من المعاصرين الذين يتبنون رؤية نقدية للروايات ولنهج السلف الذين يتبنون أطروحات سياسية أو حزبية أو الذين يدينون بعقائد وتصورات مخالفة مثل الشيعة والصوفية أو الجماعات التى تدين بالاشتراكية أو القومية أو العلمانية وأصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى التى لا تلتزم بمذهب ابن حنبل وذلك بالإضافة إلى أهل الذمة بالطبع من المسيحيين الذين يجب أن يعيشوا كمواطنين من الدرجة الثانية ويعطوا الجزية وهم صاغرون.. [۲۲۴] . وجميع هؤلاء فى سلة واحدة فى نظر ابن عثيمين وفقهاء الوهابية المعاصرين والواجب الشرعى يحتم عليهم تسليط مدافعهم عليهم وقصفهم بأشد أنواع القذائف حتى يتم إبادتهم أو استسلامهم وتخليهم عن بدعهم وضلالاتهم.. - مدفع متعددة: وابن عثيمين حالة كحال أستاذه ابن باز يحمل الكثير من المدافع الموجهة على المسلمين فى كل مكان. أما سبب كثرة هذه المدافع بين يديه ويدى أستاذه فيعود إلى بركة النفط ودعم آل سعود.. أما مدافع ابن عثيمين فهى أكثر من أن تحصى ويمكن تحديد أشهرها فيما يلى: مدفع موجه نحو المدخنين.. مدفع موجه نحو الصحف والمجلات.. مدفع موجه نحو المرأة.. مدفع موجه نحو البنوك.. مدفع موجه نحو شتى صور الفنون.. مدفع موجه نحو الصور والمصورين.. مدفع موجه نحو غير الملتحين.. [ صفحه ۱۳۶] مدفع موجه نحو الملابس والأزياء.. مدفع موجه نحو الشيعة.. مدفع موجه نحو الصوفية.. مدفع موجه نحو العلمانية.. مدفع موجه نحو الأحزاب.. مدفع موجه نحو القومية.. فابن عثيمين يرى حرمة التدخين وعدم جواز الصلاة وراء المدخن. كما حرمة حلق اللحية وعدم جواز الصلاة خلف الحليق ومرتدى

الملابس الإفرنجية لأنها من أزياء المشركين الذين لا يجوز التشبه بهم. ولا يجيز ابن عثيمين قراءة الصحف والمجلات لأنها تحتوى على صورة وموضوعات مخالفة للإسلام الحنبلى، ولا يجيز إدخالها البيوت واطلاع النساء عليها لأن هذه الصحف والمجلات فتنة.. ولا يجيز عمل المرأة أو خروجها من بيتها بدون محرم أو كشفها لوجهها أو يديها.. ولا يجيز التعامل مع البنوك أو تأجير المحلات لها.. ولا يجيز التمثيل والرسم والتصوير.. ولا يجيز التمثيل القبور والأضرحة وإقامة الإحتفالات والموالد والنذور يعد كل ذلك من الشرك والضلال الذى يجب مقاومته وقمع أصحابه.. وكما هو واضح أنه ليس من بين هذه المدافع ما هو مسلط على اليهود أو الأمريكان أو حتى آل سعود لأن مدافع فقهاء الوهابية إنما صنعت لإبادة المسلمين فقط.. - لمعة الاعتقاد: ولم يكتفى ابن عثيمين بهذه المدافع الخاصة بأهل العصر بل اتجه - كما هو شأن الوهابية اليوم - إلى المدافع القديمة والعمل على بعثها من جديد وتسليطها على المسلمين.. وكان أن اختار لمعة الاعتقاد لابن قدامة الحنبلى (۵۴۱: ۶۲ هـ) وقام بشرحها وزيادة قذائفها. [ صفحه ۱۳۷] ولمعة الاعتقاد تحتوى على نصوص من العقائد الحنبلية فيما يتعلق بصفات الله تعالى الموقف من الحكام وحكم أهل الأهواء والبدع.. وهى نصوص تقوم فى أساسها على الروايات المنسوبة للرسول (ص) وأقوال الحنابلة فهى تؤكد لله سبحانه صفة الوجه واليدين النزول والضحك والغضب والحب والمجئ وغير هذه الصفات التى تؤكدها الروايات فى صراحة ووضوح.. وهى تؤكد طاعة الحكام ووجوب الحج والجهاد معهم والصلاة من خلفهم سواء كانا أبرارا أو فجارا. وهى من جانب آخر تبيض وجه معاوية بن أبى سفيان وتعتبره من كتاب الوحى وخال المؤمنين لأنه أخو أم حبيبة السيدة رملة بنت أبى سفيان زوجة النبى (ص). وهى تنص فى الختام على وجوب هجران أهل البدع ومباينتهم وترك النظر فى كتب المبتدعة والاصغاء إلى كلامهم وكل محدثة فى الدين بدعة.. وقد تصدى ابن عثيمين لشرح هذه المسألة وأفاض فيه فقال: المراد بهجران أهل البدع الابتعاد عنهم وترك محبتهم وموالاتهم والسلام عليهم وزيارتهم ونحو ذلك.. ومن هجر أهل البدع ترك النظر فى كتبهم خوفا من الفتنة بها أو ترويجها بين الناس فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب.. ولأهل البدع علامات منها: - أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة بما يحدثونه من البدع القولية والفعلية والعقيدية.. - أنهم يتعصبون لآرائهم فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم. - أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين. والظاهر من هذا الكلام المتطرف أن جميع المسلمين الذين لا يدينون بنهج الحنابلة الوهابيون هم مبتدعة كفار خارجون عن الإسلام.. والواجب عليهم حتى يخرجوا من دائرة الكفر وينجوا من النار أن يتبنوا الروايات وأقوال السلف وعقيدتهم.. عليهم أن يجعلوا ابن حنبل وابن تيمية وأن قدامة وابن حجر وابن القيم وابن باز وابن عثيمين أئمتهم.. [ صفحه ۱۳۸] وعليهم أن يدينون بالسمع والطاعة والولاء للحكام بداية من معاوية وولده يزيد وحتى آل سعود. وهؤلاء جميعا هم أئمة الإسلام والدين الواجب علينا حبهم فى عقيدة ابن عثيمين وفقهاء الوهابية.. إن تبنى الرفض لنهج الروايات والفقهاء والحكام والثبات على ذلك يعد رفضا للدين فى منظور ابن عثيمين.. ويعد من جانب آخر تعصبا للباطل وإصرارا عليه بعد أن أظهرت الروايات الحق على يد فقهاء السلف الأبرار.. إن العيش بعقل الحاضر ونبذ عقل الماضى هو بدعة وضلال.. وإن تبنى نهج القرآن والعقل هو زيغ وردة عن الإسلام.. ولا نجاة للمسلمين من مدافع الوهابيين وقذائفهم إلا باللجوء إلى حصن التوحيد فى جزيرة العرب تحت حماية آل سعود.. [ صفحه ۱۳۹]

## مدافع المدخلى

فقاعة نفطية.. [ صفحه ۱۴۱] برز هذا المدفع الحديث على يد أحد أساتذة الجامعة الإسلامية الوهابية النهج بالمدينة وهو الدكتور ربيع بن هادى المدخلى. وقد حشا المدخلى هذا بجميع أنواع القذائف السلفية التى صنعها الفقهاء لإبادة أصحاب الرأى والاتجاهات الأخرى المخالفة لأهل السنة. وهو ما يبدو واضحا من عنوان كتابه: منهج أهل السنة والجماعة فى نقد الرجال والكتب والطوائف.. - قذائف المدفع / أما القذائف التى احتواها هذا المدفع الخطير فهى: - وجوب هجران أهل البدع.. - أهل البدع مرضى القلوب.. - لا يجوز ذكر محاسن أهل البدع.. - الرد على أهل البدع والأهواء من أبواب الجهاد.. وهذه القذائف السلفية إنما تم بعثها لمواجهة أهل

العصر من أصحاب الرأى والاتجاهات المخالفة وهم بالتحديد العلمانيين والاشتراكيين والمسيحيين والسياسيين والحزبيين بالإضافة إلى الشيعة والصوفية وأصحاب الاتجاه الإسلامى التجديدى الذى يتبنى تصحيح التراث ونقد الروايات.. هؤلاء جميعا من أهل البدع الضالين خصوم الحق، والتوحيد حسب تعبير فقهاء الوهابية من خلال سطور هذا الكتاب الذى أتى به صاحبنا ليهدد المسلمين.. إن فقهاء الوهابية يعتبرون أنفسهم أهل السنة والتوحيد ومن دونهم فهم أهل الشرك والضلال المطلوب إبادتهم، ويعتبرون آل سعود أئمة للمسلمين وحماه للتوحيد، فمن ثم وضع [ صفحه ۱۴۲] الفقهاء أنفسهم فى خدمتهم، ووضع آل سعود سيوفهم فى نصرتهم وذبح خصومهم.. وقد اعتمد صاحبنا فى كتابه هذا على مدافع ابن تيمية خاصة لكونه الشخصية الوحيدة من بين الفقهاء التى حملت راية الجهاد فى مواجهة المخالفين وعلى أساس أفكارها المتطرفة قامت الحركة الوهابية التى لا زالت تقذف المسلمين بقذائفه.. يقول المدخلى: يا إخوتاه؟ إن كنتم حقا تحترمون المنهج السلفى وأهله فانشروا كتبهم ودرسوها، واشحنوا كتاباتكم ومحاضراتكم ومقالاتكم بأقوالهم فى أهل البدع وتحذيرهم منهم ودرسوا الشباب مواقفهم من أهل البدع وحثوا الشباب على دراستها والاحتفاء بها والإعتزاز بها، فبهذه الأساليب تحيا عقيدة ومنهج السلف.. والكتب المقصودة هنا بالطبع هى كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب فهؤلاء هم سلفة وقدوته، و هذه الكتب هى التى تم نشرها وتوزيعها مجانا على المسلمين فى كل مكان ببركات آل سعود. والتى أسهمت ولا زالت فى دعم التطرف وتقوية شوكته.. – قذائف أخرى: ومن القذائف التى جاء بها المدخلى ليدعم بها موقفه ويوسع من دائرة الإصابات بين المسلمين ما يلى: – أن الإسلام وأهله أتوا من طوائف: الأولى: طائفة ردت أحاديث الصفات وكذبوا رواتها. فهؤلاء أشد ضررا على الإسلام وأهله من الكفار.. الثانية: طائفة قالوا بصحتها وقبولها ثم تأولوها، فهؤلاء أعظم ضررا من الطائفة الأولى.. الثالثة: طائفة جانبت القوانين وادعت التنزيه وهى كاذبة فأداهم ذلك إلى القولين الأولين وكانوا أعظم ضررا من الطائفتين الأوليين.. وواضح من هذا الكلام أن صاحب هذه القذيفة لا يستثنى أحدا من المسلمين إلا طائفته هو وهى طائفة الحنابلة بالطبع، فهى الطائفة الوحيدة التى آمنت بالروايات الخاصة بصفات الله تعالى وجعلت لله سبحانه يد ورجل وعين ومكان وغير ذلك من الصفات التى تؤدى إلى التشبيه والتجسيم والتى فرت فيها الاتجاهات الأخرى وأنكرتها من باب تنزية الله سبحانه، واتجه بعضها إلى حمل هذه الروايات على المجاز أى تأولت معناها. بينما اتجه آخرون إلى [ صفحه ۱۴۳] سلوك السبيل الوسط تجاه هذه الروايات وهم من طائفة أهل من الأشاعرة وغيرهم.. وهؤلاء جميعا مارقون فى نظر الحنابلة القدامى والمعاصرين من أتباع ابن عبد الوهاب وأشد خطرا على الإسلام من الكفار.. فهل يعقل مثل هذا الكلام؟ بالطبع لا. لكن فقهاء التطرف هم الذين لا يعقلون.. – مبتدعة الإسلام أشد من الملحدين.. – أهل الأهواء والبدع لا تقبل لهم شهادة فى الإسلام أبدا، ويهجرون ويؤدبون فإن تمادوا على بدعتهم استتيبوا منها. وهذا الكلام حاله كحال السابق من أنه لا فرق بين المبتدعة وبين الكفار فى نظر الفقهاء وما دام الأمر قد دخل فى دائرة الاستتابة فهذا يعنى أن البدعة تعد ردة عن الإسلام هل هناك تطرف أكثر من هذا؟ – فرقة النجاة – أهل السنة – مأمورون بعداوة أهل البدع والتشريد بهم، والتنكيل بمن انحاش إلى جهتهم بالقتل فما دونه.. نداءات.. وكانت آخر قذائف المدخلى هى نداء صارخ للشباب يطالبه بإلغاء العقل والإسراع نحو الماضى والتحصن بالروايات وعقيدة السلف.. يقول النداء: انتبه أيها السلفى الصادق؟ وأحذر أن تقاد إلى نصرة أهل البدع والضلال والالحاد التى تضمها التنظيمات الحزبية والسياسية. فإن كثيرا من أدعياء السلفية لا هم لهم اليوم إلا نصرة أهل البدع المشكلة من أصناف الشيعة والصوفية القبورية أهل الحلول والاتحاد الذين يقول ابن تيمية فيهم: أن من ينصرهم شر ممن ينصر النصارى والمشركين.. ولا تنس مناصرة أدعياء السلفية لأهل البدع فى أزمة الخليج ضد أهل التوحيد فى الجزيرة فإن كنت خدعت بهم وقتا ما، فأفق. ولا- يلدغ مؤمن من حجر مرتين.. إن على الشباب السلفى أن يكون يقظا لما يحاك ضده وضد عقيدته ومنهجه، فلا يليق به أن ينساق وراء الشعارات الطنانة، ولا وراء العواطف العمياء التى تؤدى إلى تضييع أعظم نعمة وأعظم أمانة فى عنقه وهى الثبات على منهج أهل الحديث والسنة وحمايته من غوائل [ صفحه ۱۴۴] خصومه ومكايدهم وألاعيبهم التى ظهرت آثارها على كثير من الأساتذة وطلاب العلم والمثقفين الذين كان ينتظر منهم تربية الأجيال على منهج السلف وتثبيتهم عليه والإعتزاز

برفع لوائه.. إن هذا النداء المتطرف من قبل صاحبنا الوهابى لشباب العصر لم ينحصر فقط فى الدعوة لإلغاء العقل والارتباط بالماضى وإنما تجاوز هذا الحد ليدعوا إلى تسييس الشباب وفق النهج السعودى الأمريكى بدعوته لهم بمنابذة ومعاداة الذين وقفوا ضد آل سعود والتدخل الأمريكى فى أزمة الخليج. وهذا يعنى أنه يدعوهم صراحة إلى تأييد الفتوى النفطية الصادرة عن فقهاء آل سعود والتى تنص على جواز الاستعانة بالمشركين وتبرير وجود القواعد الأمريكية فى الخليج. وإذا كان هذا حاله، فلماذا يحرم على الشباب الانتماءات السياسية والحزبية ويكفر أصحاب هذه النشاطات ويدعو إلى محاربتهم..؟ والجواب أن هذه الأنشطة لا تسير على نهج الروايات ولا تلتزم بعقيدة السلف التى تنص على موالاة الحكام وطاعتهم ولو كانوا فجارا يتآمرون على الإسلام ويستعينون بأعداء الله على المسلمين.. [ صفحه ۱۴۸]

## ملاحق الكتاب

## مدافع أخرى

يكتظ التراث الإسلامى بكثير من النماذج المتطرفة على مستوى الفقهاء والتيارات والأفراد، وقد صدرت الكثير من الكتابات على مستوى الماضى والحاضر التى تدعم حالة التطرف وتزكيها وتزيد من هوة الفرقة والخلاف بين المسلمين وتزرع الطائفية والعداوة بين أبناء الوطن الواحد.. ومن باب إتمام الفائدة سوف نعرض فى دائرة هذا الملحق لنماذج من هذه الكتابات التى ترتبط أغلبها بتيار الحنابلة القديم والمعاصر المتمثل فى المذهب الوهابى والجماعات الإسلامية المختلفة التى تربت ورضعت من هذا التيار.. ومن نماذج هذه الكتابات التى سوف نعرض لها هنا: أصول أهل السنة والجماعة للأشعرى.. الأحكام السلطانية للقاضى أبى يعلى.. الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب الحنبلى.. العواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى.. تطهير الاعتقاد عن أدران الشرك والإلحاد للصنعانى. مختارات من أحكام العصاة لأئمة السلف، منشور أزهرى. الحسام الماحق لكل مشرك منافق للهلالى.. تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع فى الدين. [ صفحه ۱۴۹] - أصول أهل السنة والجماعة / وهو مدفع شملت قذائفه جميع التيارات والاتجاهات المخالفة للخط السائد الذى فرض على الأمة من قبل الحكام والفقهاء الذين ساندوهم تحالفوا معهم. ذلك الخط الذى فرض صورة محددة للدين تقوم على أساس الروايات وأقوال الرجال لا على أساس كتاب الله والنصوص الصريحة.. وقد بدأت معالم هذا الخط فى البروز على يد معاوية وتم تقنينه على يد العباسيين والسلجوقيين والأيوبيين والمماليك من بعدهم. وعرف هذا الخط بمسمى أهل السنة الذى حمل رايته الحنابلة بداية من عصر المتوكل العباسى، والأشعرى من بعدهم بداية من العصر السلجوقى التركى.. ويمكن تحديد قذائف هذا المدفع فيما يلى: - اعتبار صفات الله الواردة فى القرآن صفات حقيقية لا مجازية.. - السمع والطاعة لأولى الأمر برهم وفاجرهم سواء تولوا أمر المسلمين برضاهم أو بالغلبة عليهم وتحريم الخروج عليهم.. - تحريم ذكر الصحابة بسوء أو المساس بهم وأن يظن بهم أحسن الظن وأحسن المذاهب.. - أن ما كان بين الصحابة من خلاف فى الأمور الدينية لا يسقط حقوقهم.. - لا يجوز لأحد أن يخرج عن أقاويل السلف فيما اجتمعوا عليه. وعما اختلفوا فيه أو فى تأويله لأن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم.. - ذم سائر أهل البدع والتبرى منهم وترك الاختلاط بهم.. - وجوب الدعاء لأئمة المسلمين.. ويظهر لنا من خلال هذه القذائف الثقيلة الحارقة أن البقاء لخط أهل السنة الذى يفرض على الأمة العيش بعقل الماضى والالتزام بعقيدة السلف وأقوال الرجال وموالاة الحكام الفجار والالتزام بطاعتهم. وبقاء أهل السنة يعنى فناء الاتجاهات والتيارات الأخرى وهو ما كان واقعا فى ظل الدولة الأموية والعباسية والسلجوقية الأيوبية والمملوكية والعثمانية، وهو ما يسعى التيار الوهابى الحنبلى إلى تحقيقه اليوم بدعم القوى النفطية.. [ صفحه ۱۵۰] ومكن الخطورة فى هذه القذائف التى يحملها هذا المدفع فى كونها تحولت إلى عقائد يقاس الحق والباطل على أساسها فمن التزم بها كان فى دائرة الحق ومن خالفها كان فى دائرة الباطل وأصبح هناك مبرر لاستحلال ماله ودمه، وهو ما وقع فى كثير من فترات التاريخ.. -

العواصم من القواصم / وهـذا المـدفع صـنع خصـيصا لتبرير الانحرافات والمصادمات التى وقعت بين الصـحابة بعد وفاة الرسول (ص)، فهو يهدف إلى التأكيد على أن هذه الأحداث لا تنقص من قدر أحد منهم وما هى إلا اجتهادات يثابون عليها، ومن اعتقد غير هذا فهو على غير سبيل المسلمين والمقصود أن من طعن فى عثمان أو معاوية أو ولده يزيد مثلا فهو ضال زائغ. كذلک من مال إلى الإمام على وانحراف عن الآخرين من الصحابة. وقـد اعتبر صـاحب هـذا المـدفع أن هـذا الطعن والميل يعتبر قاصـمة.. واعتبار أن الجميع مجتهد ومثاب وإحسان الظن فيهم يعتبر عاصـمة.. وبهـذا يكون صاحب هـذا المدفع قد عمل على تقويم أحداث التاريخ وتسطيح حركته مما يؤدى إلى افتقاد القدرة على تمييز الحق من الباطل واستلهام العبر والدلالات من خلال حركته وأحداثه، وهو أمر مناف للعقل والفطرة وسـنية الكون. أن مثل هـذا الكتاب إنما يهـدف إلى الحجر على العقول وفرض الوصاية السلفية على الأمة كى لا تنحرف على الخط المرسوم من قبل الحكام وفقهاء السلطة.. وصاحب الكتاب بعـد أن أبلى بلاءا سيئا لم يكن موفقا فيه قد حشد العشـرات من التبريرات الواهيـة والتأويلات الفاسـدة التى يـدافع بها عن الانحرافات التى وقعت بعد وفاة الرسول (ص) والتى تصـطدم بروح الشـرع والنصوص الصـريحة، وفى الحقيقة هو فى هذا كله لا يدافع عن الدين بل يدافع عن الرجال والحكام.. يقول فى ختام كتابه مطلقا قذيفة قاتلة على المخـالفين: إنمـا ذكرت لكم هـذا – أى للمسـلمين – لتحترزوا من الخلق وخاصـة من المفسـرين والمؤرخين وأهل الآداب فإنهم أهل جهالة بحرمات الدين أو على بدعة مصرين.. فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل ولم تسمعوا فى خليفة ممن ينسب إليه ما لا يليق ويذكر عنه ما لا يجوز نقله كنتم على منهج السـلف سائرين وعن سبيل الباطل ناكبين.. [ صفحه ۱۵۱] – الأحكام السلطانية / ومن خلال هذا المدفع الحنبلى المسلط على الحكام والجماهير يحدد القاضـى أبى يعلى شـروط ومواصفات الحاكم والولايات. معلنا رضـاه الكامل عن الطغاة والجبارين من الحكام من بنى أميـة وبنى العباسـى وغيرهم، ومعلنا غضـبه وسـخطه ومنزلا لعناته على المأمون والمعتصم والواثق ليس لشئ إلا سيرا على نهج الحنابلة وإمامهم أحمد بن حنبل الذين غضبوا على هؤلاء الحكام الثلاثة بسبب موقفهم من ابن حنبـل ورواياته وعقائـده ومواقف وممارسـات الحنابلـة بشـكل عـام.. ويروى فى كتابه عن ابن حنبل قوله عن المأمون: كان لا مـأمون، وأى بلاء كان أكبر من الـذى كان أحـدث عـدو الله وعـدو الإسـلام – المأمون – من إماتـة السـنة. وكان المأمون ومن بعـده المعتصم والواثق قـد تصـدوا للحنابلـة ورواياتهم وعقائـدهم الباطلة مما أدى إلى انحسار موجتهم وحماية المجتمع من فتنهم ومواقفهم المتطرفة. ولو كان الحكام قد ساروا على نهجهم من بعد لكان الحنابلة الآن فى ذمة التاريخ لكنها السياسة والمصالح والأهواء التى دفع المجتمع والناس ثمنها ولا زالوا يدفعون.. ولنعرض بعد هذه المقدمة لقذائف هذا المدفع: – لا يجوز أن تقوم المرأة بأمر الولايات، أى الوزارات والقضاء وشتى المسؤوليات الكبرى فى الدولة.. – جواز قتل المرتد رجلا كان أو امرأة. – جواز أن يلى أمر المسلمين الفاجر والفـاسق وصـاحب العاهـة.. – جواز الجهاد والحـج وإيتاء الزكاة للحكام الفجار والصـلاة ورائهم.. – جواز قتل تارک الصـلاة ويصـير بترکها كـافرا.. – جواز قتـل تـارک الصوم فى رمضان.. – جواز قتل مانع الزكاة وقتاله وإن قتل كان كافرا – عـدم قبول شـهادة تارک الحـج بلاـ عـذر.. – جواز تحطيم الخمارات وأدوات الملاهى وإحراقها.. [ صـفحه ۱۵۲] – لا يجوز لأصـحاب الـديانات الأخرى تعليه أبنيتهم على أبينـة المسـلمين، ويجب عليهم تغيير هيئتهم عن هيئـة المسـلمين.. – الحكم الجـديرة بالإذاعـة من قـول النـبى (ص) بعثت بالسـيف بين يـدى السـاعـة / وهـذا المـدفع كما هو واضـح شديد الخطورة وشديد العشق للدماء ولا مجال عنده للحوار والاعتدال، أما قذائفه فتتمثل فيما يلى: – أن الإسـلام جاء بالسـيف.. – أن السـيف هو شعار الإسلام حتى قيام الساعة.. – أن الإسلام جاء بستة سيوف: سيف على المشـركين حـتى يسـلموا أو يأسـروا.. وسـيف على المنـافقين وهو سـيف الزنادقـة.. وسـيف على أهـل الكتـاب حتى يعطوا الجزيـة.. وسـيف على أهـل البغى من المسـلمين.. وسـيف على أهـل الردة.. وسـيف على أهـل البـدع.. – أهـل التوحيـد والطاعـة لله – الجماعات – أحق بالمال من أهل الكفر.. – أهل الأهواء والبـدع كلهم مفترون على الله.. – عقوبة المبتدع أغلظ من عقوبة العاصـى.. – من تشبه بقوم فهو منهم.. وهذا الكتاب من أوله إلى آخره إنما يقوم على أساس رواية منسوبة للرسول (ص) قامت على أساسها أحكام وتصورات ومفاهيم شديـدة التطرف فى مواجهـة المخالفين من المسـلمين وأصـحاب الـديانات الأخرى.. لقـد أظهرت هذه الرواية أن

الإسلام دين السيف والدماء لا دين العقل والحوار وهو بهذه الصورة بدا وكأن الله سبحانه بعثه وبالا على البشر ونقمة عليهم لا رحمة مهداة لهم. [ صفحه ۱۵۳] والحق أن هذه الصورة المتطرفة عن الإسلام تتنافى مع نصوص القرآن وأقل ما يقال فيها أنها من اختراع الرواة والفقهاء الذين باركوا هذه الروايات وعلى رأسهم فقهاء الحنابلة... ومثل هذه الصورة المنفرة عن الإسلام إنما تزيد من ثبات أصحاب الديانات الأخرى على موقفهم، كما تزيد من إرهاب المسلمين وتخويفهم من أحكام الدين وعزلهم عنه وهذه النتيجة الخطيرة لا تعنى هؤلاء الفقهاء فى شئ فأصحاب الديانات الأخرى فى منظورهم هم مشركون يجب أن يعمل السيف فيهم. والمسلمون المخالفون هم زنادقة لأنهم لا يتبعون هذه الروايات ولا يسيرون على نهج السلف ويلتزموا بعقل الماضى، ويجب أن يعمل السيف فيهم أيضا.. إن الخروج عن دائرة روايات والسلف يعنى فى منظور الفقهاء التشبه بالمشركين لأنهم هم المسلمين ومن لم يتشبه بهم فقد خرج من الإسلام. [ صفحه ۱۵۴] – فتاوى أزهرية / تمكن التيار الحنبلى من اختراق المؤسسة الأزهرية واستثمار رموزها، ويظهر لنا هذا بوضوح من كم الفتاوى التى صدرت عن دار الافتاء المصرية وتلقفتها الجماعات الوهابية المتطرفة وتحصنت بها.. وقد قامت جماعة أنصار السنة المحمدية ذات النهج الوهابى السعودى بنشر هذه الفتاوى الأزهرية المتطرفة مؤخرا كهدية مجانية على مجلة التوحيد الناطقة بلسان الجماعة.. وليست هذه الفتاوى سوى مدافع شديدة الطلقات مصوبة نحو المسلمين وقد ألحقت أضرارا فادحة بعقولهم و واقعهم.. وعلى رأس هذه الفتاوى فتوى تتعلق بالأضرحة والدفن فى المساجد و الموالد والنذور وهى فتوى موجهة ضد التيار الصوفى الذى يتبنى هذه القضايا، تقول بتحريم مثل هذه الأمور واعتبارها صورة من صور الشرك والضلال.. لقد تبنى التيار الحنبلى هذه القضايا وحمل رايتها دون بقية المذاهب والاتجاهات الإسلامية الأخرى وتمكن بدعم الحركة الوهابية وأموال النفط من فرض هذه القضايا على واقع المسلمين والمؤسسات والجماعات الإسلامية وجعلها مدار جهادهم وتصوراتهم.. وثانى هذه الفتاوى فتوى تتعلق بتحريم التعامل مع البنوك ووجوب إجبار الزوجة على ارتداء الحجاب وتحريم الصور والتصوير وتحريم الموسيقى وتحريم التأمين على الحياة والتأمين ضد الحريق، وتحريم ذهاب المرأة إلى مصفف الشعر، وعدم جواز خوضها ميدان العمل السياسى ودخول الانتخابات.. وفتوى توجب إطلاق اللحية وتحريم حلقها.. ومثل هذه الفتاوى التى تقوم على أساس الروايات وعقل الماضى إنما تسهم فى تخلف الأمة وتجميد مسيرتها. وقد رفعت رايتها الجماعات الإسلامية اليوم وبنت على أساسها مواقفها وتصوراتها المتطرفة تجاه الواقع والمخالفين.. كيف للأزهر وهو مؤسسة حكومية أن يتبنى مثل هذه القضايا المتطرفة التى تهدد أمن المجتمع. وفى الوقت نفسه يعلن الحرب على التطرف والمتطرفين؟ [ صفحه ۱۵۵] – أحكام العصاة: وهذه المدفع من إصدار الأزهر وهو مشتق عن مدفع قديم لابن القيم الجوزية وجعل هدية مجانية على مجلة الأزهر. أما قذائف هذا المدافع فهى: – القول قد يكون كفرا.. – أن مبانى الإسلام الخمسة المأمور بها – الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج – وإن كان ضرر تركها لا يتعدى صاحبها، فإنه يقتل بتركها فى الجملة عند جماهير الفقهاء ويكفر أيضا عند كثير منهم أو أكثر السلف، وأما فعل المنهى عنه الذى لا يتعدى ضرره صاحبه فإنه لا يقتل به عند أحد الأئمة ولا يكفر به إلا إذا ناقض الإيمان، لفوات الإيمان وكونه مرتدا أو زنديقا، وذلك أن من الأئمة من يقتله ويكفره بترك كل واحدة من الخمس لأنه الإسلام بنى عليها. وهو قول طائفة من السلف ورواية عن أحمد بن حنبل اختارها بعض أصحابه ومنهم من لا يقتله ولا يكفره إلا بترك الصلاة الزكاة وهى رواية أخرى عن أن حنبل، ومنهم من يقتله بهما ويكفره بالصلاة والزكاة إذا قاتل الإمام عليها كرواية عن ابن حنبل، ومنهم من يقتله بهما ولا يكفره إلا بالصلاة، ومنهم من يقتله بهما ولا يكفره، ومنهم من لا يقتله إلا بالصلاة ولا يكفره، وتكفير تارك الصلاة هو المشهور المأثور عن جمهور السلف.. – من خالف السنة فيما أتت به أو شرعته فهو مبتدع خارج عن السنة.. – أصل البدعة تكذيب الأحاديث الواردة فى كتب السنن.. – عامة البدع من التأويل والقياس والرأى.. ونتيجة هذه القذائف التى تبناها الأزهر وأسهم فى إطلاقها على الجماهير هى تقنين التطرف وتبريره وإضفاء المشروعية عليه.. وكأن الأزهر بتبنيه مثل هذا الطرح قد خلع ثوب العقل والاعتدال واحترام الرأى الآخر وارتدى ثوب الجمود والتطرف والاستبداد أو ثوب النفط.. [ صفحه ۱۵۶] – الحسام الملحق لكل مشرك منافق.. وهذا المنشور كما يظهر من عنوانه يعد من

المدافع الثقيلة التى صوبها صاحب المنشور إلى المخالفين لنهجه الوهابى بهدف إبادتهم والقضاء عليهم باعتبارهم من المشركين المنافقين المستباحين.. وهؤلاء المنافقين المشركين الذين صوب نحوهم مدفعه هم طائفة من المسلمين ليس لها من ذنب سوى أنها رفعت شعار العقل فى مواجهة الروايات. واعتبر صاحب هذا المدفع أن مثل هذا العمل هو تجرأ على الله تعالى، إذ أن إنكار الروايات الواردة فى البخارى ومسلم يعد فى نظره صورة من صور التعدى على الله سبحانه تدفع بصاحبها إلى دائرة الشرك والنفاق.. وجميع الاجتهادات والآراء التى تخالف خط السلف الحنابلة اعتبرت فى نظر صاحب هذا المدفع كما هو حالها فى نظر الحنابلة جميعا - بدعه، وكل بدعه ضلالة، وكل ضلالة فى النار. ومثل هذا الطرح إنما يبر لفقهاء الخلف وأنصارهم من الجماعات مقاومة البدعة والتنكيل بأصحابها، وهذا يعنى التنكيل بجميع المسلمين الذين يخالفونهم، إذ أن جميع ما هو خارج دائرة الطرح الحنبلى يعد بدعة يجب مقاومتها والقضاء عليها وعلى أصحابها.. فالملابس بدعة.. وعمل المرأة بدعة.. والموسيقى بدعة.. وسائر الفنون بدعة.. والعمل السياسى بدعة.. وحرية الرأى بدعة.. والتصوير بدعة.. ومعنى هذا أن النتيجة هى مقاومة العصر والعيش بعقل الماضى وهو ما يريده صاحب الحسام الماحق وأمثاله من الحنابلة الذين شهروا مدافعهم فى وجه المسلمين وأفسحوا الطريق أمام أعداء الإسلام.. [ صفحه ۱۵۷] وهذا المدفع الحنبلى الثقيل موجه لطائفة محددة من طوائف المسلمين وهى طائفة الصوفية ومحاولة إلباسها ثوب الشوك والإلحاد على أساس المعتقدات الحنبلية تجاه قضية القبور والنذور والاحتفالات الدينية تلك المعتقدات التى تقوم على أساس روايات منسوبة للرسول (ص) وفتاوى ارتبطت بفقهاء الحنابلة أكثر من ارتباطها بأية مذاهب أخرى.. وصاحب هذا المدفع يعيش بعقل الماضى ويسعى إلى تأكيد ذلك المفهوم الحنبلى القديم الذى يربط بين الطقوس والممارسات التى ارتبطت بالأصنام فى الجاهلية وبين الطقوس والممارسات التى تقوم حول أضرحة الأولياء اليوم، بل يتجاوز هذا ليؤكد أن هذه القبور والأضرحة هى نفس أصنام الأمس، وأن الذين يرتبطون بهذه الأضرحة يعتقدون فيها الضر والنفع كما كان حال المشركون مع الأصنام من قبل. يقول فى كتابه: أن من اعتقد فى شجرة أو حجر أو قبر أو ملك أو حتى حى أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده فى حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى - إلا ما ورد حديث فيه مقال حق عن نبينا محمد (ص) أو نحو ذلك - فإنه قد أشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون فى الأوثان فضلا عمن ينذر بماله وولده لميت أو حى، أو يطلب من ذلك ما لا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات من عافية مريضة أو قدوم غائبة أو نيله لأى مطلب من المطالب، فإن هذا هو الشرك بعينه الذى كان عليه عباد الأصنام، والنذور بالمال على الميت ونحوه والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذى كانت تفعله الجاهلية، وإنما يفعلونه لما يسمونه وثنا وصنما، فعله القبوريون لما يسمونه وليا وقبرا ومشهدا.. ومثل هذه الأفكار المتطرفة التى تصف بعض طوائف المسلمين بالشرك والإلحاد وتعمل على إخراجها من دائرة الإسلام باجتهادات فردية تقوم على أساس رواية منسوبة للرسول (ص) - أو فتوى سلفية - إنما تسعى لتأكيد الفرقة بين المسلمين وتوطين الأفكار التكفيرية التى تهدد أمن المجتمع واستقراره.. [ صفحه ۱۵۸] تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع فى الدين / وهذا الكتاب يعد من مدافع فقهاء الوهابية وقد سلط على المسلمين فى عنف معلنا فى صراحة ووضوح رفضه القاطع لكل الاتجاهات المخالفة، رافضا بشدة فكرة تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة، فالبدعة فى نظره كل لا يتجزأ ومثل هذا الموقف من شأنه أن يعمق قضية التطرف ويزيد من حدتها. إذا أن هذا يعنى الوقوف فى وجه العصر وكل ما هو جديد. كما يعنى فى نفس الوقت قتل الاجتهاد وتشييعه إلى مثواه الأخير ومناهضة العقل والرأى والعمل على إجهاضهما. مثل هذا الموقف يعنى توسيع دائرة المصادمة مع الواقع وبدلا من كونها كانت تنحصر فى دائرة قضايا ومفاهيم تصطدم بالروايات ونهج السلف اتسعت لتشمل كل ما هو جديد من آراء واجتهادات فى قضايا ومفاهيم لا تتعلق بشئ من نصوص الدين أو جوهرة بل تركت لإعمال العقل فيها أو هى عرف من الأعراف السائدة التى لا تضر فى شئ أو هى صورة من صور الترويح عن النفس التى تمارس على ساحة المجتمع وتدخل البهجة والسرور فى قلوب الناس، كل ذلك ومثله يجب محوه وإزالته وتدميره فى منظور فقهاء الوهابية حنابلة العصر.. ولقد تجاوز صاحب هذا المدفع حدود البدع التى سلط مدفعه عليها

وأطلق قذائفه على منكرى الروايات الذين ينادون بإعمال العقل فى كل ما هو منسوب للرسول (ص) مصدرا حكمه القاطع فيهم بالكفر والضلال.. يقول: وهذه الفرقة أخطر على المسلمين من اليهود ومن النصارى لأنهم باسم الإسلام وباسم القرآن ينشرون كفرهم، ومن الثابت شرعا وعقلا أن من أنكر سنة رسول الله (ص) فقد كفر بالله العظيم، فيجب على الحكام والعلماء المسلمين أن يجاهدون هذه الفرقة فى تنشيط العلماء فى مواجهة هؤلاء الكفرة وطبع السنن والردود، فوالله إن جهادهم لا يقل عن جهاد الكفار لأن أولئك قد أعلنوا كفرهم لا يغتر بهم إلا القليل. أما هؤلاء فيغتر بهم كثيرون ممن يدرس الكتاب والسنة ولم يتعمق. ومن الواضح أن هذا الكلام الشديد التطرف لا سند له سوى الروايات وإجماع فقهاء الحنابلة، وما هو بأمر ثابت شرعا وعقلا كما يدعى صاحبنا، فليس من الشرع ومن العقل تبنى مثل هذه الخرافات والأحكام والمفاهيم التى تصطدم بالقرآن والتى جاءت بها كثير من الروايات المنسوبة للرسول (ص).. [ صفحه ۱۶۱]

## فتوى ابن تيمية فى أهل الذمة

قال ابن القيم ورد على شيخنا ابن تيمية استفتاء فى أمر الكنائس صورته: ما يقول السادة العلماء وفقهم الله فى إقليم توافق أهل الفتوى فى هذا الزمان على أن المسلمين فتحوه عنوة من غير صلح ولا أمان فهل ملك المسلمون ذلك الإقليم المذكور بذلك؟ هل يكون الملك شاملا ـ لما فيه من أموال الكفار من الأثاث والمزارع والحيوان والرقيق والأرض والدور و البيع والكنائس والقلايات والديورة ونحو ذلك أو يختص الملك بما عدا متعبدات أهل الشرك فإن ملك جميع ما فيه فهل يجوز للإمام أن يعقد لأهل الشرك من النصارى واليهود بذلك الإقليم أو غيره الذمة على أن يبقى ما بالإقليم المذكور من البيع والكنائس والديورة ونحوها متعبدا لهم وتكون الجزية المأخوذة منهم فى كل سنة فى مقابل ذلك بمفرده أو مع غيره أم لا - فإن لم يجز لأجل ما فيه من تأخير ملك المسلمين عنه فهل يكون حكم الكنائس ونحوها حكم الغنيمة يتصرف فيه الإمام تصرفه فى الغنائم أم لا. وإن جاز للإمام أن يعقد الذمة بشرط بقاء الكنائس ونحوها فهل يملك من عقدت له الذمة بهذا العقد رقاب البيع والكنائس والديورة ونحوها ويزول ملك المسلمين عن ذلك بهذا العقد أم لا. لأجل أن الجزية لا تكون عن ثمن مبيع، وإذا لم يملكوا ذلك وبقوا على الانتفاع بذلك وانتفض عهدهم بسبب يقتضى انتقاضه إما بموت من وقع عقد الذمة معه ولم يعقبوا. أو أعقبوا. فإن قلنا إن أولادهم يستأنف معهم عقد الذمة كما نص عليه الشافعى فيما حكاه ابن الصباغ وصححه العراقيون واختاره ابن أبى عصرون فى المرشد فهل لإمام الوقت أن يقول: لا أعقد لكم الذمة إلا بشرط أن تدخلوا الكنائس والبيع والديورة فى العقد فتكون كالأموال التى جهل مستحقوها وأيس من معرفتها، أم لا يجوز له الامتناع من إدخالها فى عقد الذمة بل يجب عليه إدخالها فى عقد الذمة، فهل ذلك يختص بالبيع والكنائس والديورة التى تحقق أنها كانت موجودة عند فتح المسلمين ولا يجب عليه ذلك عند التردد فى أن ذلك كان موجودا عند الفتح أو حدث بعد الفتح أو يجب عليه مطلقا فيما تحقق أنه كان موجودا قبل الفتح أو شك فيه، وإذا لم يجب فى حالة الشك فهل يكون ما وقع الشك فى أنه كان قبل الفتح وجهل الحال فيمن أحدثه لمن هو لبيت المال أم لا؟ وإذا قلنا إن من بلغ من أولاد من عقدت معهم الذمة وإن سلفوا ومن غيرهم لا يحتاجون أن تعقد لهم الذمة بل يجرى عليهم حكم من سلف إذا تحقق أنه من أولادهم يكون حكم كنائسهم وبيعهم حكم أنفسهم أم يحتاجون إلى تجديد عقد وذمة، وإذا قلنا: إنهم يحتاجون إلى تجديد عقد عند البلوغ فهل تحتاج كنائسهم وبيعهم له أم لا؟ [ صفحه ۱۶۲] فأجاب: الحمد لله. ما فتحه المسلمون كأرض خيبر التى فتحت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكعامة أرض الشام وبعض مدنها وكسواد العراق إلا مواضع قليلة فتحت صلحا وكأرض مصر فإن هذه - الأقاليم فتحت عنوة على خلافة عمر بن الخطاب وقد روى فى أرض مصر أنها فتحت صلحا وروى أنها فتحت عنوة وكلاـ الأمرين صحيح على ما ذكره العلماء المتأهلون للروايات الصحيحة فى هذا الباب فإنها فتحت أولا صلحا ثم نقض أهلها العهد فبعث عمرو ابن العاص إلى عمر بن الخطاب يستمده فأمده بجيش كثير فيهم الزبير بن العوام ففتحها المسلمون الفتح الثانى عنوة ولهذا روى من وجوه كثيرة أن الزبير سأل عمر بن الخطاب

أن يقسـمها بين الجيش كما سأله بلال قسم الشام فشاور الصحابة فى ذلك فأشار عليه كبراؤهم كعلى ابن أبى طالب ومعاذين جبل أن يحبسـها فيئا للمسلمين ينتفع بفائدتها أول المسلمين وآخرهم ثم وافق عمر على ذلك بعض من كان خالفه ومات بعضهم فاستقر الأمر على ذلك فما فتحه المسـلمون عنوة فقد ملكهم الله إياه كما ملكهم ما استولوا عليه من النفوس والأموال والمنقول والعقار ويدخل فى العقـار معابـد الكفـار ومسـاكنهم وأسواقهم ومزارعهم وسـائر منـافع الأـرض كمـا يـدخل فى المنقول سائر أنواعه من الحيوان والمتاع والنقـد، وليس لمعابد الكفار خاصة تقتضـى خروجها عن ملك المسـلمين فإن ما يقال فيها من الأقوال ويفعل فيها من العبادات إما أن يكون مبـدلا أو محـدثا لم يشـرعه الله قط أو يكون الله قـد نهى عنه بعد ما شـرعه وقد أوجب الله على أهل دينه جهاد أهل الكفر حتى يكون الـدين كله لله وتكون كلمـة الله هى العليـا ويرجعوا عن دينهم الباطـل إلى الهـدى ودين الحق الـذى بعث الله به خاتم المرسـلين صلوات الله وسـلامه عليه ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. ولهذا لما اسـتولى رسول الله صـلى الله عليه وسلم على أرض من حاربه من أهل الكتاب وغيرهم كبنى قينقاع والنضـير وقريظة، كانت معابدهم مما اسـتولى عليه المسـلمون ودخلت فى قوله تعالى (وأورثكم أرضـهم وديـارهم وأموالهم) وفى قوله تعـالى (مـا أفاء الله على رسوله منهم) (وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) لكن وإن ملك المسـلمون ذلـك فحكم الملـك متبوع كمـا يختلف حكم الملـك فى المكـاتب والمـدبر وأم الولـد والعبـد وكما يختلف حكمه فى المقاتلين الذين يؤسرون وفى النساء والصبيان الذين يسبون كذلك يختلف حكمه فى المملوك نفسه والعقار والأرض والمنقول. وقد أجمع المسـلمون على أن الغنائم لها أحكام مختصة بها لا تقاس بسائر الأموال المشتركة. ولهذا لما فتح النبى صلى الله عليه وسلم خيبر أقر أهلا ذمة للمسلمين فى [ صفحه ۱۶۳] مساكنهم وكانت المزارع ملكا للمسـلمين عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر مـا يخرج منهـا من ثمر أو زرع ثم أجلاـهم فى خلافته واسترجع المسـلمون ما كانوا أقروهم فيه من المساكن والمعابـد. فصل: وأما أنه هل يجوز للإمام عقـد الذمة مع إبقاء المعابد بأيديهم فهذا فيه خلاف معروف فى مذاهب الأئمة الأربعة منهم من يقول لا يجوز تركها لهم لأنه إخراج ملك المسلمين عنها وإقرار الكفر بلا عهد قديم.. ومنهم من يقول بجواز إقرارهم فيها إذا اقتضت المصلحة ذلك كما أقر النبى أهل خيبر فيها وكما أقر الخلفاء الأربعة الكفار والمعابد التى كانت بأيديهم. فمن قال بالأول قال: حكم الكنائس حكم غيرها من العقار منهم من يوجب إبقاءه كمالك فى المشـهور عنه وأحمد فى رواية. ومنهم من يخير الإمام فيه بين الأمرين بحسب المصـلحة وهـذا قول الأكثرين وهو مـذهب أبى حنيفـة وأحمد فى المشـهور عنه وعليه دلت سـنة رسول الله (ص) حيث قسم نصف خيبر وترك نصـفها لمصالـح المسـلمين. ومن قال يجوز إقرارها بأيديهم فقوله أوجه وأظهر فإنهم لا يملكون بهذا الإقرار رقاب المعابد كما يملك الرجـل مـاله كمـا أنهم لاـ يملكون مـا ترك لمنافعهم المشتركـة كالأسواق والمراعى كما لم يملك أهل خيبر ما أقرهم فيه رسول الله (ص) من المسـاكن والمعابـد. ومجرد إقرارهم ينتفعون بها ليس تمليكا كما لو أقطع المسـلم بعض عقار بيت المال ينتفع بغلته أو سـلم إليه مسـجد أو ربـاط ينتفع به لم يكن ذلـك تمليكـا له بـل مـا أقروا فيه من كنـائس العنوة يجوز للمسـلمين انتزاعهـا منهم إذا اقتضـت المصـلحة ذلك كما انتزعها أصـحاب النبى (ص) من أهل خيبر بأمره بعد إقرارهم فيها.. وقد طلب المسلمون فى خلافة الوليد بن عبد الملك أن يأخـذوا من النصارى بعض كنائس العنوة التى خارج دمشق فصالحوهم على إعطائهم الكنيسـة التى داخل البلـد وأقر ذلك عمر بن عبد العزيز ومن معه فى عصـره من أهل العلم فإن المسـلمين لما أرادوا أن يزيدوا جامع دمشق بالكنيسة التى إلى جانبه وكانت من كنـائس الصـلح لم يكن لهم أخـذها قهرا فاصـطلحوا على المعاوضـة بـإقرار كنـائس العنوة التى أرادوا انتزعها و كان ذلك الإقرار عوضا عن كنيسـة الصـلح التى لم يكن لهم أخذها عنوة. فصل ومتى انتقض عهدهم جاز أخذ كنائس الصـلح منهم فضـلا عن كنائس العنوة كما [ صـفحه ۱۶۴] أخـذ النبى صـلى الله عليه وسـلم ما كان لقريظـة والنضـير لما نقضوا العهـد فإن ناقض العهـد أسوأ حالا من المحارب الأصـلى كما أن ناقض العهد أسوأ حالا من الكافر الأصلى ولذلك لو انقرض أهل مصر من الأمصار ولم يبقى من دخل فى عهدهم فإنه يصـير للمسلمين جميع عقارهم ومنقولهم من المعابد وغيرها فيئا فإذا عقدت الذمة لغيرهم كان كالعهد المبتدأ وكان لمن يعقـد لهم الذمـة أن يقرهم فى المعابـد وله أن لاـ يقرهم بمنزلـة مـا فتـح ابتـداء فـإنه لو أراد الإمام عنـد فتحه هـدم ذلك جاز بإجماع

المسلمين ولم يختلفوا في جواز هدمه، وإنما اختلفوا في جوازا بقائه وإذا لم تدخل في العهد كانت فيئا للمسلمين. أما على قول الجمهور الذين لا يوجبون قسم العقار فظاهر.. وأما على قول من يوجب قسمة فلأن عين المستحق غير معروف كسائر الأموال التي لا يعرف لها مالك معين وأما تقدير وجوب إبقائها فهذا تقدير لا حقيقة له. فإن إيجاب إعطائهم معابد العنوة لا وجه له ولا أعلم به قائلا فلا يفرع عليه وإنما الخلاف في الجواز نعم قد يقال في الأبناء إذا لم نقل بدخولهم في عهد آبائهم لأن لهم شبهة الأمان والعهد بخلاف الناقضين فلو وجب لم يجب إلا ما تحقق أنه كان له فإن صاحب الحق لا يجب أن يعطى إلا ما عرف أنه حقه وما وقع الشك فيه على هذا التقدير فهو لبيت المال، وأما الموجودون الآن إذا لم يصدر منهم نقض عهد فهم على الذمة فإن الصبي يتبع أباه في الذمة وأهل داره من أهل الذمة كما يتبع في الإسلام أباه وأهل داره من المسلمين لأن الصبي لما يكن مستقلا بنفسه جعل تابعا لغيره في الإيمان والأمان وعلى هذا جرت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه والمسلمين في إقرارهم صبيان أهل الكتاب بالعهد القديم من غير تجديد عقد آخر. وهذا الجواب حكمه فيما كان من معابدهم قديما قبل فتح المسلمين. أما ما أحدث بعد ذلك فإنه يجب إزالته ولا يمكنون من إحداث البيع والكنائس كما شرط عليهم عمر بن الخطاب في الشروط المشهورة عنه أن لا يجدوا في مدائن الإسلام ولا فيما حولها كنيسة ولا صومعة ولا ديرا ولا قلاية امتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تكون قبلتان ببلد واحد" رواه أحمد وأبوه داود بسند جيد.. ولما روى عن عمر بن الخطاب قال " لا كنيسة في الإسلام " وهذا مذهب الأئمة الأربعة في الأمصار ومذهب جمهورهم في القرى وما زال من يوفقه الله من ولاة أمور المسلمين ينفذ ذلك ويعمل به مثل عمر بن عبد العزيز الذي اتفق المسلمون على أنه إمام هدى فروى أحمد عنه أنه [ صفحه ۱۶۵] كتب إلى نائبة على اليمن أن يهدم الكنائس التي في أمصار المسلمين فهدمها بصنعاء وغيرها. وروى أحمد عن الحسن البصري أنه قال " من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة، وكذلك هارون الرشيد في خلافته أمر بهدم ما كان في سواد بغداد، وكذلك المتوكل لما ألزم أهل الكتاب بشروط عمر استفتى علماء وقته في هدم الكانس والبيع فأجابوه فبعث بأجوبتهم إلى أحمد فأجابه بهدم كنائس سواد العراق وذكر الآثار عن الصحابة والتابعين فمما ذكره ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال " أيما مصر مصرته العريب - يعني المسلمين - فليس للعجم يعني أهل الذمة أن يبنوا فيه كنيسة ولا يضربوا ناقوسا ولا يشربون فيه خمرا. وأيما مصر مصرته العجم ففتحه الله على العرب فإن للعجم ما في عهدهم وعلى العرب أن يوفوا بعهدم ولا يكلفوهم فوق طاقتهم. " وملخص الجواب أن كل كنيسة في مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد ونحوها من الأمصار التي مصرها المسلمون بأرض العنوة فإنه يجب إزالتها إما بالهدم أو غيرها بحيث لا يبقى لهم معبد في مصر مصره المسلمون بأرض العنوة وسواء كانت تلك المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثة لأن القديم منها يجوز أخذه ويجب عند المفسدة وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تجتمع قبلتان بأرض فلا يجوز للمسلمين أن يمكنوا أن يكون بمدائن الإسلام قبلتان إلا لضرورة كالعهد القديم، لا سيما وهذه الكنائس التي بهذه الأمصار محدثة يظهر حدوثها بدلائل متعددة والمحدث يهدم باتفاق الأئمة. وأما الكنائس التي بالصعيد وبر الشام ونحوها من أرض العنوة فما كان منها محدثا وجب هدمه، وإذا اشتبه المحدث بالقديم وجب هدمها جميعا لأن هدم المحدث واجب وهدم القديم جائز وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما كان منها قديما فإنه يجوز هدمه ويجوز إقراره بأيديهم فينظر الإمام في المصلحة فإن كانوا قد قلوا والكنائس كثيرة أخذ منهم أكثرهم. وكذلك ما كان على المسلمين فيه مضرة فإنه يؤخذ أيضا وما أحتاج المسلمون إلى أخذه أخذ أيضا. وأما إذا كانوا كثيرون في قرية ولهم كنيسة قديمة لا حاجة إلى أخذها ولا مصلحة فيه فالذي ينبغي تركها كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه لهم من الكنائس ما كانوا [ صفحه ۱۶۶] محتاجين إليه ثم أخذ منهم، وأما ما كان لهم بصلح قبل الفتح مثل ما في داخل مدينة دمشق ونحوها فلا يجوز أخذه ما داموا موفين بالعهد إلا بمعاوضة أو طيب أنفسهم كما فعل المسلمون بجامع دمشق لما بنوه، فإذا عرب أن الكنائس ثلاثة أقسام منها ما لا يجوز هدمه.. ومنها ما يجب هدمه كالتي في القاهرة مصر والمحدثات كلها. ومنها ما يفعل المسلمون فيه الأصلح كالتي في الصعيد وأرض الشام مما كان قديما على ما بيناه.. فالواجب على ولي الأمر فعل ما أمر الله به وما

هو أصلح للمسلمين من إعزاز دين الله وقمع أعدائه وإتمام ما فعله الصحابة من الزامهم بالشروط عليهم ومنعهم من الولايات في جميع أرض الإسلام ولا يلتفت في ذلك إلى مرجف أو مخذل يقول إن لنا عندهم مساجد وأسرى نخاف عليهم فإن الله تعالى يقول (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) وإذا كان فوروز في مملكة التتار قد هدم عامة الكنائس على رغم أنف أعداء الله فحزب الله المنصور وجنده الموعود بالنصر إلى قيام الساعة أولى بذلك وأحق فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنهم لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة ونحن نرجو أن يحقق الله وعد رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال " يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " ويكون من أجرى الله ذلك على يديه وأعان عليه من أهل القرآن والحديث داخلين في هذا الحديث النبوي فإن الله بهم يقيم دينه كما قال " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز [" ۲۲۵] . [ صفحه ۱۶۹]

## فتوى أخرى

ما يقول السادة العلماء أعانهم الله على إظهار الحق المبين وإخماد الكفار والمنافقين في الكنائس التي بالقاهرة وغيرها التي أغلقت بأمر ولاة الأمور إذا ادعى الذمة أنها أغلقت ظلما وأنهم يستحقون فتحها وطلبوا ذلك من ولي الأمر، فهل تقبل دعواهم وهل تجب إجابتهم أم لا، وإذ قالوا إن هذه الكنائس كانت قديمة من زمن عمر بن الخطاب وغيره من خلفاء المسلمين وإن إغلاقها مخالف لحكم الخلفاء الراشدين فهل هذا القول مقبول منهم أم مردود؟ وإذا ذهب أهل الذمة إلى من يقدم من بلاد العرب من رسول أو غيره فسألوا أن يسأل ولي الأمر في فتحها أو كاتبوا ملوك الحرب ليطلبوا ذلك من ولي أمر المسلمين فهل لأهل الذمة ذلك وهل ينتقض عهدهم بهذا أم لا؟ وإذا قال قائل: إنهم إن لم يجابوا إلى ذلك حصل للمسلمين ضرر إما بالعدوان على من عندهم من الأسرى والمساجد، وإما بقطع متاجرهم عن ديار الإسلام وإما بترك معاونتهم لو لي أمر المسلمين على ما يعتمده من مصالح المسلمين ونحو ذلك، فهل هذا القول صواب أو خطأ بينوا ذلك مبسوطا مشروحا وإذا كان في فتحها تغيير قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وتغيير قلوب أهل الصلاح والدين وعموم الجند والمسلمين على ولاة الأمور لأجل إظهار شعائر الكفر وظهور عزهم وفرحهم وسرورهم بما يظهرونه وقت فتح الكنائس من الشموع والجموع والأفراح وغير ذلك، وهذا فيه تغير قلوب المسلمين من الصالحين وغيرهم حتى إنهم يدعون الله تعالى على من تسبب في ذلك وأعان عليه فهل لأحد أن يشير على ولي الأمر بذلك، ومن أشار عليه بذلك هل ۳
يكون ناصحا لو لي المسلمين أم غاشا، وأي الطرق هو الأفضل لو لي الأمر؟ هذا نص السؤال فأجاب عنه ابن تيمية بما نصه ": الحمد لله رب العالمين أما دعواهم أن المسلمين ظلموهم في إغلاقها فهذا كذب مخالف لأهل العلم فإن علماء المسلمين من أهل المذاهب الأربعة مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد و غيرهم والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم ومن قبلهم من الصحابة والتابعين متفقون على أن الإمام لو هدم كل كنيسة بأرض العنوة كأرض مصر والسودان بالعراق وبر الشام ونحو ذلك مجتهدا في ذلك ومتبعا في ذلك لمن يرى ذلك لم يكن ذلك ظلما منه بل تجب طاعته في ذلك وإن امتنعوا عن حكم المسلمين لهم كنوا ناقصين العهد وحلت بذلك دماؤهم وأموالهم. " وأما قولهم: إن هذه الكنائس من عهد عمر بن الخطاب، وأن الخلفاء الراشدين أقروهم عليها فهذا أيضا من الكذب فإن من المعلوم المتواتر أن القاهرة بنيت بعد عمر بن الخطاب [ صفحه ۱۷۰] بثلاثمائة سنة بنيت بعد بغداد وبعد البصرة والكوفة وواسط وقد اتفق المسلمون على أن ما بناه المسلمون من المدائن لم يكن لأهل الذمة أن يحدثوا فيه كنيسة مثل ما فتحه المسلمون صلحا وأبقوا لهم كنائسهم القديمة بعد أن شرط عليهم فيها عمر بن الخطاب أن لا يحدثوا كنيسة في أرض الصلح فكيف في بلاد المسلمين بل إذا كان لهم كنيسة بأرض العنوة كالعراق ومصر ونحو ذلك فبنى المسلمون مدينة عليها فإن لهم أخذ تلك الكنيسة لئلا تترك في مدائن المسلمين كنيسة بعد عهد فإن في سنن أبي داود بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا تصلح قبلتان بأرض ولا جزية على مسلم " والمدينة التي يسكنها المسلمون والقرية التي يسكنها

المسلمون وفيها مساجد المسلمين لا يجوز أن يظهر فيها شئ من شعائر الكفر لا كنائس ولا غيرها إلا أن يكون لهم عهد فيوفى لهم بعهدهم، فلو كان بأرض القاهرة ونحوها كنيسة قبل بنائها لكان للمسلمين أخذها لأن الأرض عنوة فكيف وهذه الكنائس محدثة أحدثها النصارى. وقد كان فى بر مصر كنائس قديمة لكن تلك الكنائس أقرهم المسلمون عليها حين فتحوا البلاد لأن الفلاحين كلهم كانوا نصارى ولم يكونوا مسلمين وإنما كان المسلمون الجند خاصة وأقروهم كما أقر النبى صلى الله عليه وسلم اليهود على خيبر لما فتحها لأن اليهود كانوا فلاحين وكان المسلمون مشتغلين بالجهاد. ثم إنه بعد هذا فى خلافة عمر بن الخطاب لما كثر المسلمون واستغنوا عن اليهود أجلاهم عن خيبر كما أمر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال " أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب " حتى لم يبق فى خيبر يهودى وهكذا القرية التى يكون أهلها نصارى وليس عندهم مسلمون ولا مسجد للمسلمين فإذا أقرهم المسلمون على كنائسهم التى فيها جاز ذلك كما فعله المسلمون، وأما إذا سكنها المسلمون وبنوا بها مساجدهم فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم " لا تصلح قبلتان بأرض " وفى أثر آخر " لا يجتمع بيت رحمة وبيت عذاب " والمسلمون قد كثروا بالديار المصرية وعمرت فى هذه الأوقات حتى صار أهلها بقدر ما كانوا فى زمان صلاح الدين مرات متعددة. وإنما قويت شوكة النصارى والتتار بعد موت العادل أخى صلاح الدين حتى إن بعض الملوك أعطاهم بعض مدائن المسلمين وحدث حوادث بسبب التفريط فيما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى يقول " ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الدين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور [ " صفحه ۱۷۱] فكان ولاة الأمور الذين يهدمون كنائسهم ويقيمون أمر الله فيهم كعمر ابن عبد العزيز وهارون الرشيد ونحو هما مؤيدين منصورين وكان الذين هم بخلاف ذلك مغلوبين مقهورين. وكل من عرف سير الناس وملوكهم رأى كل من كان أنصر لدين الإسلام وأعظم جهاد لأعدائه وأقوم بطاعة الله ورسوله أعظم نصرة وطاعة وحرمة من عهد عمر بن الخطاب إلى هذا الزمان وقد أخذ المسلمون منهم كنائس كثيرة من أرض العنوة بعد أن أقروا عليها فى خلافة عمر بن عبد العزيز وغيره من الخلفاء وليس فى المسلمين من أنكر ذلك فعلم أن هدم كنائس العنوة جائز إذا لم يكن فيه ضرر على المسلمين فأعرض من أعرض عنهم كان لقلة المسلمين ونحو ذلك من الأسباب كما أعرض النبى صلى الله عليه وسلم عن إجلاء اليهود حتى أجلاهم عمر بن الخطاب. وليس لأحد من أهل الذمة أن يكاتبوا أهل دينهم من أهال الحرب ولا يخبروهم بشئ من أخبار المسلمين ولا يطلب من رسولهم أن يكلف ولى أمر المسلمين ما فيه ضرر على المسلمين ومن فعل ذلك منهم وجبت عقوبته باتفاق المسلمين وفى أحد القولين يكون قد نقض عهده وحل دمه وماله. ومن قال إن المسلمين يحصل لهم ضرر إن لم يجابوا إلى ذلك لم يكن عارفا بحقيقة الحال فإن المسلمين قد فتحوا ساحل الشام وكان ذلك أعظم المصائب عليهم أخذ أموالهم وهدم كنائسهم ومع هذا لم يدخل على المسلمين بذلك إلا كل خير فإن المسلمين مستغنون عنهم وهم إلى ما فى بلاد المسلمين أحوج من المسلمين إلى ما فى بلادهم بل مصلحة دينهم ودنياهم. فأما الأندلس فهم لا يتركون المسلمين فى بلادهم إلا لحاجتهم إليهم وخوفهم من التتار فإن المسلمين عند التتار أعز من النصارى و أكرم ولو قدر أنهم قادرون على من عندهم من المسلمين فالمسلمون أقدر على من عندهم من النصارى والنصارى الذين فى ذمة المسلمين فيهم من البتاركة وغيرهم من علماء النصارى ورهبانهم وليس عند النصارى مسلم يحتاج إليه المسلمون ولله الحمد مع أن فكاك الأسارى من أعظم الواجبات، وبذل المال الموقوف وغيره فى ذلك من أعظم القربات وكلم مسلم يعلم أنهم يتجرون إلى بلاد المسلمين إلا لأغراضهم لا لنفع المسلمين، ولو منعهم ملوكهم من ذلك لكان حرصهم على المال يمنعهم من الطاعة فإنهم أرغب الناس فى المال ولهذا يتقامرون فى الكنائس وهم طوائف مختلفون وكل طائفة تضاد الأخرى ولا يشير على ولى أمر المسلمين بما فيه إظهار شعائرهم فى بلاد الإسلام أو تقوية أمرهم بوجه [ صفحه ۱۷۲] من الوجوه إلا رجل منافق يظهر الإسلام وهو منهم فى الباطن أو رجل له غرض فاسد أو رجل جاهل فى غاية الجهل لا يعرف السياسة الشرعية الإلهية تنصر سلطان المسلمين على أعدائه وأعداء الدين وإلا فمن كان عارفا ناصحا له أشار عليه بما يوجب نصره وثباته وتأييده واجتماع قلوب المسلمين عليه وفتحهم له ودعاء الناس له فى مشارق الأرض ومغاربها وهذا كله

إنما يكون بإعزاز دين الله وإظهار كلمة الله وإذلال أعداء الله تعالى. وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين وصلاح الدين ثم العادل كيف مكنهم الله وأيدهم وفتح لهم البلاد وأذل لهم الأعداء لما قاموا من ذلك بما قاموا به، وليعتبر بسيرة من والى النصارى كيف أذله الله تعالى وكبته وليس المسلمون محتاجين إليهم ولله الحمد فقد كتب خالد ابن الوليد إلى عمر يقول إن بالشام كاتبا نصرانيا لا يقوم خراج الشام إلا به. فكتب إليه لا تستعمله. فكتب إنه لا غنى بنا عنه. فكتب إليه عمر: لا تستعمله " فكتب إليه: إذ لم نوله ضاع المال. فكتب إليه عمر " مات النصراني والسلام. " وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن مشركا لحقه ليقاتل معه فقال له " إني لا ـ أستعين بمشرك " وكما أن الجند المجاهدين إنما يصلحون إذا كانوا مسلمين مؤمنين وفي المسلمين كفاية في جميع مصالحهم ولله الحمد. ودخل أبو موسى الأشعري على عمر بن الخطاب فعرض عليه حساب العراق فأعجبه ذلك فقال " ادع كاتبك يقرؤه فقال: إنه لا يدخل المسجد قال " ولم " قال " لأنه نصراني " فضربه عمر بالدرة فلو أصابته لأوجعته ثم قال: لا تعزوهم بعد أن أذلهم الله ولا تأمنوهم بعد أن خونهم الله، ولا تصدقوهم بعد أن أكذبهم الله " والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة موالية لله ورسوله ولعبادة المؤمنين معادية لأعداء الله ورسوله، وأعداء الدين وقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الصالحة هن العسكر الذي لا يغلب والجند الذي لا يخذل فإنهم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور). فقد عرف أهل الخبرة أن أهل الذمة من اليهود والنصارى والمنافقين يكاتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين وبما يطلعون على ذلك من أسرارهم حتى أخذ جماعة من المسلمين في بلاد [ صفحه ۱۷۳] التتر وسبي وغير ذلك بمطالعة أهل الذمة لأهل دينهم ومن الأبيات المشهورة قول بعضهم: كل العداوات قد ترجى مودتها++ إلا عداوة من عاداك في الدين ولهذا وغيره منعوا أن يكونوا على ولاية المسلمين أو على مصلحة من يقويهم أو يفضل عليهم في الخبرة والأمانة من المسلمين من هو دونهم في الكفاية أنفع للمسلمين في دينهم ودنياهم والقليل من الحلال يبارك فيه والحرام الكثير يذهب ويمحقه الله تعالى والله أعلم.. ثم ذكر الشروط العمرية لأهل الذمة التي من ضمنها أن لا يتخذوا من مدائن الإسلام ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة لراهب ولا يجددوا ما خرب منها " وقال " فمن خرج عن شرط من هذه الشروط فقد حل للمسلمين منهم ما حل من أهل المعاندة والشقاق وليتقدم حاكم المسلمين بطلب من يكون من أكابر النصارى ويلزمهم بهذه الشروط العمرية أعز الله أنصارها آمين ". ا. هـ [۲۲۶] . [ صفحه ۱۷۷]

## رسالة أسد بن موسى إلى أسد بن الفرات

يا أخي أن ما حملني على الكتابة إليك إلا ذكر أهل بلدك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس، وحسن حالك مما ظهرت من السنة، وعيبك لأهل البدع وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم فقمعهم الله بك وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم، بإظهار عيبهم والطعن عليهم فأذلهم الله بيدك وصاروا ببدعتهم مستترين، فأبشر يا أخي بثواب ذلك واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله تعالى وإحياء سنة رسول الله (ص).. وقد قال رسول الله (ص) من أحيي شيئا من سنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وضم بين إصبعيه.. وقال: أيما داع دعى إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل آخر من اتبعه إلى يوم القيامة.. وذكر أيضا أن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليا يذب عنها وينطق بعلامتها. فاغتنم يا أخي هذا الفضل وكن من أهله فإن النبي (ص) قال: لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خيرا لك من كذا وكذا وأعظم القول فيه. فاغتنم ذلك وادع إلى السنة حتى يكون لك في ذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك أن حتى بك حدث فيكونون أئمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة، كما جاء في الأثر فاعمل على بصيرة ونية وحسبة، فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ

الحائر فتكون خلفا من نبيك (ص) فإنك لن تلق الله بعمل يشبه.. وإياك إن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب فإنه جاء فى الأثر (من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى فى هدم الإسلام) وجاء ما من إله يعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى. وقد وقعت اللعنة من رسول الله (ص) على أهل البدع وأن الله لا يقبل منهم صرفا ولا ـ عدلا ولا ـ فريضة ولا ـ تطوعا وكلما زادوا اجتهادا أو صوما وصلاة، ازدادوا من الله بعدا فارفض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله (ص) وأئمة الهدى بعده. واعلم رحمك الله: أن كلامه وما يأتى من كلام أمثاله من السلف فى معادات أهل البدع والضلالة ضلالة لا تخرج عن الملة. [ صفحه ۱۷۸] لكنهم شددوا فى ذلك وحذروا منه لأمرين: الأول غلظ البدعة فى الدين فى نفسها فهى عندهم أجل من الكبائر، ويعاملون أهلها بأغلظ مما يعاملون أهل الكبائر كما تجد فى قلوب الناس اليوم أن الرافضى عندهم ولو كان عالما عابدا أبغض وأشد ذنبا من السنى المجاهر بالكبائر. الأمر الثانى، أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع. فمثال البدعة التى شددوا فيها مثل تشديد النبى (ص) فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح خوفا مما وقع من الشرك الصريح الذى يصير به المسلم مرتدا. فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام فى الردة ومجاهدة أهلها، أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله وهذا هو الذى نزلت فيه الآيات المحكمات. ومثل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه) الآية. وقوله تعالى (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير، يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) الآية. وقال ابن وضاح فى كتاب البدع والحوادث بعد حديث ذكره أنه سيقع فى هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة. قال: إن فتنة الكفر هى الردة يحل فيها السبى والأموال. وفتنة الضلالة لا يحل فيها السبى والأموال، ولعله وهذا الذى نحن فيه فتنة ضلالة لا يحل فيها السبى ولا الأموال. وقال: أيضا أخبرنا أسد أخبرنا رجل عن ابن المبارك قال ابن مسعود أن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليا من أوليائه يذب عنه وينطق بعلامتها: فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا. ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال لأن أرد رجلا عن رأى سيئ أحب إلى من اعتكاف شهر. أخبرنا أسد عن أبى إسحاق عن الأوزاعى قال كان بعض أهل العلم يقولون لا يقبل الله من ذى بدعة صلاة ولا صدقة، ولا صياما، ولا جهادا، ولا حجا، ولا صرفا، ولا عدلا، وكانت أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم وتشمئز منهم قلوبهم ويحذرون الناس بدعتهم. [ صفحه ۱۷۹] قال: ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ما كان لأحد أن يهتك سترا عليهم، ولا يظهر منهم عورة، الله أولى بالأخذ بها وبالتوبة عليها، فأما إذا جاهروا فنشر العلم حياة والبلاغ عن رسول الله (ص) رحمة يعتصم بها على مصر ملحد. ثم روى بإسناده قال جاء رجل إلى حذيفة، وأبو موسى الأشعرى قاعد فقال أرأيت رجالا ضرب بسيفه غضبا لله حتى قتل، أفى الجنة أم فى النار؟ فقال أبو موسى فى الجنة! فقال: حذيفة استفهم الرجل وأفهمه، ما تقول حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فلما كان فى الثالثة قال: والله لأستفهمه فدعا به حذيفة فقال: رويدك وما يدريك أن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو فى الجنة، وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله للحق فهو فى النار، ثم قال والذى نفسى بيده ليدخلن النار فى مثل الذى سألت عنه أكثر من كذا وكذا. ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك. ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثورى قال: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث، إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع فى قلبه شئ فينزل به فيدخله الله النار. وإما أن يقول والله ما أبالى ما تكلموه، وأنى واثق بنفسى، فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه. ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال: من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام. أخبرنا أسد قال: حدثنا كثير أبو سعيد قال: من جلس إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه. أخبرنا أسد بن موسى قال: أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب قال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا ـ تجادلوهم فإنى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون. قال أيوب: وكان والله من الفقهاء ذوى الألباب. أخبرنا أسد ابن موسى قال: أخبرنا زيد عن محمد بن طلحة قال قال: إبراهيم لا تجالسوا أصحاب البدع، ولا تكلموهم فإنى أخاف أن ترد قلوبكم. أخبرنا أسد بالإسناد عن أبى هريرة قال: رسول الله (ص) الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم

من يخالل. [ صفحه ۱۸۰] أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال: دخل على محمد بن سيرين يوما رجل فقال: يا أبا بكر أقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن اقرأها ثم أخرج، فوضع إصبعيه فى أذنيه ثم قال: أخرج عليه إن كنت مسلما لما خرجت من بيتى، قال فقال يا أبا بكر لا أزيد على أن أقر ثم أخرج، فقام: بإزاره يشد عليه وتهيأ للقيام قال: فأقبلنا على الرجل فقلنا قد حرج عليك إلا خرجت. أفيحل لك أن تخرج رجلا من بيته قال: فخرج، فقلنا يا أبا بكر ما عليك لو قرأ آية ثم خرج، قال إنى والله لو ظننت أن قلبى يثبت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ ولكن خفت أن يلقى فى قلبى شيئا أجهد أن أخرجه من قلبى فلا أستطيع. أخبرنا أسد قال: أخبرنا ضمرة عن سودة قال: سمعت عبد الله بن القاسم وهو يقول ما كان عبد على هوى فتركه إلا آل إلى ما هو شر منه. قال: فذكرت ذلك لبعض أصحابنا فقال: تصديقه فى حديث عن النبى (ص) يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه. أخبرنا أسد قال: أخبرنا موسى بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال: كان رجل يرى رأيا فرجع عنه فأتيت محمدا فرحا بذلك فأخبرته، فقلت أشعرت أن فلانا ترك رأيه الذى كان يرى فقال: انظروا إلى ما يتحول، إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله يمرقون من الإسلام لا يعودن إليه. ثم روى بإسناده عن حذيفة أنه أخذ حصاه بيضاء فوضعها فى كفه، ثم قال: إن هذا الدين قد استضاء هذه الحصاة ثم أخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال: والذى نفسى بيده ليجيئن أقوام يدفنون الدين كما دفنت هذه الحصاة. أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن أبى الدرداء قال: لو خرج رسول الله (ص) اليوم إليكم ما عرف شيئا مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة.. قال: الأوزاعى فكيف لو كان اليوم قال عيسى يعنى الراوى عن الأوزاعى فكيف لو أدرك الأوزاعى هذا الزمان، أخبرنا سليمان بن محمد بإسناده عن على أنه قال: تعلموا العلم تعرفون به، واعملوا به تكونوا من أهله فإنه سيأتى بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم. [ صفحه ۱۸۱] أخبرنا يحيى بإسناده عن أبى سهل بن مالك عن أبيه أنه قال: ما عرف منكم شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة. حدثنى إبراهيم بن محمد بإسناده عن أنس قال: ما أعرف منكم شيئا كنت أعهده على عهد رسول الله (ص) ليس قولكم لا إله إلا الله. أخبرنا أسد بإسناده عن الحسن قال: لو أن رجلا أدرك السلف الأول، ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئا قال: ووضع يده على خده ثم قال: إلا هذه الصلاة، ثم قال: أما والله لمن عاش فى هذه النكرا؟؟؟ ولم يدرك هذا السلف الصالح فرأى مبتدعا يدعو إلى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعوا إلى دنياه فعصمة الله عن ذلك وجعل قلبه يحن إلى ذكر هذا السلف الصالح ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض أجرا عظيما فكذلك كونوا إن شاء الله تعالى. حدثنى محمد بن عبد الله بن محمد بإسناده عن ميمون بن مهران قال: لو أن رجلا نشر فيكم من السلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة. أخبرنا محمد بن قدامة بإسناده عن أم الدرداء قالت دخل على أبو الدرداء مغضبا فقلت له ما أغضبك فقال: والله ما أعرف فيهم من أمر محمد (ص) إلا أنهم يصلون جميعا. وفى لفظ: لو أن رجلا تعلم الإسلام وأهمله ثم تفقده ما عرف منه شيئا. حدثنى إبراهيم بإسناده عن عبد الله بن عمرو قال: لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خليا بمصحفيهما فى بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئا مما كانا عليه. قال مالك: وبلغنى أن أبا هريرة تلى (إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) فقال: والذى نفسى بيده أن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا. قف تأمل رحمك الله إذا كان هذا فى زمن التابعين بحضرة أواخر الصحابة، فكيف يغتر المسلم بالكثرة أو تشكل عليه ولا يستدل بها على الباطل. ثم روى ابن وضاح بإسناده عن أبى أمية قال: أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت يا أبا ثعلبة كيف تصنع فى هذه الآية؟ قال أية آية؟ قلت قول الله تعالى (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سئلت عنها رسول الله (ص) فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا، و هوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى [ صفحه ۱۸۲] رأى برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قيل يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم. ثم روى بإسناده عن عبد الله بن عمرو أن النبى (ص) قال: طوبى للغرباء ثلاثا قالوا يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: ناس صالحون قليل فى أناس سوء كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم. أخبرنا أسد بإسناده

عن عبد الله أنه سمع رسول الله يقول أن السلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء يا رسول الله قال الذين يصلحون إذا فسد الناس، هذا آخر ما نقلته من كتاب البدع والحوادث للإمام الحافظ محمد بن وضاح. فتأمل رحمك الله أحاديث الغربة وبعضها فى الصحيح مع كثرتها وشهرتها. وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا قد وضع فى زمن طويل حتى قال ابن القيم: الإسلام فى زماننا أغرب منه فى أول ظهوره. فتأمل هذا تأملا جيدا لعلك أن تسلم من هذه الهوة الكبيرة التى هلك فيها أكثر الناس وهى الاقتداء بالكثرة والسواد الأكبر والنفرة من الأقل فما أقل من سلم منها ما أقله.. ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله (ص) قال: ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويعتقدون بأمره (وفى رواية يهتدون بهدية) ويستنون بسنته، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل. [۲۲۷] . [ صفحه ۱۸۵]

## المنكرات من الأعيان والصور وأدوات اللهو

المنكرات من الأعيان والصور، يجوز إتلاف محلها تبعا لها، مثل الأصنام المعبودة من دون الله، لما كانت صورها منكرة: جاز إتلاف مادتها، فإذا كانت حجرا أو خشبا ونحو ذلك: جاز تكسيرها وتحريقها وكذلك آلات الملاهى - كالطنبور - يجوز إتلافها عند أكثر الفقهاء وهو مذهب مالك، وأشهر الروايتين عن أحمد. قال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل كسر عودا كان مع أمه لإنسان، فهل يغرمه، أو يصلحه؟ قال: لا أرى عليه بأسا أن يكسره، ولا يغرمه ولا يصلحه قيل له: فطاعتها؟ قال ليس لها طاعة فى هذا. وقال أبو داود: سمعت أحمد يسأل عن قوم يلعبون بالشطرنج فنهاهم فلم ينتهوا، فأخذ الشطرنج فرمى به؟ قال: قد أحسن. قيل: فليس عليه شئ؟ قال: لا. قيل له: كذلك إن كسر عودا أو طنبورا؟ قال: نعم. قال عبد الله: سمعت أبى - فى رجل يرى مثل الطنبور أو الطبل، أو ما أشبه هذا - ما يصنع به؟ قال: إذا كان مكشوفا فاكسره. وقال يوسف بن موسى، وأحمد بن الحسن: أن عبد الله سئل عن الرجل يرى الطنبور والمنكر: أيكسره؟ قال: لا بأس. وقال أبو الصقر: سألت أبا عبد الله عن رجل رأى عودا أو طنبورا فكسره، ما عليه؟ قال: قد أحسن، وليس عليه فى كسره شئ. وقال جعفر بن محمد سألت أبا عبد الله عمن كسر الطنبور والعود فلم ير عليه شيئا. وقال إسحاق بن إبراهيم: سئل أحمد عن الرجل يرى الطنبور أو طبلا مغطى: أيكسره؟ قال: إذا تبين أنه طنبور أو طبل كسره. وقال أيضا: سألت أبا عبد الله عن الرجل يكسر الطنبور، أو الطبل: عليه فى ذلك شئ؟ قال يكسر هذا كله، وليس يلزمه شئ. وقال المروذى: سألت أبا عبد الله عن كسر الطنبور الصغير يكون مع الصبى؟ قال: يكسر أيضا، قلت: أمر فى السوق فأرى الطنبور يباع: أأكسره؟ قال: ما أراك تقوى، إن قويت - أى فافعل - قلت: أدعى لغسل الميت، فأسمع صوت الطبل؟ قال: إن قدرت على كسره وإلا فاخرج. [ صفحه ۱۸۶] وقال فى رواية إسحاق بن منصور - فى الرجل يرى الطنبور والطبل والقنينة - قال: إذا كان طنبور أو طبل، وفى القنينة مسكر: اكسره. وفى مسائل صالح، قال أبى: يقتل الخنزير، ويفسد الخمر، ويكسر الصليب. وهذا قول أبى يوسف، ومحمد بن الحسن، وإسحاق بن راهويه، وأهل الظاهر، وطائفة من أهل الحديث، وجماعة من السلف، وهو قول قضاة العدل. قال أبو حصين: كسر رجل طنبورا، فخاصمه إلى شريح، فلم يضمنه شيئا. وقال أصحاب الشافعى: يضمن ما بينه وبين الحد المبطل للصورة وما دون ذلك: فغير مضمون، لأنه مستحق الإزالة، وما فوقه فقابل للتمول: لتأتى الانتفاع به، والمنكر إنما هو الهيئة المخصوصة، فيزول بزوالها، ولهذا أوجبنا الضمان فى الصائل بما زاد على قدر الحاجة فى الدفع، وكذا الحكم فى البغاة فى اتباع مدبرهم، والاجهاز على جريحهم، والميتة: فى حال المخمصة، لا يزاد على قدر الحاجة فى ذلك كله. حرق العجل المعبود: قال أصحاب القول الأول: قد أخبر الله سبحانه عن كليمه موسى عليه السلام: أنه أحرق العجل الذى عبد من دون الله، ونسفه فى اليم، وكان من ذهب وفضة، وذلك محق له بالكلية، وقال عن خليله إبراهيم عليه السلام: (فجعلهم جذاذا) وهو الفتات، وذلك نص فى الاستئصال، وروى أحمد فى مسنده والطبرانى فى المعجم من حديث الفرج بن

فضالـة عن على بن يزيـد عن القـاسم عن أبى أمامـة قـال: قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم " إن الله بعثنى رحمـة للعالمين، وهـدى للعـالمين، وأمرنى ربى بمحق المعـازف والمزامير والأوثـان، والصـليب، وأمر الجاهليـة. " وأيضـا: فالقيـاس يقتضـى ذلـك، لأـن محل الضـمان: هو ما قبل المعاوضـة، وما نحن فيه لا يقبلها البتـة، فلا يكون مضـمونا، وإنما قلنا: لا يقبل المعارضـة، لأن النبى صـلى الله عليه وسـلم قـال ": إن الله حرم بيع الخمر والميتـة والخنزير والأصـنام " وهـذا نص، وقـال " إن الله إذا حرم شـيئا ثمنه " والملاهى محرمات بالنص، فحرم بيعها. وأما قبول ما فوق الحـد المبطل للصورة لجعله آنيـة: فلا يثبت به وجوب الضـمان، لسـقوط [ صـفحه ١٨٧] حرمته، حيث صـار جزء المحرم، أو ظرفا له، كما أمر به النبى صـلى الله عليه وسـلم من كسـر دنان الخمر، وشق ظروفها، فلا ريب أن للمجاورة تـأثيرا فى الامتهان والإكرام، وقـد قال تعالى: (وقـد نزل عليكم فى الكتاب: أن إذا سـمعتم آيات الله يكفر بها ويسـتهزأ بها فلا تقعـدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره. إنكم إذا مثلهم) وسـئل النبى صـلى الله عليه وسـلم عن القوم: يكونون بين المشـركين يؤاكلونهم ويشـاربونهم؟ فقـال: هم منهم هـذا لفظه أو معناه. فإذا كان هـذا فى المجاورة المنفصـلة فكيف بالمجاورة التى صارت جزءا من أجزاء المحرم، أو لصـيقة بـه؟ وتـأثير الجـوار ثـابت عقلاـ وشـرعا وعرفـا. والمقصـود: أن إتلاـف المـال - على وجه التعزير والعقوبـة - ليس بمنسوخ، وقـد قال أبو الهياج الأسـدى: قال لى على بن أبى طالب " ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صـلى الله عليه وسـلم؟ ألا أدع تمثالا إلا طمسـته ولا قبرا مشـرفا إلا سويته وهذا يدل على طمس الصور فى أى شـئ كانت، وهدم القبور المشرفة، وإن كانت من حجـارة أو آجر أو لبن. محو التصـاوير: قـال المروذى: قلت لأحمـد: الرجل يكترى البيت، فيرى فيه تصاوير ترى أن يحكها؟ قال: نعم، وحجته: هـذا الحـديث الصـحيح. وروى البخـارى فى صـحيحه عن ابن عباس رضـى الله عنه " أن النبى صـلى الله عليه وسـلم لما أرى الصور فى البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت. وفى الصـحيحين: أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ": لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة. " وفى صـحيح البخارى عن عائشة ": أن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم كان لا يترك فى بيته شيئا فيه تصليب إلا قصة. " وفى الصـحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم: والـذى نفسـى بيـده ليوشـكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسـر الصـليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية. فهؤلاء رسل الله، صـلوات الله وسـلامه عليهم - إبراهيم وموسـى وعيسـى وخاتم المرسلين [ صفحه ١٨٨] محمد صـلى الله عليه وسلم - كلهم على محق المحرم وإتلافه بالكلية، وكذلك الصحابة رضى الله عنهم، فلا التفات لى من خالف ذلك. كسـر آنيـة الفضـة: وقد قال المروذى: قلت لأبى عبد الله: دفع إلى إبريق فضة لأبيعه، أترى أن أكسـره، أو أبيعه كما هو؟ قال: اكسـره. وقال: قيل لأبى عبـد الله: أن رجلا دعا قوما، فجيئ بطست فضـة وإبريق فضـة، فكسـره، فأعجب أبا عبد الله كسـره. وقال: بعثنى أبو عبـد الله إلى رجل بشـئ، فـدخلت عليه، فأتى بمكحلة رأسـها مفضـض، فقطعتها، فأعجبه ذلك، وتبسم. ووجه ذلك: أن الصناعة محرمة، فلا قيمة لها ولا حرمة. وأيضا: فتعطيل هذه الهيئة مطلوب، فهو بذلك محسن، وما على المحسنين من سبيل. حرق الكتب المظلـة وإتلافهـا: وكـذلك لا ضـمان فى تحريق الكتب المضـلة وإتلافها. قال المروذى: قلت لأحمـد: اسـتعرت كتابا فيه أشياء رديئة، ترى أن أخرقه أو أحرقه؟ قال: نعم، وقد " رأى النبى صلى الله عليه وسلم بيد عمر كتابا اكتبه من التوراة، وأعجبه موافقته للقرآن، فتمعر وجه النبى صـلى الله عليه وسـلم، حتى ذهب به عمر إلى التنور فألقا فيه. " فكيف لو رأى النبى (ص) ما صنف بعده من الكتب يعارض بها ما فى القرآن والسـنة؟ والله المسـتعان، وقـد " أمر النبى (ص) من كتب عنه شـيئا غير القرآن أن يمحوه " ثم " أذن فى كتابـة سـنته " ولم يأذن فى غير ذلك. وكل هـذه الكتب المتضـمنة لمخالفة السـنة: غير مأذون فيها، بل مأذون فى محقها وإتلافها، وما على الأمة أضر منها، وقد حرق الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان، لما خافوا على الأمة من الاختلاف، فكيف لو رأوا هـذه الكتب التى أوقعت الخلاف والتفرق بين الأمة؟ [ صـفحه ١٨٩] وقال الخلال: أخبرنى محمـد بن أبى هارون: أن أبا الحادث حـدثهم قال: قال أبو عبد الله: أهلكهم وضع الكتب، تركوا آثار رسول الله صـلى الله عليه وسـلم، وأقبلوا على الكلام. القرآن والحديث لا الرأى: وقال: أخبرنى محمد بن أحمد بن واصل المقرى قال: سـمعت أبا عبد الله - وسئل عن الرأى؟ فرفع صوته، وقال: لا يثبت شئ من الرأى عليكم بالقرآن والحـديث والآثار. وقال فى رواية ابن مشـيش: إن أبا عبد الله سأله رجل، فقال: اكتب الرأى؟ فقال: ما تصنع

بالرأی؟ علیک بالسنن فتعلمها، وعلیک بالأحادیث المعروفة. وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبی یقول: هذه الکتب بدعة وضعها وقال إسحاق بن منصور: سمعت أبا عبد الله یقول: لا یعجبنی شئ من وضع الکتب، من وضع شیئا من الکتب فهو مبتدع. وقال المروذی: حدثنا محمد بن أبی بکر المقدمی حدثنا حماد بن زید قال: قال لی ابن عون: یا حماد، هذه الکتب تضل. وقال المیمونی: ذاکرت أبا عبد الله خطأ الناس فی العلم، فقال: وأی الناس لا یخطئ؟ لا سیما من وضع الکتب، فهو أکثر خطأ. وقال إسحاق: سمعت أبا عبد الله – وسأله قوم من أردبیل عن رجل یقال له: عبد الرحیم، وضع کتابا – فقال أبو عبد الله: هل أحد من أصحاب رسول (ص) فعل ذا؟ أو أحد من التابعین؟ و أغلظ وشدد فی أمره، وقال: انهوا الناس عنه، وعلیکم بالحدیث. وقال فی روایة أبی الحارث: ما کتبت من هذه الکتب الموضوعة شیئا قط. وقال محمد بن زید المستملی: سأل أحمد رجل، فقال: اکتب کتب الرأی؟ قال لا تفعل، علیک بالحدیث والآثار، فقال له السائل: إن ابن المبارک قد کتبها، فقال له أحمد: ابن المبارک لم ینزل من السماء، وإنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق. وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبی – وذکر وضع الکتب – فقال: أکرهها، هذا أبو فلان وضع کتاب، فجاء أبو فلان فوضع کتاب، وجاء فلان فوضع کتابا، فهذا لا انقضاء له، کلما جاء رجل وضع کتابا، وهذه الکتب وضعها بدعة، کلما جاء رجل وضع کتابا، ترک حدیث رسول (ص) وأصحابه، وعاب وضع الکتب، وکرهه کراهة شدیدة [ صفحه ۱۹۰]

## البدع فی الکتب

وقال المروذی فی موضع آخر: قال أبو عبد الله: یضعون البدع فی کتبهم، إنما أحذر عنها أشد التحذیر، قلت: إنهم یحتجون بمالک: أنه وضع کتابا؟ فقال أبو عبد الله: هذا ابن عون والتیمی ویونس وأیوب: هل وضعوا کتابا؟ هل کان فی الدنیا مثل هؤلاء؟ وکان ابن سیرین وأصحابه لا یکتبون الحدیث، فکیف الرأی؟ وکلام أحمد فی هذا کثیر جدا، قد ذکره الخلال فی کتاب العلم. المحظور من الکتب: ومسألة وضع الکتب: فیها تفصیل، لیس هذا موضعه، وإنما کره أحمد ذلک، ومنع منه لما فیه من الاشتغال به، والإعراض عن القرآن والسنة، والذب عنهما، وأما کتب إبطال الآراء، والمذاهب المخالفة لهما فلا بأس، وقد تکون واجبة ومستحبة ومباحة، بحسب اقتضاء الحال والله أعلم. والمقصود: أن هذه الکتب المشتملة علی الکذب والبدعة یجب إتلافها وإعدامها، وهی أولی بذلک من إتلاف آلات اللهو والمعازف، وإتلاف آنیة الخمر، فإن ضررها أعظم من ضرر هذه، ولا ضمان فیها، کما لا ضمان فی کسر أوانی الخمر وشق زقاقها [۲۲۸]. [ صفحه ۱۹۳]

## مذاهب السلف فی قبول شهادة المخالف

قالوا: شروط قبول شهادتهم فی ذلک کونهم یعقلون الشهادة فی ذلک، وأن یکونوا ذکورا أحرارا، محکوما لهم بحکم الإسلام، اثنین فصاعدا، متفقین غیر مختلفین، ویکون ذلک قبل تفرقهم وتخبیهم، ویکون ذلک لبعضهم علی بعض، ویکون فی القتل والجرح خاصة، ولا یقبل شهادتهم علی کبیر: أنه قتل صغیرا، ولا علی صغیر: أنه قتل کبیرا. قالوا: ولوا شهدوا، ثم رجعوا عن شهادتهم: أخذ بالشهادة الأولی ولم یلتفت إلی ما رجعوا إلیه. قالوا: ولا خلاف عندنا أنه لا یعتبر فیهم تعدیل ولا تجریح. قالوا: واختلف أصحابنا فی العداوة والقرابة: هل تقدح فی شهادتهم؟ علی قولین، واختلفوا فی جریان هذا الحکم فی إناثهم، أم هو مختص بالذکور، فلا تقبل فیه شهادة الإناث؟ علی قولین. الحکم بشهادة الفساق: وذلک فی صور: إحداهما: الفاسق باعتقاده إذا کان متحفظا فی دینه فإن شهادته مقبولة، وإن حکمنا بفسقه، کأهل البدع والأهواء الذین لا نکفرهم، کالرافضة والخوارج والمعتزلة، ونحوهم، هذا منصوص الأئمة. قال الشافعی: أقبل شهادة أهل الأهواء بعضهم علی بعض، إلا الخطابیة فإنهم یتدینون بالشهادة لموافقیهم علی مخالفیهم. ولا ریب أن شهادة من یکفر بالذنب ولا یتعمد الکذب أولی بالقبول ممن لیس کذلک، ولم یزل السلف والخلف علی قبول شهادة هؤلاء وروایتهم. شهادة معلن البدعة: وإنما منع الأئمة – کالإمام أحمد ابن حنبل وأمثاله – قبول روایة الداعی المعلن ببدعته وشهادته،

والصلاة خلفه: هجرا له، وزجرا لينكف ضرر بدعته عن المسلمين، ففى قبول شهادته وروايته، والصلاة خلفه، واستقضائه وتنفيذ أحكامه: رضى ببدعته، وإقرار له عليها، وتعريض لقبولها منه. [ صفحه ۱۹۴] شهادة القدرية والرافضة: قال حرب: قال أحمد: لا تجوز شهادة القدرية والرافضة وكل من دعاء إلى بدعة ويخاصم عليها. وقال الميمونى: قال أبو عبد الله فى الرافضة - لعنهم الله - لا تقبل شهادتهم ولا كرامة لهم. وقال إسحاق بن منصور، قلت لأحمد، كان ابن أبى ليلى يجيز شهادة كل صاحب بدعة إذا كان فيهم عدلا، لا يستحل شهادة الزور.. قال أحمد: ما تعجبنى شهادة الجهمية والرافضة والقدرية والمعلنة. وقال الميمونى: سمعت أبا عبد الله يقول: من أخاف عليه الكفر - مثل الروافض والجهمية - لا تقبل شهادتهم ولا كرامة لهم. وقال فى رواية يعقوب بن بختان: إذا كان القاضى جهميا لا نشهد عنده.. وقال أحمد بن الحسن الترمذى: قدمت على أبى عبد الله، فقال: ما حال قاضيكم؟ لقد مد له فى عمره. فقلت له: إن للناس عندى شهادات، فإذا صرت إلى البلاد لا آمن إذا أشهد عنده أن يفضحنى.. قال: لا تشهد عنده.. قلت: يسألنى من له عندى شهادة؟ قال: لك ألا تشهد عنده. قلت: من كفر بمذهبه - كمن ينكر حدوث العالم، وحشر الأجساد، وعلم الرب تعالى بجميع الكائنات، وأنه فاعل بمشيئته وإرادته - فلا تقبل شهادته، لأنه على غير الإسلام وأما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام، ولكنهم مخالفون فى بعض الأصول - كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم - فهؤلاء أقسام: أحدها: الجاهل المقلد الذى لا بصيرة له، فهذا لا يكفر ولا يفسق ولا ترد شهادته، إذا لم يكن قادرا على تعلم الهدى، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، وكان الله عفوا غفورا. القسم الثانى: المتمكن من السؤال وطلب الهداية، ومعرفة الحق ولكن يترك ذلك اشتغالا [ صفحه ۱۹۵] بدنياه ورياسته، ولذته ومعاشه وغير ذلك فهذا مفرط مستحق للوعيد، آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته، فهذا حكمه حكم أمثاله من تاركى بعض الواجبات، فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنة والهدى: ردت شهادته وإن غلب ما فيه من السنة والهدى: قبلت شهادته. القسم الثالث: أن يسأل ويطلب، ويتبين له الهدى، ويتركه تقليدا وتعصبا، أو بغضا أو معاداة لأصحابه، فهذا أقل درجاته: أن يكون فاسقا، وتكفيره محل اجتهاد وتفصيل، فإن كان معلنا داعية ردت شهادته وفتاويه وأحكامه، مع القدرة على ذلك، ولم تقبل له شهادة، ولا فتوى ولا حكم، إلا عند الضرورة، كحال غلبة هؤلاء واستيلائهم، وكون القضاة والمفتين والشهود منهم، ففى رد شهادتهم وأحكامهم إذ ذاك فساد كثير، ولا يمكن ذلك، فتقبل للضرورة. مذهب مالك: وقد نص مالك على أن شهادة أهل البدع - كالقدرية والرافضة ونحوهم - لا تقبل، وإن صلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا. قال اللخمى: وذلك لفسقهم، قال: ولو كان ذلك عن تأويل غلطوا فيه. فإذا كان هذا ردهم لشهادة القدرية - وغلطهم إنما هو من تأويل القرآن كالخوارج - فما الظن بالجهمية الذين أخرجهم كثير من السلف من الثنتين والسبعين فرقة؟ وعلى هذا: فإذا كان الناس فساقا كلهم إلا القليل النادر: قبلت شهادة بعضهم على بعض، ويحكم بشهادة الأمثل فالأمثل، هذا هو الصواب الذى عليه العمل، وإن أنكره كثير من الفقهاء بألسنتهم، كما أن العمل على صحة ولاية الفاسق، ونفوذ أحكامه، وإن أنكروه بألسنتهم، وكذلك العمل على صحة كون الفاسق وليا فى النكاح ووصيا فى المال. والعجب ممن يسلبه ذلك ويرد الولاية إلى فاسق مثله، أو أفسق منه، فإن العدل الذى تنتقل إليه الولاية قد تعذر وجوده، وامتاز الفاسق القريب بشفقة القرابة، والوصى باختيار الموصى له وإيثاره على غيره، ففاسق عينه الموصى، أو امتاز بالقرابة: أولى من فاسق ليس كذلك، على أنه إذا غلب على الظن صدق الفاسق قبلت شهادته وحكم بها، والله سبحانه لم يأمر برد خبر الفاسق، فلا يجوز رده مطلقا، بل يتثبت فيه حتى يتبين: هل هو صادق أو كاذب؟ فإن كان صادقا: قبل قوله وعمل به، وفسقه عليه، وكان كاذبا: رد خبره ولم يلتفت إليه. [ صفحه ۱۹۶] رد شهادة الفاسق: ولرد خبر الفاسق وشهادته مأخذان: أحدهما: عدم الوثوق به، إذ تحمله قلة مبالاته بدينه، ونقصان وقار الله فى قلبه - على تعمد الكذب. الثانى: هجرة على إعلانه بفسقة ومجاهرته به. فقبول شهادته إبطال لهذا الغر ض المطلوب شرعا. من كان فسقه بغير الكذب: فإذا علم صدق لهجة الفاسق، وأنه أصدق الناس - وإن كان فسقه بغير الكذب - فلا وجه لرد شهادته، وقد استأجر النبى (ص) هاديا يدله على طريق المدينة، وهو مشرك على دين قومه، ولكن لما وثق بقوله أمنه، ودفع إليه راحلته، وقبل دلالته. وقد قال

أصبح بن الفرج: إذا شهد الفاسق عند الحاكم وجب عليه التوقف في القضية، وقد يحتج له بقوله تعالى: (إن جاء كم فاسق بنبأ فتبينوا) وحرف المسألة: أن مدار قبول الشهادة وردها، على غلبه ظن الصدق وعدمه. [۲۲۹] . [ صفحه ۱۹۷]

## خاتمة

عرضنا فيما سبق بشيء من التفصيل عدد من الفقهاء كنموذج لحالة التطرف السلفي الذي انعكس على واقع الخلف ونتج عن هذا الانعكاس صور متعددة من التطرف الحركي برزت على ساحة الواقع وأصبحت ظاهرة من ظواهر العصر.. إن معالجة هذه الظاهرة لا يتم إلا ـ بمعرفة منابعها، ومعرفة المنابع لن تتحقق إلا بالخوض في عمق التراث، فذلك هو السبيل الوحيد للوصول إلى هذه المنابع وتجفيفها.. إن مواجهة التطرف المعاصر لن يتم ويكتب له النجاح إلا بمواجهة تطرف الماضي فإن أسلحة الحاضر هي نفس أسلحة الماضي. ولقد اعتمد فقهاء الماضي على الرواية والفتوى.. واعتمد فقهاء الحاضر على الرواية والفتوى.. من هنا فإن المعالجة تتطلب إعادة النظر في الرواية والفتوى.. تتطلب غربلة التراث الإسلامي.. تتطلب العودة إلى القرآن وجعله الحكم والفيصل في التراث بشكل عام. وفي الرواية والفتوى بشكل خاص. وهذه النماذج المتطرفة التي ألقينا الضوء عليها هنا إنما هي محاولة تشخيص للحالة الدينية في الماضي والحاضر.. وهي مفتاح هذه المسألة التي عكف عليها الكثير من الكتاب والمفكرين وطافوا من حولها دون أن يجدوا الحل الحاسم لها.. وسبب ذلك في نظري يعود إلى ما يلي: أولا: قلة الخبرة والوعي لدى البعض بطبيعة التراث الإسلامي والالمام بجوانبه.. ثانيا: ارتباط البعض بمؤسسات وتوجهات تحول دون الخوض في عمق هذا التراث والتصدي لسلبياته وكشف تناقضاته.. ثالثا: اعتناق فكرة قداسة الماضي ومثاليته مما يحول دون كشف عيوبه والتجرؤ على رموزه وأسانيده..

## پاورقی

[۱] كتاب المغازي.

[۲] البخاري كتاب الفتن.

[۳] مسلم. كتاب الإمارة.

[۴] من الروايات المنسوبة للرسول بخصوص الحكام رواية تقول: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع. ورواية تقول: من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية ورواية تقول: اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم.. انظر مسلم كتاب المارة. والبخاري كتاب الأحكام.

[۵] أنظر تاريخ الطبري وترجمة ابن عمر وأنس في كتب التراجم وانظر الفصل القادم.

[۶] أنظر كتاب الزهد.

[۷] أنظر كتاب العواصم من القواصم. وهو كتاب ملئ با التبريرات والتأويلات التي تنفي الشبهات والاتهامات التي وجهت لعثمان ومعاوية ويزيد.

[۸] أنظر المقدمة وانظر العواصم من القواصم، والعقد الفريد ج ۲ / ۳۷۸. والبداية والنهاية لابن كثير ج ۸ / ۱۴۳.

[۹] أنظر منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ج ۲ / ۲۴۱: ۲۴۲. وانظر المنتقى منه. للذهبي والعواصم من القواصم. [

[۱۰] أنظر الفتاوى الكبرى ج / ۴ / ۴۸۱ وما بعدها وانظر منها ج السنة.

[۱۱] الوصية الكبرى في عقيدة أهل السنة والفرقة الناجية.

[۱۲] تاريخ الأمم الإسلامية ج ۲.

[۱۳] مروان بن الحكم طرده الرسول من المدينة ولعنه هو وأبيه الحكم بن العاص وقد أمنه عثمان وأدخله المدينة في حكمه عده

بعض الفقهاء من الصحابة. انظر دفاع ابن حجر العسقلانی عنه فی هدی الساری. مقدمة فتح الباری شرح البخاری. وانظر الإصابة فی تمییز الصحابة له أیضا.. وانظر لنا کتاب السیف والسیاسة. وتفاصیل وقعة الجمل فی کتب التاریخ.

[۱۴] أنظر طبقات ابن سعد ج ۴ / ۱۷۴. وتاریخ وقعة الحرة عام ۶۳ هـ وصار عسکر یزید بالمدینة ثلاثا یقتلون وینهبون ویهتکون أعراض نساء الأنصار وأبناء الرسول حتی حملت ألف امرأة سفاحا، وقد وقف الفقهاء من یزید بعد هذه الحادثة موقف المتفرج رغم أن النصوص صریحة بحرمة المدینة وحصانتها. أنظر نماذج من تلک النصوص فی کتب السنن، وانظر تاریخ الخلفاء للسیوطی.

[۱۵] کان أهل المدینة قد أخذوا علی بن أمیة حین أخرجوهم العهود والمواثیق أن لا یدلوا علی عورة لهم ولا یظاهروا علیهم عدوا – انظر ابن سعد ج ۴ / ۱۷۴.

[۱۶] ابن سعد ج ۴ / ۱۷۷.

[۱۷] البخاری کتاب الأحکام. وانظر البیهقی ج ۸ / ۱۴۷.

[۱۸] ابن سعد ج ۴ / ۱۸۱.

[۱۹] المرجع السابق ص ۱۸۲.

[۲۰] المرجع السابق.

[۲۱] أنظر طبقات ابن سعد وانظر تاریخ الخلفاء للسیوطی ترجمة عبد الملک بن مروان.

[۲۲] أنظر العواصم من القواصم والبدایة والنهایة ج ۹ / ۶۲، وتاریخ الخلفاء.. وقد أصبح ابن ذؤیب المستشار الخاص لعبد الملک بعد تولیه الخلافة.

[۲۳] أنظر المراجع السابقة.

[۲۴] أنظر تاریخ الزهری فی تذکرة الحفاظ للذهبی وکتب التراجم وطبقات ابن سعد وتاریخ ابن عساکر.

[۲۵] أنظر موطأ مالک کتاب المکاتب وکتاب العقول النکاح ولمروان وولده عبد الملک روایات أخری فی کتب السنن المتداولة بین المسلمین.

[۲۶] أنظر البخاری کتاب الأدب المفرد. وانظر العواصم من القواصم والبدایة والنهایة.

[۲۷] تاریخ الخلفاء.

[۲۸] المرجع السابق.

[۲۹] المرجع السابق.

[۳۰] المرجع السابق.

[۳۱] المرجع السابق.

[۳۲] المرجع السابق. ترجمة أبو جعفر المنصور.

[۳۳] المرجع السابق.

[۳۴] المرجع السابق.

[۳۵] المرجع السابق.

[۳۶] المرجع السابق.

[۳۷] المرجع السابق.

[۳۸] المرجع السابق.

[۳۹] المرجع السابق.

[۴۰] المرجع السابق. ترجمة المهدى وانظر كتب التاريخ.

[۴۱] المرجع السابق.

[۴۲] المرجع السابق.

[۴۳] المرجع السابق. وهذا يعنى أن الذهبى متوقف فيه. فيمكن قبول روايته ويمكن رفضها انظر تاريخ الإسلام للذهبى.

[۴۴] تاريخ الخلفاء وانظر كتب التاريخ، وانظر لنا قصة صالح بن عبد القدوس مع المهدى فى كتابنا الكلمة والسيف، وقد قتل المهدى من قتله بتحريض من الفقهاء الذين ألبسوا مخالفيهم تهمة الزندقة.

[۴۵] تاريخ الخلفاء.

[۴۶] المرجع السابق.

[۴۷] المرجع السابق ترجمة هارون الرشيد.

[۴۸] المرجع السابق.

[۴۹] المرجع السابق وانظر سيرة هارون الرشيد فى كتب التاريخ - وسفيان بن عيينة أحد الفقهاء ورجال الحديث أما إسحاق فهو مغنى الرشيد.

[۵۰] تاريخ الإسلام، وانظر المرجع السابق.

[۵۱] أنظر مقدمة كتاب الخراج.

[۵۲] تاريخ الخلفاء.

[۵۳] المرجع السابق.

[۵۴] المرجع السابق.

[۵۵] المرجع السابق.

[۵۶] المرجع السابق.

[۵۷] المرجع السابق.

[۵۸] المرجع السابق.

[۵۹] المرجع السابق.

[۶۰] المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد ولد سنة (۱۷۰ هـ) ودانت له الدولة بعد قتل أخيه الأمين سنة (۱۹۸ هـ) (ت ۲۱۸ هـ) كان صاحب علم ورأى وفصاحة. وكما مال إلى المعتزلة مال إلى الشيعة أيضا وجعل على بن موسى الرضا ثامن الأئمة عند الشيعة الإمامية وليا للعهد وأظهر تفضيل على على أبى بكر.

[۶۱] تقوم فكرة خلق القرآن على أساس أن كلام الله سبحانه حديث وأنه أوجد بلغة العرب فمن ثم هو ليس قديما وإنما اخترع لرسالة محمد (ص. وهذه الفكرة قامت فى الأساس للتفريق بن ذات الله سبحانه وبين كلامه وهو ما يرفضه الطرف الآخر بزعامة ابن حنبل ويصر على أن كلام الله قديم قدم ذاته.

[۶۲] أنظر سيرة المتوكل فى تاريخ الخلفاء للسيوطى وكتب التاريخ، وانظر فتن الحنابلة وصداماتهم مع الفقهاء والعامة والتيارات الأخرى فى الكامل فى التاريخ لابن الأثير حوادث عام ۳۲۱ هـ وحوادث عام ۳۹۸ ه فى تاريخ الإسلام للذهبى. وحوادث عام ۴۷۵ هـ

[۶۳] العواصم من القواصم. ونقد المنطق.

[۶۴] المرجع السابق وانظر الاعتصام للشاطبى والعقيدة الواسطة لابن تيمية وشرح أصول الاعتقاد للالكائى وشرف أصحاب الحديث للخطيب. وانظر لنا أهل السنة شعب الله المختار.

[۶۵] العواصم. وانظر سيرة ابن حنبل فى تاريخ الإسلام للذهبى وطبقات الحنابلة. والفقهاء الذين يقفون هذا لموقف من المأمون هم الحنابلة.

[۶۶] أنظر كتب التاريخ فترة عصر المتوكل. وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطى.. ويروى السيوطى فى تاريخ الخلفاء قول أحد الفقهاء: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر فى قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز فى رد المظالم، والمتوكل فى إحياء السنة وإماتة التجهم. ويقصد بالتجهم تيار الجهمية المنسوب إلى الجهة بن صفوان الذى قتله ابن الأحوز عام (۱۲۱ هـ) وهو تيار يتبنى المجاز والتأويل فيما يتعلق بصفات الله سبحانه وهى نفس رؤية الشيعة والمعتزلة وفقهاء الحنابلة يطلقون على كل من يتبنى المجاز جهمى. انظر الرد على الجهمية والزنادقة لابن حنبل.

[۶۷] تاريخ الخلفاء للسيوطى. وقد مات ابن حنبل فى أيام المتوكل سنة (۲۴۱ هـ).

[۶۸] المرجع السابق. والهاشمى نسبة إلى هاشم ويقصد به المتوكل أما الفتح بن خاقان فهو وزيره الذى قتل معه. وكان قتل المتوكل فى مجلس لهوه ومعه وزيره سنة ۲۴۷ هـ

[۶۹] تاريخ الخلفاء. والحديث رواه الطبرانى فى معجمه. وتأمل المتوكل يروى عن الرسول (ص) حديث الرفق بينما هو كان جبارا باطشا بالرعية متعصبا ضج الناس من ظلمه وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء، انظر كتب التاريخ.

[۷۰] تاريخ الخلفاء. وانظر تاريخ دمشق لابن عساكر.

[۷۱] تاريخ الخلفاء والجمة يقصد بها شعر الرأس المجتمع. وهى إشارة إلى أن شعره كان طويلا ويصل إلى شحمة أذنيه.

[۷۲] المرجع السابق.

[۷۳] أنظر تراجم هؤلاء فى كتب الرجال وكتب الأحاديث وهى تراجم تضفى عليهم القدسية والمثالية الفائقة. انظر لنا النص والسياسة.

[۷۴] أطلق على البخارى ومسلم لفظ الصحيحين. بينما أطلق على الكتب الأخرى اسم كتب السنن.

[۷۵] مسلم هو تلميذ البخارى، وقد حملت لواء الدعوة لهذين الكتابين الدول التى قامت فى المشرق مثل الدولة الغزنوية والسلجوقية بحكم انتماء البخارى ومسلم إلى نيسابور وهما مدينتان واقعتان فى دائرة نفوذهما، والملفت للنظر أن البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وسائر أصحاب السنن الذين تصدوا لجمع الروايات ينتمون لمنطقة واحدة وهى بلاد فارس وما وراء النهر بينما لا يوجد سوى عربى واحد تصدى لعملية الجمع قبل هؤلاء وهو أحمد بن حنبل وكتب مسنده الكبير إلا أنه لم يحظى بشهرة هذه الكتب ولم يعتمده الفقهاء كما اعتمدوا الكتب السابقة.

[۷۶] تاريخ الخلفاء.

[۷۷] المرجع السابق.

[۷۸] المرجع السابق وانظر شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ج / ۲ / ۲۹۲ أحداث عام ۳۲۲ هـ

[۷۹] أنظر المرجعين السابقين وكتب التاريخ.

[۸۰] تاريخ الخلفاء.

[۸۱] المرجع السابق. وانظر لنا الكلمة والسيف، وقد قتل الحلاج عام ۳۰۹ هـ

[۸۲] أنظر تاريخ بغداد لابن الخطيب، وتاريخ السيوطى وكتب التاريخ.

[۸۳] أنظر تاريخ الخلفاء والمراجع التاريخية التى ترصد فترة ظهور السلاجقة. وانظر ترجمة ألب أرسلان، والوزير نظام الملك فى وفيات الأعيان لابن خلكان ج ۵ / ۶۹۱ وج ۱ / ۱۷۹.

[۸۴] تاريخ الخلفاء وتاريخ الإسلام للذهبى.

[۸۵] تاريخ الخلفاء.

[۸۶] المرجع السابق.

[۸۷] المرجع السابق.

[۸۸] المرجع السابق.

[۸۹] السابق. وانظر بدائع الزهور فی وقائع الدهور لابن إیاس الحموی، والنجوم الزاهرهٔ لابن تغری بردی والسلوک فی معرفهٔ دول الملوک للمقریزی والبدایهٔ والنهایهٔ لابن کثیر أحداث عام ۵۶۷ هـ وهذه المراجع وغیرها تشهد بمدی الفرحهٔ والشماتهٔ التی أظهرها الفقهاء لسقوط الدولهٔ الفاطمیهٔ الشیعیهٔ فی مصر والتی کانت مناسبهٔ لیقدم هؤلاء الفقهاء قرابین الطاعهٔ والولاء لخلفاء بنی العباس. انظر لنا کتاب الشیعهٔ فی مصر.

[۹۰] أنظر تاریخ الإسلام. وتاریخ الخلفاء، وتأمل قول الذهبی الذی ربط الأمن والسلام بذهاب التشیع معتبرا اتساع ملک المستضیئ علامات الرضی والسعادهٔ.

[۹۱] تاریخ الخلفاء.

[۹۲] المرجع السابق.

[۹۳] المرجع السابق.

[۹۴] أنظر خطط المقریزی ج ۲. والنجوم الزاهرهٔ ترجمهٔ العاضد ج ۵ / ۳۳۴.

[۹۵] أنظر المرجعین السابقین. والکامل لابن الأثیر ج ۹ / ۱۱۱.

[۹۶] خطط المقریزی.

[۹۷] النجوم الزاهرهٔ.

[۹۸] وفیات الأعیان ج ۵ / ۳۴۱.

[۹۹] خطط المقریزی ج ۳. ]

[۱۰۰] النجوم الزاهرهٔ ج ۶ / ۱۱۶.

[۱۰۱] أنظر مفرج االکروب فی أخبار بنی أیوب ج ۱. وتاریخ. ابن خلدون ج ۵، وخطط المقریزی ح ۳ والخوانق جمع خانقاه وهی کلمهٔ فارسیهٔ معناها بیت وهی هنا یقصد بها خلوهٔ الصوفیهٔ وطلبهٔ العلم.

[۱۰۲] أنظر المراجع السابقهٔ. وحسن المحاضرهٔ فی تاریخ مصر والقاهرهٔ ج ۲.

[۱۰۳] أنظر المراجع السابقهٔ.

[۱۰۴] قتل عماد الدین فی ظروف مشبوههٔ وأتهم بقتله أحد أمراء الأیوبیین. أنظر المراجع السابقهٔ وانظر شذرات الذهب فی أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلی ج ۵ والنجوم الزاهرهٔ فی محاسن ملوک. مصر والقاهرهٔ لأبی المحاسن ج ۶، وخطط المقریزی ج ۲.

[۱۰۵] أنظر الفخری فی الآداب السلطانیهٔ وخطط المقریزی ج ۲، والسلوک فی معرکهٔ دول الملوک ج ۲.

[۱۰۶] أنظر مفرج الکروب ج ۵ والسلوک ج ۱.

[۱۰۷] أصدر صلاح الدین من قبل قراره بوجوب اعتناق مذهب الشافعی فی الفقه والأشعری فی العقیدهٔ وأن من لا یلتزم بذلک حل دمه. انظر خطط المقریزی. وانظر لنا الشیعهٔ فی مصر.

[۱۰۸] أنظر خطط المقریزی.

[۱۰۹] طال هذا الظلم والتعسف الفقهاء أنفسهم. ویذکر أن هناک حالهٔ واحدهٔ لصدام وقع بین الفقهاء وحکام الممالیک وهی حالهٔ سلطان العلماء الشیخ العز بن عبد السلام وتصدیه للرسوم المالیهٔ التی کان یفرضها الممالیک علی الناس کما طالب ببیع الممالیک فی الأسواق ثم تحریرهم.

[۱۱۰] أنظر تاريخ ابن خلدون ج ۳، والمقريزى السلوك ج ۱ وبدائع الزهور والنجوم الزاهرة.

[۱۱۱] أنظر المراجع السابقة وتاريخ الخلفاء.

[۱۱۲] أنظر المراجع السابقة وكتب التاريخ التى ترصد العصر المملوكى.

[۱۱۳] تنص عقيدة الفقهاء وقواعد الفقه على أن الخليفة يجب أن يكون قرشيا وهو ما أشارت به الروايات.

[۱۱۴] أنظر ترجمة ابن تيمية فى الدور الكامنة.. وانظر تفصيل هذا الأمر فى فصل مدافع ابن تيمية.

[۱۱۵] أنظر النجوم الزاهرة ج ۱۳ والمقريزى وكتب التاريخ.

[۱۱۶] أنظر المراجع السابقة، وحسن المحاضرة للسيوطى ج ۲، ويذكر أن المستعين قام بعزل جلال الدين البلقينى قاضى الشافعية لتحالفه مع الناصر فرج. وكان للبلقينى دور بعد ذلك فى التآمر على المستعين.

[۱۱۷] أنظر المرجعين السابقين وتاريخ الخلفاء.

[۱۱۸] أنظر بدائع الزهور ج ۱ وخطط المقريزى ج ۲ والنجوم ج ۱۳. وانظر تاريخ الخلفاء.

[۱۱۹] أنظر المراجع السابقة.

[۱۲۰] تاريخ الخلفاء. وابن حجر من أعيان القرن التاسع ومن كبار فقهاء أهل السنة وهو الذى تصدى لشرح البخارى بكتاب أسماه فتح البارى شرح صحيح البخارى وضع له مقدمة طويلة تحت عنوان هدى السارى دافع فيها عن الطعون التى وجهت للبخارى والقصيدة تزيد على الأربعين بيتا وقد اخترنا منها هذه الأبيات العشرة.

[۱۲۱] حسن المحاضرة.

[۱۲۲] تحقق للمذهب الحنفى أول انتشار عالمى فى تاريخه على أيدى العثمانيين إذ أصبح المذهب الرسمى لكثير من الدول حتى اليوم، ولا زال المذهب الرسمى للأزهر.

[۱۲۳] شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ج ۸ / ۱۴۳ أحداث عام ۹۲۶ هـ

[۱۲۴] شذرات الذهب ج ۸ / ۱۴۴. أحداث عام ۹۲۶ هـ

[۱۲۵] المراجع السابق ص ۱۴۵.. ويذكر أن سليم الأول كان قد استصدر فتوى من الفقهاء تبيح له غزو مصر ومحاربة المسلمين. كما أن سليم الثانى استصدر فتوى عام ۱۵۷۰ م تبيح له نقض العهود والمواثيق مع أهل البندقية والعدوان عليهم.

[۱۲۶] المرجع السابق ص ۱۴۶.

[۱۲۷] المرجع السابق ص ۱۴۸.

[۱۲۸] المرجع السابق ص ۱۷۳ أحداث عام ۹۳۰ هـ

[۱۲۹] المرجع السابق ص ۳۱۰.

[۱۳۰] أنظر تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان.

[۱۳۱] المرجع السابق.

[۱۳۲] أنظر فصل مدافع محمد بن عبد الوهاب ومدافع ابن باز.

[۱۳۳] أنظر نصوص الفقهاء فى الحكام فيما بعد. وانظر فصل مدافع ابن حنبل.

[۱۳۴] هناك رواية شهيرة حول هذه القضية تقول: إذ بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما.. انظر مسلم كتاب الإمارة. وانظر كتب السنن. وانظر نصوص الفقهاء حول الحكام. ويلاحظ هنا أن آل سعود لا ينتمون إلى قريش بل إلى نجد.

[۱۳۵] أنظر مدافع ابن عبد الوهاب وابن باز، وقد دمر الوهابيون آثار الرسول (ص) فى مكة وقاموا بسد غار حراء وهدموا قبور آل البيت فى البقيع وعزلوا المقبرة عن الناس. كذلك باعدوا بين الناس وبين قبر الرسول (ص).

[۱۳۶] أنظر لنا كتاب فقهاء النفط، وكتاب ابن باز فقيه آل سعود.

[۱۳۷] أنظر المرجعين السابقين.

[۱۳۸] أنظر بيان شيخ الأزهر محمد مأمون الشناوى فى عيد ميلاد الملك فاروق وهو بيان يحمل المدح والثناء والتبجيل لفاروق ووالده والعائلة الحاكمة. ومن بين نصوص البيان قوله: وقد استجاب الله دعاء هذا الشعب المخلص لجلالته الوفى لعرشه. فتحققت للبلاد أمانيها واستكملت استقلالها وهبت نشطة بفضل توجيه الفاروق العظيم. انظر مجلة الأزهر أعداد رمضان وجمادى الأولى عام ۱۳۶۸ هـ واحتفل الأزهر أيضا بعيد جلوس فاروق على العرش الموافق ۶ / ۵ / ۱۹۴۹ وكذلك ذكرى رحيل الملك فؤاد. انظر إعداد الأزهر فى تلك الفترة.

[۱۳۹] أنظر موقف الأزهر من الحركة الإسلامية ونماذج من منشورات الأزهر المعادية للإخوان فى تلك الفترة فى كتابنا الحركة الإسلامية فى مصر.

[۱۴۰] أنظر المرجع السابق، وقد أعلن الأزهر موافقته على الصلح مع إسرائيل.

[۱۴۱] أنظر المرجع السابق، ومنشورات الأزهر ضد الجماعات وبياناته ضد الشيعة وإيران والتى لا زالت تصدر حتى الآن، وانظر لنا كتاب الشيعة فى مصر.

[۱۴۲] برزت للمفتى فى الفترة الأخيرة فتاوى تتعلق بالبنوك ونقل الأعضاء وغير ذلك إلا أن هذه الفتاوى لم تكن ملزمة. خاصة وأنه قد برز منافسون له فى هذه الميدان يحظون بشعبية ووزن لا يتمتع به المفتى مثل الشيخ الشعراوى.

[۱۴۳] ضعف المذهب الحنبلى بعد سقوط الدولة العباسية التى كانت تدعمه بداية من عصر المتوكل، وأصبح أقل المذاهب الإسلامية شأنا. ولم يظفر الحنابلة بدولة تدعمهم بعد ذلك، كما هو حال المالكية فى دول بلاد المغرب. وحال الأحناف مع العثمانيين حتى ظهرت الحركة الوهابية وآل سعود عندئذ برز الحنابلة وادعوا تمثيل أهل السنة فى غيبة المذاهب الأخرى.

[۱۴۴] أصول الدين. ط بيروت.

[۱۴۵] المرجع السابق. وانظر كتب الفقه، وهناك شروط أخرى وضعها بعض الفقهاء مثل الحرية والبلوغ والإسلام وهى تنضم إلى الشروط الأخرى التى لم تتحقق فى الحكام.

[۱۴۶] أنظر تاريخ الخلفاء للسيوطى وكيف ترجم ليزيد بن معاوية الذى كفر من قبل بعض الفقهاء واعتبره خليفة وترجم للوليد بن يزيد الفاسق منتهك الحرمات الذى أراد الحج ليشرب الخمر فوق ظهر الكعبة واعتبره خليفة ثم ترجم للمماليك العبيد وخلفاء بنى العباسى فى مصر الذين كانوا لافتة وصورة لسلاطين المماليك هذا فى الوقت الذى لم يترجم لأحد من خلفاء الفاطميين لأن أمامتهم غير صحيحة فى نظره، انظر المقدمة وآخر الكتاب.

[۱۴۷] أصول الدين للبغدادى. وانظر مقالات الاسلاميين.

[۱۴۸] المرجع السابق.

[۱۴۹] لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد.

[۱۵۰] أصول السنة ط السعودية.

[۱۵۱] شرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائى ح ۱ / ۱۶۱.

[۱۵۲] رسالة السنة ذيل الرد على الجهمية والزنادقة. ط السعودية.

[۱۵۳] أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر. ط القاهرة.

[۱۵۴] العقيدة الواسطية وهى العقيدة الأساسية المعتمدة عند التيار الوهابى والجماعات ويلاحظ أن ابن تيمية كان معاصر الحكام المماليك.

[۱۵۵] أصول السنة ط السعودية.

[۱۵۶] شرح البيجورى على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد. وهو مقرر على طلبة المعاهد الأزهرية.

[۱۵۷] الأحكام السلطانية.

[۱۵۸] أنظر المراجع السابقة.

[۱۵۹] الفصل فى الملك والنحل ح ۴ / باب الكلام فى عقد الإمامة بماذا تصح.

[۱۶۰] أنظر المراجع السابقة. والفقهاء إنما يتبنون هذا الموقف من الحكام على أساس الروايات. أنظر التمهيد للباقلانى والاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة للبيهقى.

[۱۶۱] تلبيس إبليس. وابن الجوزى من أعيان القرن السادس الهجرى توفى عام ۵۹۷ هـ ببغداد. وهو من فقهاء الحنابلة غير أنه اصطدام بالحنابلة فى مسألة الصفات وقولهم بالتجسيم وكتب كتابا فى ذلك يرد فيه عليهم وهو كتاب: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه. ط القاهرة وقد هاجمه ابن تيمية فى كتابه نقد المنطق.

[۱۶۲] أنظر سيرة الطبرى فى كتب التراجم وأحداث عام (۳۱۰ هـ) فى كتب التاريخ.

[۱۶۳] أنظر تاريخ الخلفاء للسيوطى. وترجمة ابن حنبل فى تاريخ الإسلام للذهبى وشذرات الذهب.

[۱۶۴] أنظر تاريخ الخلفاء ترجمة المتوكل وكتب التاريخ الأخرى.

[۱۶۵] أنظر البداية والنهاية لابن كثير ح ۱۲. ومناقب ابن حنبل لابن الجوزى ح / ۱ وطبقات الحنابلة الأبن رجب ح / ۱. وإذا كان هذا هو حال قبر ابن حنبل وقبر ولده فمن أين أتى الحنابلة بفكرة مقاومة القبور واعتبار زيارتها والاهتمام بها وتعليتها شرك.

[۱۶۶] أنظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير. وتاريخ الإسلام للذهبى. وتاريخ الخلفاء للسيوطى. وانظر لنا أهل السنة شعب الله المختار. والكلمة والسيف.

[۱۶۷] أنظر فصل مدافع محمد بن عبد الوهاب.

[۱۶۸] أنظر الرد على ابن الغريلة اليهودى ط بيروت تحقيق الدكتور إحسان عباس.

[۱۶۹] رسالة التلخيص لوجوه التخليص وهى ملحقة بالكتاب السابق ذكره.

[۱۷۰] أنظر الأصول والفروع لابن حزم ج ۲ / ۲۱۵ وما بعدها. ط القاهرة.

[۱۷۱] أنظر الذخيرة لابن بسام ج ۱.

[۱۷۲] المرجع السابق.

[۱۷۳] أنظر دائرة المعارف الإسلامية ج ۱.

[۱۷۴] أنظر دائرة المعارف. وانظر رسالة الأخلاق لابن حزم.

[۱۷۵] أنظر مسلم كتاب الفضائل باب فضل آل البيت. وانظر كتب السنن الأخرى وهناك الكثير من الكتب التى أصدرها فقهاء السنة عن آل البيت. انظر لنا موسوعة آل البيت (۹) أنظر تراجم رجال الحديث وأشهر الفقهاء فى كتب التاريخ. وانظر لنا كتاب مصر وإيران.

[۱۷۶] أنظر كتب العقائد مثل كتاب العقيدة والطحاوية والعقيدة الواسطية وانظر لنا كتاب أهل السنة شعب الله المختار، وكتاب دفاع عن الرسول.

[۱۷۷] أنظر البخارى كتاب التوحيد. ومسلم كتاب الإمارة، وأبواب فضائل الصحابة فى كتب السنن.

[۱۷۸] أنظر قوله تعالى (وقليل ماهم) وقوله (وقليل من عبادى الشكور) وقوله (وما آمن معه إلا قليل.

[۱۷۹] يقسم فقهاء الرواية الأحاديث إلى متواتر وآحاد. والمتواتر قلة قليلة تعد على الأصابع ويعتبرون درجتها درجة القرآن بمعنى أن منكرها كافر أما الآحاد فهى الروايات التى رويت عن طريق شخص واحد.

[۱۸۰] أنظر ترجمته فی طبقات الحنابلة ووفیات الأعیان لابن خلکان.. والدر الکامنة فی أعیان المائة الثامنة لابن حجر. وانظر تاریخ مدینة حوران فی معجم البلدان لیاقوت الحموی.

[۱۸۱] الدر الکامنة ج ۱.

[۱۸۲] المرجع السابق.

[۱۸۳] المرجع السابق.

[۱۸۴] تاریخ الإسلام، وانظر الدرر.

[۱۸۵] الدرر الکامنة.

[۱۸۶] المرجع السابق.. والکتاب هو مصنف ضخم یحمل هذا الاسم فی النحو واللغة.

[۱۸۷] المرجع السابق.

[۱۸۸] المرجع السابق.

[۱۸۹] طبقات الحنابلة ج ۲.

[۱۹۰] أنظر الفتوی الحمویة والعقیدة الواسطیة والرسالة المدینة فی تحقیق المجاز والحقیقة فی صفات الله سبحانه لابن تیمیة. وانظر الدرر.

[۱۹۱] الدرر الکامنة.

[۱۹۲] المرجع السابق.

[۱۹۳] المرجع السابق. وانظر سیرته فی تاریخ الإسلام وشذرات الذهب.

[۱۹۴] المرجع السابق.

[۱۹۵] أنظر الفتوی الحمویة والعقیدة الواسطیة.

[۱۹۶] أنظر ملاحق الکتاب.

[۱۹۷] تم طبع فتاوی ابن تیمیة علی نفقة خادم الحرمین.

[۱۹۸] حبس ابن القیم بسبب فتوی له بتحریم زیارة مسجد یقال له مسجد إبراهیم انظر ترجمته فی الدرر الکامنة ح ۳ ترجمة رقم ۱۰۶۷.

[۱۹۹] الطرق الحکمیة ص ۲۰۳.

[۲۰۰] المقصود بسنة معاویة ما سنه من ملکیة الحکم ووراثته وفصل الدین عن الدولة والاستبداد والتعبد بالروایة وتقدیس الصحابة الذین والوه وناصروه.

[۲۰۱] یلاحظ هنا أن ابن حجر وضع یزید فی منزلة بین المنزلتین کما تقول المعتزلة فی صاحب الکبیرة وکأنه بهذا قد أید رؤیة المعتزلة التی یناهضها أهل السنة فی صاحب الکبیرة دون أن یدری.

[۲۰۲] البخاری ومسلم کتاب الفتن.

[۲۰۳] محمد بن عبد الوهاب عقیدته السلفیة ودعوته الإصلاحیة وثناء العلماء علیه. ط الجامعة الإسلامیة بالمدینة یهدی ولا یباع.

[۲۰۴] أنظر المرجع السابق. وانظر تاریخ الجزیرة العربیة فی عصر محمد بن عبد الوهاب.

[۲۰۵] المرجعین السابقین. وانظر تاریخ الشعوب الإسلامیة لبروکلمان.

[۲۰۶] المرجعین السابقین وانظر تاریخ الجبرتی.

[۲۰۷] البخاری ومسلم کتاب الفتن.

[۲۰۸] محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه. ط الجامعة الإسلامية بالمدينة يهدى ولا يباع.

[۲۰۹] أنظر المرجع السابق. وانظر تاريخ الجزيرة العربية فى عصر محمد بن عبد الوهاب.

[۲۱۰] المرجعين السابقين. وانظر تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان.

[۲۱۱] المرجعين السابقين وانظر تاريخ الجبرتى.

[۲۱۲] محمد بن عبد الوهاب عقيدته ودعوته.

[۲۱۳] المرجع السابق. وانظر سيرة ابن هشام.

[۲۱۴] انظر تفاصيل هذه المذابح فى كتاب خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام للزينى دحلان.

[۲۱۵] أنظر مجموع فتاوى ومقالات ابن باز ج ۱.

[۲۱۶] المرجع السابق.

[۲۱۷] المرجع السابق.

[۲۱۸] المرجع السابق.

[۲۱۹] المرجع السابق.

[۲۲۰] المرجع السابق.

[۲۲۱] المرجع السابق.

[۲۲۲] حسب عقيدة ابن باز التى تنص على أن مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين كفر فإن ابن بازا يكون قد كفر نفسه بمظاهرته الأمريكان المشركين على المسلمين فى حرب الخليج واعترافه بالكيان الصهيونى فى فلسطين.. ولكن ربما يكون الرجل قد قصد بالمشركين المخالفين من الشيعة والصوفية وأصحاب الرأى.

[۲۲۳] أنظر مسلم باب ذكر الخوارج. كتاب الزكاة.

[۲۲۴] المقصود بأهل الذمة هنا هم النصارى لا اليهود بالطبع فهؤلاء لا ذكر لهم فى كتابات الوهابيين خاصة بعد أن اعتراف ابن باز بإسرائيل وأجاز الصلح مع اليهود. والنصارى يقصد بهم غير الأمريكان.

[۲۲۵] أحكام أهل الذمة ج ۲ / ۶۷۷: ۶۸۶.

[۲۲۶] مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية.

[۲۲۷] مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد.

[۲۲۸] الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية.

[۲۲۹] المرجع السابق.

## تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج/۱ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و

بِساحهٔ صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم ینطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِقِ و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)
التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹
امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩